هذا كتاب ديوان الصبابة للأديب
الفاضل شهاب الدين احمد بن
ابي حجلة المغربي رحمة الله
تعالى عليه

ترجمة المؤلف من كتابه مغناطيس الدر النفيس باختصار

هو شهاب الدين احمد بن يحيى بن ابي بكر بن عبد الواحد المغربي مولداً الدمشقي منشأ نزيل القاهرة الشهير بابن ابي حجلة مولده بالمغرب سنة خمس وعشرين وسبعماية بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد ابي حجلة عبد الواحد قدس الله روحه * ونور ضريحه * وكنى جده بذلك لصلاح حاله * وتعلق الحجل والوحوش بأذياله * وزاوية جده بالمغرب مشهوره * واحاديث بركته مأثوره * يؤخذ منها التراب لطلب الدواء * والتماس الشفاء * وقدم من المغرب مع ابويه واخوته فبلغوا السول * بزيارة الرسول * صلى الله عليه وسلم * ثم تنقلت به بعد موتهم الأحوال * وشاهد بمصر بعد رؤية ابي الهول الأهوال فصنف كتابه غرائب العجائب * وعجائب الغرائب * وفيه يقول

هذا الكتاب ذكرت فيه عجائباً * تغني النديم عن المدامة والطرب
يهتز سامعها لطيب حديثها * الا الحسود فليس يعجبه العجب

وله اكثر من ثمانين مصنفاً في الحديث والفقه
والنحو والأدب وله شعر ونثر سيأتي
شئ منه في اثناء
هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل (للعاشقين باحكام الغرام رضا) وحبب اليهم الموت في حب
من يهوونه (فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا) فكم فيهم من عاشق * ومحب صادق
* واي محب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فاعيى نيله فقضا * احمده حمد
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * وشبب بذكر محبوبه ان كان تهاميا في نجد
او شاميا في نوى شعر طوراً يمانا اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدناني
* واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد * شهادة من اصبح
موته لبعده اقرب من حبل الوريد * وقال لعاذله لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
وانك لتعلم ما نريد * ولو ان ما بي من حبيب مقنع * عذرت ولكن من حبيب معمم
* واشهد ان محمدا عبده ورسوله شهادة من اخلص في موالاته * وتبرأ من الاثم
حين تولى عنه محبوبه بخاتم ربه وبراته * صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين
يحبهم ويحبونه * ويقفون عندما امرهم ولا يتعدونه * ما ذر شارق * وهام
عاشق * اما بعد فان كتابنا هذا كما قيل * كتاب حوى اخبار من قتل الهوى *

صار

وساويهم في الحب في كل مذهب * مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل *
تشبب فيه بالرباب وزينب * فهم ما هم * تعرفهم بسيماهم * قد تركهم الهوى كهشيم المحتظر * واصبحوا من علة الجوى على قسمين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر * فهم ما بين قتيل وشهيد * وشقي وسعيد * على اختلاف طبقاتهم واشكالهم * وتباين مراتبهم واحوالهم * وغير ذلك مما تصبح به اوراقه يانعة الثمر * وتمسي به صفحاته في كل ناحية من وجهها قمر * فاذا نظرت الى الوجود بأسره * شاهدت كل الكائنات ملاحا * على ان جماعة من العصريين غلبوا من تقدم بالتأليف في هذا الباب * ولم يفرق غالبهم في التشبيب بين زينب والرباب * وكل يدعي وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا * فربع كتابنا هذا بذكر العامرية معمور * وهو بالنسبة الى ما الفه الشهاب محمود مشكور * ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام * وانشد في تصديق هذه الدعوى اذا قالت حذام * مؤلف طوق الحمامة بالنسبة الى مجلده يجل * وصاحب منازل الأحباب ممن عرف المحل فبات دون المنزل *
وعذرت طيفك في الجفاء لأنه * يسري فيصبح دوننا بمراحل * اخر
فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال * فان قلت الفضل للمتقدم * وهل غادر الشعراء من متردم * قلت نعم في الخمر معنى ليس في العنب * واحسن ما في الطاووس الذنب * فدع كل صوت بعد صوتي فانني انا الصائح المحكي والاخر الصدا * فكم ترك الأول للآخر * ولا اعتبار بقول الشاعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لأول منزل

فقد سقط في يديه * وقيل في الرد عليه

الخير بآخر من كلفت بحبه * لا خير في حب الحبيب الأول
اتشك في ان النبي محمدا * ساد البرية وهو اخر مرسل

وقال ديك الجن الحمصي يرد على حبيب قوله المتقدم

كذب الذين تحدثوا ان الهوى * لا شك فيه للحبيب الأول

* مالي احن الى خراب مقفر * درست معالمه كأن لم يوهل *

فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن المذكور

* كذب الذين تخرصوا في قولهم * ما الحب الا للحبيب المقبل *

* اوطيب في الطعم ما قد ذقته * من مأكل او طعم ما لم يوكل *

فقال ديك الجن ايضاً حين بلغه قول حبيب هذا

* ارغب عن الحب القديم الاول * وعليك بالمستأنف المستقبل *

* نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى * كهوى جديد او كوصل مقبل *

وقال ابو البرق وسلك بينهما جادة الانصاف * وبقوله يجب الاعتراف لانه احسن في المقال * حيث قال * زادوا على المعنى فكل محسن

* والحق فيه مقالة لم تجهل * الحب للمحبوب ساعة وصله *

ما الحب فيه لآخر ولأول * على انني لم اجد ما في منازل الاحباب من ذكرى حبيب ومنزل * ولا تحملت على مصنفه فواعجبا من قلبي المتحمل * ولكن قصدت التنبيه على ان حسن التأليف مواهب * وان للناس فيما يعشقون مذاهب * ومعلوم ان الجنون فنون * وكل حزب بما لديهم فرحون * ولم يزل كتابنا هذا في مسودات مندمج * وبيوته من بحورها في لج لا ابيح ما فيه من منازل الاحباب لساكن * ولا امكن عاشقا من المرور بتلك الاماكن * اغار اذا انست في الحي انة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه * حتى برز لطلبه المرسوم الشريف الملكي الناصري ادام الله نشر اعلامه * ولا اخلا كنانة من سهامه * ما نفذت مراسيم سهام المقل * وتثنى قوام الحبيب الذي طاب به الزمان واعتدل * فبادرت الى تجهيزه * وسبك ابريزه * حسب المرسوم الشريف * من غير تسويف ولا تكليف * ولم ابح زهر منثوره لغير حضرته الشريفة من الانام * لانه كما يقال كل ما يصلح للمولى على العبد حرام * لا جرم انه جاء بنظره السعيد نزهة للنظر * وقال الواقف على عتبة بابه ان السعادة لتلحظ الحجر فهو للسلطان بستان * وللعاشق سلوان * وللمحب الصادق * حبيب

موافق

موافق * وللمهجور نجوه * وللنديم قهوه * وللناسي تذكره * وللأعمى تبصره
* وللشاعر المجيد * بيتا لقصيد * وللأديب الماهر * مثل سائر * وللمحدث
قصص * وللحاسد غصص * وللفقيه تنبيه * وللحبيب بالقمر تشبيه

تبادره بالبدر منه بوادره ... وتحلو له عند المرور نوادره
ففيه له في كل يوم وليلة ... حبيب ملم او نديم يسامره
ولي فيه نظم ان تضوع نشره ... ففي طيه حلو الكلام ونادره
ولي فيه منثور غدا في مقامه ... وعرف سناه مشرق الروض عاطره
ولي فيه من سحر البيان رسائل ... اذا ما جفاني احور الطرف ساحره
ولي فيه اسرار الحروف لأنه ... ينقطه دمعي فتبدو سرائره
فمنثور دمعي مثل نظم سطوره ... خدودي اذا ما لخط فيها دفاتره
تمد مداد الدمع اقلام هدبه ... فدمعي حبري والسواد محابره
خدمت بديوان الصبابة عاملا ... فباشر قلبي من سباني ناظره
فلولا الهوى ما مات مثلي عاشق ... ولا عمرت بالعامري مقابره
وفي غزلي ذكر الغزال ومربع ... تطارحني فيه الحديث جآذره
انزهه عن وصف خد عنيزة ... ومنزل قفر سرن عنه اباعره
تجر قوافيه معان غدا بها ... جرير كعبد او تقته جرائره
يشيب بها فود الوليد لأنه ... يسير وجنح الليل سود ضفائره
ولست ارى يوما بدارة جلجل ... سوى شاعر دارت عليه دوائره
اذا ما نسي ذكرى حبيب ومنزل ... فاني لمن اهواه ما عشت ذاكره
اجاورني سفح المقطم جيرة ... فيا حبذا المحبوب حين نجاوره
فيا طيف من اهواه طرفي ان غفا ... اتهجره بالله ام انت زائره
وحقك لو سايرته بعض ليلة ... لسايرت صبا ما في الحب سائره
يمتلك لشوق الشديد لطرفه ... فيجري بركا الحاجري محاجره
ويأتيه طيف من خيالك طارق ... فيطرق اجلالا لا كانك حاضره
وبي من نحيل الغصن ريح قوامها ... اذا بات في الروض النضير يناظره

اذا اقبلت فى الحلى والطيب قيل لى … حبيبك بستان تضوع ازاهره
وان رمت منها وهى غضبى التفاتة … ثنت عطفها نحو الغزال تشاوره
ايبرد ما القاه من حر هجرها … وقد حميت يوما على هواجره
تحصنت فى حصن الهوى من عواذلى … وبات لقلبى جيش هم يحاصره
ولو لم يكن اعمى البصيرة عاذلى … لما عميت عمن هويت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن عندما … يشاهدها يغضى ويطرق ناظره
اللغصن خد كالشقيق اذا بدا … وشعر كجنح الليل سود غدائره
لأن طاب لى فى هواها فاننى … وحقك ممن عز فى مصر ناصره
مليك يهز الرمح اعطاف قده … كما اهتز غصن طار فى الحب طائره
مليك ترى قبل ما هو كائن … بصيرته اضعاف ما هو ناظره
مليك اذا ما جئته حسن اللقا … جميل المحيا بارع الحسن باهره
مليك اذا ما ضاء كالبدر فى الدجى … فاولاده مثل النجوم تسايره
مليك لرى من حوله كل عالم … يذكره فى العلم ما هو ذاكره
مليك له فى كل يوم وليلة … بشير توالت بالهناء بشائره
مليك اسود الغاب تحذر باسه … لأن ملوك الأرض طرا تحاذره
تروعهم شهب السما وبروقه … وما هى الا سمره وبواتره
اذا اقترع اشكال الحرب اجتماعهم … فأى ضمير لم يدس فيه ضامره
واى كماة لم يرعهم نزاله … واى مكان ما علته منابره
واى قصيد بحرها لم يرق له … وغائص فكرى ناظم الدر ناثره
ولى فيه من غر القصائد خمسة … وهذا الذى طوق الحمامة عاشره
يضوع به المنثور كالزهر عندما … تراوحه ريح الصبا وتباكره
فكم فيه لى من مرقص حوم مطرب … بتشبيبه فى الحى يطرب زامره
ولو لم يكن مثل السكر دان ما غدا … بحضرته يوما تطيب حواضره

نعم الفته باسم مولانا السلطان على الوجه المشروح * وتوليت لأجله عمله بنفسى فجاء كما قيل عمل الروح للروح *

اهيم

٧ اهيم بمن هام الحبيب بحبه * الا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل ٧
وسلكت فى تأليفه الاختصار * والاقتصار على النوادر القصار * لانه
كان يقال الوضع وضعان وضع له افتخار * ووضع له نجار * وقال يحيى ابن
خالد لولده اكتبوا احسن ما تسمعون * واحفظوا احسن ما تكتبون *
وحدثوا بأحسن ما تحفظون * وخذوا من كل شئ طرفا فانه من جهل شيئا
عاداه وسميته ديوان الصبابة ليصبح الواقف عليه موهلا * ويعلم انه ان
لم اكن انا للصبابة منهلا * ما يعلم الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا
من يعانيها * اى والله * قلما يبرح المطيع هواه * كلفا ذا صبابة وجنون
ورتبته على مقدمة وثلاثين بابا وخاتمه اما المقدمه ففى ذكر حد العشق
واشتقاقه وما قيل فى وسمه ورسمه واسبابه وعلاماته ومراتبه واسمائه
ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختيارى او اضطرارى ونحو
ذلك واما الابواب فالباب الاول فى ذكر الحسن والجمال * وما قيل
فيهما من تفصيل واجمال * والباب الثانى فى ذكر المحبين والظرفا *
من الملوك والخلفا * والباب الثالث فى ذكر من عشق على السماع * ووقع
من النزوع الى الحبيب فى نزاع * والباب الرابع فى ذكر من نظر اول نظره
* فاحترق من خد الحبيب بجمره * والباب الخامس فى ذكر تغير الالوان
* عند العيان * من صفرة ووجل * وحمرة وخجل * وما فى معنى ذلك من عقد
اللسان * وسحر البيان * والباب السادس فى ذكر الغيره * وما فيها من
الحيره * وقرع سن * ديك الجن * والباب السابع فى ذكر افشاء السر
والكتمان * عن ابناء الزمان * والباب الثامن فى ذكر معاطلة الحبيب
واستعطافه * وتلافى غيظه وانحرافه * والباب التاسع فى ذكر الرسل
والرسائل * والتلطف فى الوسائل * والباب العاشر فى ذكر
الاحتيال * على طيف الخيال * وغير ذلك مما قيل فيه * على اختلاف
معانيه * والباب الحادى عشر فى ذكر قصر الليل وطوله * وبخضنا
شفقه ونصوله وما فى معنى ذلك والباب الثانى عشر فى ذكر

ترتيب الابواب

قلة عقل العذول * وما عنده من كثرة الفضول * والباب الثالث عشر في ذكر
الاشاره * الى الوصل والزياره * والباب الرابع عشر في ذكر الرقيب والنمام
* والواشي الكثير الكلام * والباب الخامس عشر في ذكر العتاب * عند
اجتماع الأحباب * وما في معنى ذلك من الرضى * والعفو عما مضى * والبا
السادس عشر في ذكر اغاثة العاشق المسكين * اذا وصلت لعظم السكين
* والباب السابع عشر في ذكر دواء علة الجوى * وما يقاسيه اهل الهوى
والباب الثامن عشر في ذكر تعنت المعشوق * على الصب المشوق * وغير ذلك
من اقسام الهجر * وصبر القابض فيه على الجمر * والباب التاسع عشر
في ذكر الدعاء على المحبوب * وما فيه من الفقه المطلوب * والباب العشرون
في ذكر الخضوع * وانسكاب الدموع * والباب الحادي والعشرون في ذكر
الوعد والاماني * وما فيهما من راحة العاني * والباب الثاني والعشرون
في ذكر الرضا من المحبوب * بأيسر مطلوب * والباب الثالث والعشرون في
ذكر اختلاط الارواح * كاختلاط الماء بالراح * والباب الرابع والعشرون
في ذكر عود المحب كالخلال * وطيف الخيال * وما في معنى ذلك من رقة خصر الحبيب
وتشبيه الردف بالكثيب * والباب الخامس والعشرون في ذكر ما يكابده في
طلب الأحباب * من الامور الصعاب * والباب السادس والعشرون في ذكر
طيب * ذكرى حبيب * والباب السابع والعشرون في ذكر طرف يسير من المقاطيع
الفائقه * والاغزال الرائقه * مما اشتمل على ورد الخدود * ورمان النهود
* وغير ذلك * مما هنالك * والباب الثامن والعشرون في ذكر طرف يسير
من اخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات الجمال * وما في معنى ذلك ممن
ذكروا لاتهم * ووصف الاتهم * والباب التاسع والعشرون في ذكر
من ابتلي من اهل هذا الزمان * بحب النساء والغلمان * والباب الثلاثون
في ذكر من اتصف من العفاف * بأحسن الاوصاف * واما الخاتمة
ففي ذكر من مات من حبه * وقدم على ربه * من غني وفقير * وكبير وصغير * على
اختلاف ضروبهم * وتباين مطلوبهم * ولاجل ذكرهم اسست قواعد هذا

الكتاب

سحر ؟ المقلوب

الكتاب * ودخلت فيه من باب وخرجت من باب * ومن هنا نشرع في ذكر ما يجلب
الراحة كمراوح الخيش وتكون عند المطالعة كالطليعة للجيش * وهذه
المقدمة في ذكر رسم العشق ووسمه * ومدحه وذمه * وذكر اختلاف الناس فيه هل هو
اختياري او اضطراري ويشتمل ذلك على خمسة فصول * الفصل الاول
في رسم العشق ووسمه * وما قيل في اسمه * اقول هذا الفصل عقدناه لذكر رسم
العشق وحده * وجزر بحره المتلاطم ومده * وما للناس فيه من الكلام البائن
* والقول المتباين * اذ فيهم من التبس عليه * فسماه باسم سببه او باسم
ما يؤول اليه * وغير ذلك مما التبس عليهم فيه الجواب * واصابة الصواب
وعذرهم الظاهر * قول الشاعر * يقول اناس لو نعت لنا الهوى ٢
ووالله ما ادري لهم كيف انعت * فليس لشئ منه حد احده ٢
وليس لشئ منه وقت موقت * فمن حدوده المليحه * ورسومه الصحيحه * قول
فيثاغورس الذي اخذ عن اصحاب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فيما
ذكره صاعد في كتاب الطبقات العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى
ويجتمع اليه مواد من الحرص وكلما قوي زاد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي
في الطمع والفكر والاماني والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك الى الغم
المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالة السوداء او التهاب الصفراء
وانقلابها اليها ومن طبع السوداء افساد الفكر ومع فساد الفكر
يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمني ما لا يتم حتى يؤدي ذلك الى الجنون
فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر الى معشوقه فمات
فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى اربعة وعشرين ساعة
فيظنون انه مات فيدفنونه وهو حي وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه
في تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه اذا ذكر من يهواه
هرب دمه واستحال لونه قال الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهري
واذا كان ذلك كذلك فان زوال المكروه عمن هذه حالته لا سبيل اليه
بتدبير الادوية ولا شفاء له الا بلطف رب العالمين وذلك ان المكروه

العارض من سبب والحد قائم بنفسه يتهيؤ التلطف فيه بزوال سببه فأما اذا وقع السببان وكان كل واحد منهما سبباً فاذا كانت السوداء سبباً لاتصال الفكر وكان اتصال الفكر سبباً لاحتراق الدم والصفراء وقلبهما الى تقوية السوداء فهذا هو الداء العضال الذي يعجز عن معالجته الأطباء ومنها قول افلاطون الاخذ للحكمة عن فيثاغورس المتقدم ذكره العشق قوة غريزية متولدة من وسواس الطمع واشباح التخيل نام بنصال الهيكل الطبيعي محدث للشجاع جبناً وللجبان شجاعة يكسو كل انسان عكس طباعه حتى يبلغ به المرض النفساني والجنون الشوقي فيؤديان الى الداء العضال الذي لا دواء له ومنها قول ارسطاطاليس الآخذ للحكمة عن افلاطون المتقدم ذكره العشق عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم وقول الشاعر * فلست براء عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا * وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا وقول الآخر * وعين السخط تبصر كل عيب * وعين اخي الرضا عن ذاك عميا ومنها ما مشى عليه ابو علي بن سينا وغيره من الأطبا * العشق مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقد يكون معه شهوة جماع وقد لا يكون وقال بعض الادباء الظرفا العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل المخصوص من شخص مخصوص وهذا ظريف وقال الجنيد العشق الفة رحمانية والهام شوقي اوجبها كرم الله تعالى على كل ذي روح لتحصل به اللذة العظمى التي لا يقدر على مثلها الا بتلك الألفة وهي موجودة في الأنفس بقدر مراتبها عند اربابها فما احد الا عاشق لأمر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولأجل ذلك كان اشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الأخرى مع كونها مخبراً لهم عنها بصوت اللفظ وقال الأصمعي سألت اعرابية عن العشق فقالت جل والله عن ان يرى وخفي عن ابصار الورى فهو في الصدور كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته اورى وان تركته توارى وقال بعضهم الجنون فنون والعشق فن من فنونه

واحتج بقول قيس * قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * العشق اعظم مما بالمجانين
* العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين *
* اني جننت فهاتوا من جننت به * ان كان يشفي جنوني لا تلوموني *
وقيل لابي زهير المديني ما العشق فقال الجنون والذل وهو داء اهل الظرف
* وقيل لابي وائل الاوضاحي ما تقول في العشق فقال ان لم يكن طرفا من
الجنون فهو عصارة من السحر وقالت اعرابية هو تحريك الساكن وتسكين
المتحرك وقال المأمون ليحيى بن اكثم ما العشق فقال سوانح تسنح للمرء
فيهيم بها قلبه ويؤثر بها نفسه فقال له ثمامه اسكت يا يحيى انما عليك
ان تجيب في مسئلة طلاق او محرم صاد صيدا فاما هذه فمن مسائلنا نحن
فقال له المأمون قل يا ثمامه قال العشق جليس ممتع وانيس مونس وصاحب
ملك مسالكه لطيفه ومذاهبه غامضه واحكامه جاريه ملك الابدان
وارواحها والقلوب وخواطرها والعقول وآراءها قد اعطي عنان طاعتها
وقوة تصرفها وتوارى عن الابصار مدخله وعمي عن القلوب مسلكه فقال
له المأمون احسنت يا ثمامه وامر له بالف دينار وهذا القدر كاف في معرفة
العشق ورسمه * الفصل الثاني في اسبابه وعلاماته اقول هذا
الفصل عقدناه للكلام على اسباب العشق النفسانيه * وعلاماته الجثمانيه *
على ان هذا النوع الاخير كثير * والمتصف به من المحبين جم غفير * وسنورد من
ذلك ما يعذب وروده * ويتحقق كذب العاشق بنوده * ان شاء الله تعالى قال
بعض الاطباء سبب العشق النفساني الاستحسان والفكر وسببه البدني
ارتفاع بخار ردي الى الدماغ عن مني محتقن ولذلك اكثر ما يعتري العزاب
وكثرة الجماع تزيله بسرعة وقال ابن الاكفاني في كتابه غنية اللبيب عند
غيبة الطبيب ان اكل الطيور المسموعة يورث العشق وقال ايضا في الخلاصة
علامته نحافة البدن وخلاء الجفن للسهر وكثرة ما يتصعد اليه من الابخرة
وغور العين وجفافها الا عند البكاء وحركة الجفن ضاحكة كأنه ينظر الى
شيء لذيذ ونفس كثير الانقطاع والاسترداد والصعدا ونبض غير منتظم

لاسيما عند ذكر اسماء وصفات مختلفة فانها اشتد عنده اختلاف النبض
وتغير الوجه فهو وقال ارسطاطاليس الفلكي للعشق من النجوم زحل
وعطارد والزهرة جميعاً ولذلك اذا اشتركوا في اصل المولد او اجتمعوا وتناظروا
في اشكال المحمودة وقع بينهم العشق والمحبة في بيت احدهم او في حده وكان رب
البيت وصاحب الحد ناظراً اليه او كانت الكواكب المذكورة ناظرة في اشكال محمودة
او متقارنة فزحل يهيئ الفكرة والتمني والطمع والهم والهيجان والاحزان
والوسوسة والجنون وعطارد يهيئ قول الشعر ونظم الرسائل والملق
والخلاعة وتنميق الكلام والتذلل والتلطف والزهرة تهيئ العشق
والوله والهيمان والرقة وتبعث في النفس التلذذ بالنظر والمؤانسة بالحديث
والمغازلة التي تبعث على الشبق والغلمة وتدعوا الى الطرب وسماع الاغاني
وما شابهه وقال بطليموس سببه ان تكون الشمس والقمر في برج واحد
او متناظرين من تثليث او تسديس فمتى كان كذلك كانا مطبوعين على مودة كل
واحد منهما لكون سهمي سعادتهما في مولديهما في برج واحد او يتناظران لشبههما
من تثليث او تسديس بعد ان يكون نظر صاحب سهم المحبة والصداقة فذلك
يدل على ان هذين المولودين محبتهما من جهة المنفعة ومنفعتهما من جهة واحدة
وان احدهما ينتفع بمودة صاحبه فيجلب المنفعة ما بينهما المحبة والمودة ويمتزجان
ويؤيد هذا قول الخبزارزي لكن ارواح المحبين تلتقي * اذا كانت الاجساد عنهن نوما

واحسب روحينا من الاصل واحداً * ولكنه ما بيننا منقسما

ولو لم يكن هذا كذا ما تألمت * له مهجتي بالغيب لما تألما

ومن علامات اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه نحو الارض وذلك من مهابته
له وحياء منه وعظمته في صدره ولهذا يستهجن الملوك من يخاطبهم وهو يحد النظر اليهم
بل يكون خافض الطرف الى الارض قال الله تعالى مخبراً عن كمال ادب نبيه
صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسرى ما زاغ البصر وما طغى وهذا غاية الادب
فان البصر لم يزغ يميناً ولا شمالاً ولا طمح متجاوزاً الى ما هو وراءه ومنها
اضطراب يبدو المحب عند رؤية من يشبه محبوبه او عند سماع اسمه كما قيل

ودائع

وداع دعى اذ نحن بالخيف من منى * فهيج اشجان الفؤاد وما يدرى
دعى باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرًا كان فى صدرى
دعى باسم ليلى اسخن الله عينه * وليلى بأرض الشام فى بلد قفر

ومنها انه يستدعى سماع اسم محبوبه ويستلذ الكلام فى اخباره ويحب اهل محبوبه وقرابته وغلمانه وجيرانه ومن ساكنه كما قال الشاعر

فياساكنى اكناف دجلة كلكم * الى القلب من اجل الحبيب حبيب

وقال اخر * احب لحبها السودان حتى * احب لحبها سود الكلاب *

ومنها كثرة غيرته عليه ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه والأنصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ما يأتى به ولو انه عين المحال وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف يسلك والأسراع بالسير نحو المكان الذى يكون فيه والتعمد للقعود بقربه والدنو منه واطراح الأشغال الشاغلة عنه والزهد فيها والرغبة عنها والأستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقته والتباطى فى المشى عند القيام عنه وجوده بكل ما يقدر عليه مما كان يمتنع به قبل ذلك حتى كأنه هو الموهوب له وهنا قبل استعار نار الحب فاذا تمكن اعرض عن ذلك كله وبذله سؤالا وتضرعا كأنه يأخذه من المحبوب حتى انه يبذل نفسه دون محبوبه كما كانت الصحابة يفدون النبى صلى الله عليه وسلم فى الحروب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله كما قيل * يفديك بالنفس صب لو يكون له * اعز من نفسه شئ فداك به * ومنها الانبساط الكثير الزايد والتضايق فى المكان الواسع والمحاربة على الشئ يأخذه احدهما وكثرة الغمز الخفى والميل والتعمد للمس اليد عند المحادثة ولمس ما امكن من الأعضاء الظاهرة وشرب ما ابقى المحبوب فى الأناء قلت ومنها تقبيل نعله فى غيبته وقد رايت من فعل هذا فعنفته على ذلك فقال اسكت يا فلان ما تعلم ما فى هذا من اللذة ثم انى وجدت هذا المذكور بمكة وارسل معى كتابًا الى محبوبه المذكور لأنه جاور فقلت له كيف امكن الصبر يا زيد عن عمرو فأنشد * ولله منى جانب لا اضيعه * وللهو منى والخلاعة جانب

* ومنها تقبيل جدار الدار كما قيل

امرّ على الدّيار ديار ليلى * اقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الدّيار شغفن قلبي * ولكن حبّ من سكن الدّيارا

ومنها الأتفاق الواقع بين المحبّ والمحبوب ولاسيّما اذا كانت المحبّة محبّة مشاكلة ومناسبة فكثيرًا ما يتكلّم المحبوب بكلام او يريد ان يتكلّم به فيتكلّم المحبّ به بعينه وكثيرًا ما يمرض المحبّ بمرض محبوبه قلت وقد اتفق هذا غير مرّة للسّلطان الملك النّاصر احمد لمّا كان بالكرك مع محبوبه الشّهيب فأنّه كان يمرض لمرضه ويصحّ لصحته اخبرني بذلك من لا ارتاب في قوله ممّن كان في خدمته مُلازمًا له وامّا وقوع ذلك للمتقدّمين فكثير فمن ذلك ما حكي عن ابي نواس انّه مرض فدخل عليه بعض اصحابه يعودونه فوجدوا به خفّة قال فانبسط معنا وقال من اين جئتم فقلنا من عند عنان جارية النّاطفي فقال اوكانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت الأن فقال والله لقد انكرت علّتي هذه ولم اعرف لها سببًا غير انّي توهّمت انّ ذلك لعلة نالت بعض من احبّ ولقد وجدت في يومي هذا راحة ففرحت طمعًا ان يكون الله عافاه منها قبلي ثمّ دعا بدواة وكتب الى عنان

انّي حممت ولم اشعر بحمّاك * حتّى تحدث عوّادي بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقني * من غير ما سبب الاّ بحمّاك
وخصلة كنت فيها غير متّهم * عافاني الله منها حين عافاك
حتّى اذا اتفقت نفسي ونفسك في * هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك

ومنها انّه اذا سئل عن امر اجاب بخلافه وكثرة التّثاوب والتّمطي والتّكسل اذا نظر الى محبوبه ونكته في الأرض بأبهام رجله وهذا كثيرًا ما يقع للنّساء وعضّها على شفتها السّفلى وضربها على عضديها او ثديها واظهار محاسنها لمن تهواه توهمه انّها تري ذلك لبعض اهلها ونظرها الى اعطافها ووضعها الحديث في غير موضعه (ايّاك اعني واسمعي يا جاره) ومنها الأنقياد للمحبوب في جميع ما يختاره من خير وشرّ فأن كان المحبوب مشغوفًا بالعلم اجتهد المحبّ في طلبه اشدّ من اجتهاده وان كان مشغوفًا بالنّوادر والحكايات الحسان والأخبار المليحة المستحسنة بالغ المحبّ في طلبها وحفظها وان كان مشغوفًا بحرفة او صناعة اجتهد في تعلّمها

ان امكنه ذلك فالمحبة النافعة ان يقع الانسان على عشق كامل يحمله عشقه على طلب الكمال والبليه كل البليه ان يبتلى الانسان بمحبة فارغ بطال صفر من كل خير فيحمله حبه على التشبه به وفي اخبار العشاق ان عاشقا عشق السراويلات من اجل سراويل معشوقته فوجد في تركته اثنى عشر حملا وفردة من السراويلات ذكره الصيمرى وعشق اخر الهاونات من اجل صوت هاون محبوبته فوجد في تركته عشرة الاف منها وقد وقفت من هذا على اشيا كثيرة والجنون فنون *

الفصل الثالث في مراتبه واسمائه اقول هذا الفصل عقدناه لذكر مراتب الحب وسياقه واسمائه واشتقاقه على اختلاف لغاته واتفاق رواته ومن المعلوم ان الشئ اذا كان عند العرب عظيما وخطره جسيما كالهزبر والرمح والخمر والسيف والداهيه * والمحبة المحرقة وما ادراك ما هيه * وضعوا له اسماء كثيره * وكانت عنايتهم به شهيره * ولا شئ يعدل اعتنائهم بالحب * الذى يسلب اللب * فاول مراتبه الهوى وهو ميل النفس وقد يطلق ويراد به نفس المحبوب قال الشاعر * ان التى زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها * ثم العلاقة وهى الحب اللازم للقلب كما قال الشاعر * ولقد اردت الصبر عنك فعاقنى * علق بقلبى من هواك قديم * وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الكلف وهو شدة الحب واصله من الكلفة وهى المشقة يقال كلفه تكليفا اذا امره بما يشق عليه فكان الحبيب يكلف المحب ما لا يطيق ويتغافل عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقيل هو ماخوذ من الاثر وهو شئ يعلوا الوجه كالسمسم والكلف ايضا لون بين السواد والحمرة وهى حمرة كدرة ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذى اسمه الحب وفي الصحاح العشق فرط الحب وهو عند الاطباء من جملة انواع الماليخوليا والمراد بالماليخوليا تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعى الى الفساد وهو امر هذه الاسماء وقلما نطقت به العرب وكانهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء فلم يكادوا يفصحون به ولا تكاد تجده في شعرهم القديم وانما اولع به المتاخرون ولم يقع هذا اللفظ في القرآن ولا في السنة

الا في حديث ابن داود الظاهري كما يأتي بيانه وقال ابن سيده العشق عجب المحب
بالمحبوب ويكون في عفاف الحب ودعارته وقيل العشق الاسم والعشق المصدر
وعشيق كثير العشق وامرأة عاشق وشجرة يقال لها عاشقة تخضر ثم تدق
وتصفر قاله الزجاجي واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفرا العشق نبت
لزج فسمي العشق الذي يكون بالانسان لزوجه ولصوقه بالقلب وقال ابن
الاعرابي العاشقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذي يليها من الشجر
فاشتق من ذلك العاشق ذكره في ديوان العاشقين والعشيق يكون للفاعل
والمفعول وجمع العاشق عشق وعشاق ويقال في المرأة عاشقة وامرأة
عاشق ايضا وقد تقدم ذكر ذلك والله اعلم * ثم الشغف قال العزيزي
في غريب القرآن شغفها حبا اصاب حبه شغاف قلبها والشغاف غلاف
القلب ويقال هو حبة القلب وهي علقة سوداء في صميمه وشغفها حبا ارتفع
حبه الى اعلى موضع في قلبها مشتق من شغاف الجبال اي رؤسها وقولهم
فلان مشغوف بفلانة اي ذهب به الحب اقصى المذاهب * واما الشعف
بالعين المهملة فهو احراق الحب القلب قال في الصحاح شعفه الحب اي احرق
قلبه وقد قرئ بهما جميعا شغفها حبا وشعفها وكذلك اللوعة واللاعج يعني
مثل الشعف في الاحراق فاللاعج اسم فاعل من قولهم لعجه الضرب اذا آلمه واحرق
جلده ويقال هوى لاعج لحرقة الفؤاد من الحب وفي الصحاح لوعة الحب حرقته
فهذا هو الهوى المحرق * ثم الجوى وهو الهوى الباطن وفي الصحاح الجوى الحرقة
وشدة الوجد من عشق او حزن * ثم التتيم وهو ان يستعبده الحب ومنه
سمي تيم الله اي عبد الله ومنه قيل رجل متيم * ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى
ومنه رجل متبول وفي الصحاح تبلهم الدهر واتبلهم اذا افناهم * ثم التدله
وهو ذهاب العقل من الهوى ويقال دلهه الحب اي حيره * ثم الهيام وهو ان
يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم والهيم بالكسر الابل
العطاش وقوم هيم اي عطاش * والصبابة رقة الشوق وحرارته
والمقة المحبة والوامق المحب * والوجد الحب الذي يتبعه الحزن واكثر ما يستعمل

في الحزن والدنف لا تكاد تستعمله العرب في الحب وانما ولع به المتأخرون
وانما استعملته العرب في المرض والشجو حب يتبعه هم وحزن
والشوق سفر القلب الى المحبوب قال في الصحاح الشوق والاشتياق
نزاع النفس الى الشيء وقد جاء في السنة واسئلك النظر الى وجهك
الكريم والشوق الى لقائك واختلف في الشوق هل يزول
بالوصال او يزيد فقالت طائفة يزول لانه سفر القلب الى المحبوب
فاذا وصل اليه انتهى السفر
والقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر
وقالت طائفة بل يزيد واستدلوا بقول الشاعر
* واعظم ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام *
قالوا لان الشوق هو حرقة المحبة والتهاب نارها في قلب المحب
وذلك مما يزيده القرب والمواصلة والصواب ان الشوق الحادث
عند اللقاء والمواصلة غير النوع الذي كان عند الغيبة عن المحب قال
ابن الرومي
اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تداني
والثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحين يمتزجان
والبلبال الهم ووسواس الصدر والبلابل جمع بلبلة يقال بلابل
الشوق وهي وساوسه والتباريح الشدائد والدواهي يقال برح
به الحب والشوق اذا اصابه منه البرح وهو الشدة والغمرة ما يغمر
القلب من حب او سكر او غفلة والشجن الحاجة حيث كانت
وحاجة المحب اشد الى محبوبه وقال الراجز
اني سابدي لك فيما ابدي
لي شجنان شجن بنجد
وشجن لي ببلاد السند   وقال اخر

تحمل اصحابى ولم يجدوا وجدى * وللناس اشجان ولى شجن وحدى
والوصب الم الحب ومرضه فان اصل الوصب المرض * والكمد
الحزن المكتوم والكمد تغير اللون * والأرق السهر وهو من
لوازم المحبة * والحنين الشوق والجنون اصل مادته الستر
والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ولا ما يضره
فهو شعبة من الجنون ومن الحب ما يكون جنونا * والود خالص
الحب والطفه وارقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة *
والخلة توحيد المحبة فالخليل هو الذى يوحد حبه لمحبوبه وهى مرتبة
لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها من العالم الخليلان ابراهيم
ومحمد صلوات الله عليهما كما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا وصح
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ
ابراهيم خليلا وفى الصحيح عنه لو كنت متخذا من اهل الأرض
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا * وقيل انما سميت خلة لتخلل المحبة
جميع اجزاء الروح قال الشاعر

قد تخللت موضع الروح منى * وبذا سمى الخليل خليلا *

وزعم من لا علم عنده ان الحبيب افضل من الخليل وقال محمد حبيب الله
وابراهيم خليل الله وهذا الزعم باطل لأن الخلة خاصة وهى
توحيد المحبة كما تقدم والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين * وقد صح ان الله تعالى اتخذ نبينا خليلا فحصل
من انعام الحب العام * على الخاص والعام

حللت بهذا حلة ثم حلة * بهذا فطاب الواديان كلاهما

والغرام الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه الحب
وفى الصحاح الغرام الولوع والغريم الذى يكون عليه الدين وقد
يكون الذى له الدين قال كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

والوله

والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله اسماء اخر غير هذه اضربت عنها خوف الأطالة * والمحبّة أمّ باب هذه الأسماء كلها وقيل الشوق جنس والمحبّة نوع منه الا ترى ان كل محبّة شوق وليس كل شوق محبّة وخالف ذلك صاحب المنظوم والمنثور فقال زعموا ان العشق والوجد والهوى ان يهوى الشئ فيتبعه غيّا كان او رشدًا والحب حرف تنتظم هذه الثلاثة فيه وقد يقال للعاشق والواجد والذى يهوى الأمر محبّ وللنّاس فى حد المحبة كلام كثير فقيل هى الميل الدايم بالقلب الهائم وقيل هى قيامك لمحبوبك بكلما يحبه منك وقيل ذكر المحبوب على عدد الأنفاس كما قال المتنبى

* يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل *

وقيل هى مصاحبة المحبوب على الدوام كما قيل

* ومن عجب انى احن اليهم * وأسال عنهم من لقيت وهم معى *
* وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * ويشتاقهم قلبى وهم بين اضلعى *

وقيل هى حضور المحبوب عند المحب دائمًا كما قال الاخر

* خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فاين تغيب *

وفى اشتقاقها ايضا اقوال فقيل هى مشتقة من حبة القلب وهى سويداوه ويقال ثمرته فسميت المحبّة بذلك لوصولها الى حبة القلب وقيل هى مشتقة من اللزوم والثبات ومنه احبّ البعير اذا برك فلم يقم وقيل من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه او ما يعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وقيل من حبّ الماء الذى يوضع فيه لانه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره اذا امتلاء به كذلك اذا امتلاء القلب من الحب فلا اتساع فيه لغير المحبوب وعلى ذكر حبّ الماء الذى يسميه المصريون الزير ما احسن قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزًا فى كوز الزير وفيه اعتراض يشينه وحسن نظم يزينه

* وذى اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب *
* اذا استولى على حب * فقل ما شئت فى الصب *

الفصل الرابع فى مدحه وذمه اقول هذا الفصل عقدناه لمدح العشق وذمه * وترياقه وسمه * فكم مدحه عاقل * وذمه متعاقل * هيهات فات من ذمه المطلوب * ومن اين للوجه المليح ذنوب * فمن خصاله المحموده * وفضائله الموجوده * ما قاله العلامة قدامه * العشق فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي كف البخيل وتصفي ذهن الغبىّ وتطلق بالشعر لسان العجم وتبعث حزم العاجز وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية الادب واول باب تفتق به الاذهان والفطن وتستخرج به دقائق المكائد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويونس اليفه وله سرور يجول فى النفوس وفرح يسكن فى القلوب * وقيل لبعض العلماء ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه * ولطفت معانيه * وملحت اشاراته * وظرفت حركاته * وحسنت عباراته * وجادت رسائله * وحلت شمائله * فواظب على المليح * واجتنب القبيح * وقيل لآخر كذلك فقال لا باس بذلك اذا عشق لطف وظرف ودق ورق * وقيل لبزرجمهر متى يكون الفتى بليغا فقال اذا صنف كتابا او وصف هوى او حبيبا وقد صدق فيما قال العباس بن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال غيره

وما سرنى انى خلى من الهوى * ولو ان لى ما بين شرق ومغرب

وقال اخر

ولا خير فى الدنيا بغير صبابة * ولا فى نعيم ليس فيه حبيب

وقال اخر

وقال آخر

اسكن الى سكن تلذ بحبه * ذهب الزمان وانت خال مفرد

وقال آخر

اذا لم تذق في هذه الدار صبوة * فموتك فيها والحياة سواء

وقال آخر

ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر * حبيبا ولا وافى اليك حبيب

وقال آخر

ما ذاق بؤس معيشة ونعيمها * فيما مضى احدٌ اذا لم يعشق

وقال المتنبي

وعذلت اهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقلت انا مضمنا لقول المتنبي هذا مع زيادة التوريه

ان تسألوا عما لقيت من الهوى * فانا الذي مارسته وعرفته
خالفت في رشف الرضاب وطعمه * وعذلت اهل العشق حتى ذقته

حكى ان الملك بهرام جور كان له ولد واحد فأراد ترشيحه للملك بعده فوجده ساقط الهمة دنئ النفس فسلط عليه الجواري والقيان فعشق منهن واحدة فأعلم الملك بهرام بذلك ففرح وارسل الى الت قيل انه عشقها ان تجني عليه وقولي انى لا اصلح الا لشريف النفس عالى الهمه ملك او عالم فلما قالت ذلك راجع العلم وما عليه الملوك من شرف الهمة حتى برع في ذلك وتولى الملك فكان من خيرهم واثبت ذلك في حكمة الى كسرى ان الملك لا يكمل الا بعد عشقه وكذلك العالم قالوا والعشق المباح مما يؤجر عليه العاشق كما قال شريك وقد سئل عن العشاق فقال اشدهم حبا اعظمهم اجرا قالوا وارواح العشاق عطرة لطيفة وابدانهم ضعيفة وارواحهم بطيئة الانقياد لمن قادها حاشى سكنها الذي سكنت اليه وعقدت حبها عليه وكلام العشاق ومنادمتهم تزيد في العقول

وتحرك النفوس وتطرب الأرواح * وتجلب الأفراح * ويتشوق الى سماع اخبارهم الملوك فمن دونهم ويكفي العاشق المسكين الذي لم يذكر مع الملوك ومع الشجعان الأبطال ان يعشق ويشتهر بالعشق فيذكر في مجالس الملوك والخلفا فمن دونهم تدون اخباره

* وتروى اشعاره * ويبقى له العشق ذكرا مخلدا ولولا العشق لم يذكر له اسم * ولا جرى له رسم * ولا رفع له راس * ولا ذكر مع الناس * وقال المرزباني سئل ابو نوفل هل سلم احد من العشق فقال نعم الجلف الجافي الذي ليس له فضل ولا عنده فهم فأما من في طبعه ادنى ظرف او معه دماثة اهل الحجاز وظرف اهل العراق فلا يسلم منه وقال بعضهم لا يخلوا احد من صبوة الا ان يكون جافي الخلقة ناقصا او منقوص البنية او على خلاف تركيب الاعتدال

فوا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر *

ويكفي العاشق ان يرتاح للمعروف * واغاثة الملهوف * كما قيل

* ويرتاح للمعروف في طلب العلا * لتحمد يوما عند ليلى شمائله *

وقال ابو النجاب رايت في الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف يلوذ ويتعوذ ويقول

وددت بان الحب يجمع كله * فيقذف في قلبي وينغلق الصدر *
فلا ينقضي ما في فوادي من الهوى * ومن فرحي بالحب وينقضي العمر *

فقلت يا فتى اما لهذه البنية حرمة تمنعك من هذا الكلام فقال بلى والله ولكن الحب ملاء قلبي فتمنيت المنى والله ما سرني ما بقلبي منه ما فيه امير المؤمنين من الملك واني ادعوا ان يثبته الله في قلبي عمري * ويجعله ضجيعي في قبري * دريت برام لا ادري * هذا دعائي وله قصدت وفيه ترغبت مما يعطي الله سائر خلقه ثم مضى قلت ذكرت هنا ما قاله الأخطل وقد لامه عبد الملك على الخمر فقال ليت شعري ما يعجبك فيها واولها مرار واخرها خمار فقال

لكن بينهما والله نشوة لا ابيعها بخلافتك يا امير المؤمنين اخذه الشاعر
فقال ان يكن اول المدام كريها * او يكن اخر المدام صداعا *
* فلما بين ذا وذاك هنات * وصفها بالسرور لن يستطاعا *
واما ما جاء في ذمه * وسريان سمه * فاكثر من ان يحصر فكم
ترك الغني صعلوكا * والمالك مملوكا * كما قيل
* ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا *
* تركته جآذر القصر صبا * مستهاما على الصعيد تريكا *
وهذه الابيات لبعض ملوك الاندلس وسيأتي ذكرها في الباب
الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكم من عاشق اتلف
في معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع اهله ومصالح دينه ودنيا
* ووقع فيما يأباه * اي والله
والعشق يجذب النفوس الى الردى * بالطبع واحسدي لمن لم يعشق
قالوا وكم عاشق هرب من الحب الى مواقف التلف ليتخلص من التلف
بالتلف وعلى هذا حكاية دعبل الشاعر قال كنت بالثغر فنودي
بالنفير فخرجت مع الناس فاذا انا بفتى يجر رمحه بين يدي فالتفت
فنظر الي فقال انت دعبل قلت نعم قال اسمع مني ثم انشد
انا في امري رشاد * بين حب وجهاد
بدني يغزو عدوي * والهوى يغزو فؤادي
ثم قال كيف ترى قلت جيد والله قال فوالله ما خرجت الا هاربا من
الحب ثم قاتل حتى قتل وقال الواوا الدمشقي
سبيل الهوى وعر * وحلو الهوى مر
وبرد الهوى حر * ويوم الهوى دهر
وقال غيره
العشق مشغلة عن كل صالحة * وسكرة العشق تنفي سكرة الوسن
وقال عبد المحسن الصوري

* وكان ابتداء الذى بى مجونا * فلما تمكن امسى جنونا *
* وكنت اظن الهوى هينا * فلاقيت منه عذابا مهينا *
وقال محمد اليزيدى
* كيف يطيق الناس وصف الهوى * وهو جليل ماله قدر *
* بل كيف يصفو لحليف الهوى * عشق وفيه البين والهجر *
وما احسن قول عبد الله بن اسباط القيروانى
قال الخلى الهوى محال * فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب * ان انت لم ترضه صرفته
وهل سوى زفرة ودمع * ان لم تردجر به كففته
فقلت من بعد كل وصف * لم تعرف الحب اذ وصفته
تنبيه الهوى اكثر ما يستعمل فى الحب المذموم قال الله تعالى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى
* وقد يستعمل فى الحب الممدوح استعمالا مقيدا ومنه الحديث
لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابن عباس
الهوى اله معبود وقرأ افرأيت من اتخذ الهه هواه فتلخص من الآية
الكريمة والحديث الشريف ان الهوى ينقسم على قسمين هوى
محمود وهو فى الخير والصلاح وهوى مذموم وهو فى الشر والفساد
وفى كتاب السهل المواتى فى فضائل بن مماتى ان بعض الصوفيه
قال انما سمى الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه الى النار قلت لو قال
يهوى بصاحبه الى الهاويه لكان انسب وقال بعضهم الهوى الهوان
زيدت فيه النون كما قيل
* فسألتها باشارة عن حالها * وعلى فيها للوشاة عيون *
* فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان ازيل عنه النون *
وقوله تعالى اخلد الى الأرض واتبع هواه قيل اخلد الى الأرض
اى سكن اليها ونزل بطبعه عليها وكانت نفسه ارضية سفليه *

لاسماوية علوية وبحسب ما يخلد العبد الى الارض يهبط من السما قال سهل قسم الله للاعضاء من الهوى لكل عضو حظا فاذا مال عضو منها الى الهوى رجع ضرره الى القلب وللنفس سبع حجب سماوية * وسبع حجب ارضية * فكلما دفن العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفن النفس تحت الثرى وصل قلبه الى العرش وحاصل القضية ان العشق والهوى اصل كل بلية * وفيه ذل كل نفس ابية * وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمرء ان يذل نفسه قال الامام احمد تفسيره ان يتعرض من البلاء لما لا يطيق وهذا مطابق لحال العاشق فانه اذل نفسه لمعشوقه كما قيل

اخضع وذل لمن تحب فليس في * شرع الهوى انف يشال ويعقد

وقال اخر

مساكين اهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين المقابر

وقال الشيخ شرف الدين ابن الفارض

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل * فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خاليا فالحب راحته عنا * فاوله سقم وآخره قتل

الفصل الخامس في اختلاف الناس فيه هل هو اضطراري او اختياري اقول هذا فصل عقدناه لما تقدم ذكره * واسفر كالصباح سفره * اذ للناس فيه كلام من الطرفين * وتبختر بين الصفين * فقائل بانه اضطراري * وقائل بانه اختياري * ولكل من القولين وجه مليح * وقد رجح * ونحن نذكر من ذلك ما يعم به الانتفاع * ونتكلم في طوله وعرضه بالباع والذراع * فمن ذلك ما قاله القاضي ابو عمرو محمد بن احمد النوقاني في كتابه تحفة الظراف العشاق معذورون على كل حال مغفور لهم جميع الاقوال والافعال اذ العشق انما دهاهم على غير اختيار بل اعتراهم على جبر واضطرار والمرء انما يلام على ما يستطيع من الامور لا في المقضي عليه

والمقدور وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحامل
كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع حملها فكيف
ترى هذه وضعته اباختيار منها كان ذلك ام باضطرار لا بل باضطرار
وفقد اقتدار هذا مما لا يشك فيه ذو لب * ولا يختلج خلافه في قلب
قلت وجاء في تفسير قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه اى رأينه في اعينهن
كبيرا وقيل حضن من الدهش وقال ابن عباس امذين وامنين
من الدهش وقطعن ايديهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن
الما لحز ايديهن لاشتغال قلوبهن بحسنه وقال وهب
كن اربعين امرأة فمات منهن تسع وجدا بيوسف وكمدا عليه
وما احسن قول بعض بني عذره وقد قال له بعض العرب ما لاحدكم
يموت عشقا في هوى امرأة يا لفها انما ذلك ضعف نفس ورقة وخور
تجدونه فيكم يا بني عذره فقال اما والله لو رأيتم الحواجب الزج *
فوق النواظر الدعج * تحتها المباسم الفلج * لاتخذتموها اللات
والعزى وقال الفضيل بن عياض لو رزقني الله دعوة مجابة لدعوت
الله تعالى بها ان يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختياريه
ورئى ابو السائب المخزومي وكان من اهل العلم والدين بمكان
متعلقا باستار الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين وقو
قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقيل له في ذلك فقال
والله للدعاء لهم افضل من عمرة من الجعرانة ثم انشد

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى * للعاشقين يطيب يا هجر
ماذا تريد من الذين جفونهم * قرحى وحشو قلوبهم جمر
متذبلين من الهوى الوانهم * مما تجن قلوبهم صفر
وسوابق العبرات فوق خدودهم * درر تفيض كانها قطر

والظاهر ان قوله افضل من عمرة من الجعرانة هو الذي جسر
الفتح بن خاقان على قوله من ابيات

* ايها العاشق المعذب صبراً * فخطايا اهل الهوى مغفوره *
* زفرة فى الهوى احط لذنب * من غزاة وحجة مبروره *

قلت وقد بالغ فى هذا الكلام * حتى استحق الملام * فليته اكتفى بما قيل فى التمثيل

على اننى راض بان احمل الهوى * واخلص منه لا علىّ ولا ليا

والظاهر ان الحامل له على هذا ما ذهب اليه الشافعى فى ان الميت عشقاً من الشهداء للحديث الوارد فى ذلك وسيأتى ذكره فى باب العفاف ان شاء الله تعالى وقال التميمى فى كتابه امتزاج الأرواح سئل بعض الاطباء عن العشق فقال ان وقوعه باهله ليس باختيارهم ولا بحرصهم عليه ولا لذة لاكثرهم فيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفة والامراض المتلفة لا فرق بينه وبين ذلك وقال المدائنى لام رجل رجلاً من اهل الهوى فقال لو كان لذى هوى اختيار لاختار ان لا يهوى ولكن لا اختيار لذى هوى قالوا والعشق نوع من العذاب والعاقل لا يختار العذاب لنفسه وفى هذا قال المؤمل

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر
يكفى المحبين فى الدنيا عذابهم * والله لا عذبتهم بعدها سقر

حكى انه نال ما تمنى لانه عمى بعد قوله هذا وقال ابو محمد بن حزم قال رجل لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين انى رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لا يملك وقال كامل فى سلمى

يلوموننى فى حب سلمى كانما * يرون الهوى شيئاً تمنيته عمدا
الا انما الحب الذى صدع الحشا * قضاء من الرحمن يبلو به العبدا

وقال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وانما ارادوا به التمثيل وان العشق من تحميل ما لا يطاق

والمراد بالتحميل هاهنا التحميل القدرى لا الشرعى الامرى انتهى كلامه وقال عبد الله بن طاوس فى قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا قال اذا نظر الى النساء لم يصبر نقله عنه سفيان بن سعيد فى تفسيره وقالوا قد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم ان يعافيهم الله من العشق ولو كان اختياريا لأزالوه من نفوسهم ومن هنا يتبين خطأ كثير من العاذلين ويظهر ان عذلهم فى هذا الحال بمنزلة عذل المريض فى مرضه وما احسن قول بعضهم

* يا عاذلى والأمر فى يده * هلا عذلت وفى يدى الأمر *

وانما ينبغى العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب * وانصباب دمع العاشق الصب * وذهب جماعة من الأطباء وغيرهم الى انه اختيارى لا اضطرارى وقد تقدم فى حد العشق الذى ذكره ابن سينا وغيره انه مرض وسواسى يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل فهذا تصريح منهم بان الانسان هو المختار فى العشق بتسليط فكرته الواقع فى بحار سكرته قالوا ولان المحبة ارادة قوية والعبد يحمد ويذم على ارادته ولهذا يحمد مريد الخير وان لم يفعله ويذم مريد الشر وان لم يفعله وقد ذم الله تعالى الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين امنوا واخبر ان عذابهم اليم ولو كانت المحبة لا تملك لم يتوعدهم بالعذاب على ما لا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى ومحال ان ينهى الانسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته قالوا والعقلاء قاطبة مطبقون على لوم من يحب ما يتضرر بمحبته وهذه فطرة فطر الله عليها الخلق فلو اعتذر بانى لا املك قلبى لم يقبلوا له عذرا قلت والقول الصحيح الذى ليس فيه رد * ولا عن محبوبه صد * التفصيل فى ذلك وهو ان العشق يختلف باختلاف بنى آدم وما جبلوا عليه من اللطافة ورقة الحاشية وغلظ الكبد وقساوة

القلب ونفور الطباع وغير ذلك فمنهم من اذا راى الصورة الحسنة مات من شدة ما يرد على قلبه من الدهش كما تقدم فى حق النسوة اللاتى قطعن ايديهن لما رأين يوسف عليه الصلاة والسلام وقد كان مصعب بن الزبير اذا رأته المرأة حاضت لحسنه وفيه يقول الشاعر

* انما مصعب شهاب من الله * تجلت بنوره الظلماء *

ومنهم من اذا راى المليح سقط من قامته * ولم يعرف نعله من عمامته * قال الشاعر

* فما هو الا ان يراها فجاءة * فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فهذا وامثاله عشقه اضطراري والمخالفة فيه مكابرة فى المحسوس ومنهم من يكون اول عشقه الاستحسان للشخص ثم تحدث له ارادة القرب منه ثم المودة وهو ان يود لو ملكه ثم يقوى الود فيصير محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى ثم يصير عشقا ثم يصير تتيما والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق ثم يزيد التتيم فيصير ولها والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن التمييز فهذا وامثاله مبدأ عشقه اختياري لانه كان يمكنه دفع ذلك وحسم مادته على ان هذا النوع ايضا اذا انتهى بصاحبه الى ما ذكرناه صار اضطراريا كما قال الشاعر

العشق اول ما يكون مجانة * فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

ولهذا قال بعض الفلاسفة لم ار حقا اشبه بباطل ولا باطلا اشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل اوله لعب * واخره عطب * قال الشاعر

* تولع بالعشق حتى عشق * فلما استقل به لم يطق *
* راى لجة ظنها موجة * فلما تمكن منها غرق *

قال صاحب روضة المحبين وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر فان تناول المسكر اختياري وما يتولد عنه من السكر اضطراري

فمتى كان السبب واقعاً باختياره لم يكن معذوراً فيما تولد عنه بغير اختياره ولا ريب ان متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب ولهذا اذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته او جاريته ثم فارقها وبقي عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على ذلك كما في قصة مغيث وبريرة المشهورة وقد ظهر بهذا ان العشق يكون اضطرارياً تارة وتارة اختيارياً وذلك بحسب حالة العاشق كما تقدم فحينئذ يكون ادعاء من قال انه اضطراري مطلقاً او اختياري مطلقاً غير مقبول * عند ذوي العقول * والله تعالى اعلم * اقول والى هنا انتهى الكلام على هذه الفصول التي طاب زمانها واعتدل * وظهر بها في وجنة الورد حمرة الخجل وما بقي الا الدخول في الابواب على الوجه المقترح * والاتيان بما فتح الله سبحانه ومن دق باب كريم فتح * الباب الاول في ذكر الحسن والجمال * وما قيل فيهما من تفصيل واجمال * اقول هذا باب عقدناه للكلام على الحسن واقسامه * والحبيب وكلامه * ولا سيما اذا ابتسم عن حبب * واضطرب في ثغره الضرب * فعذب مقبله * وتساوى من حسنه في الحال ماضيه ومستقبله * هنالك يحتوي من الجمال على القسمين اللذين هما الظاهر والباطن * والظاعن والقاطن * فالجمال الباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعه * والجود والشجاعه * والجمال الظاهر ما ظهر من غصن قوامه الرطيب * ووجهه الذي فاق البدر بلا غيبة للشمس عند المغيب * فعند ذلك يشمت بالبدر بشاماته * ويقول لخده الذي ازداد بها حسناً من زاد زاد الله في حسناته * فلذلك قيل الحسن الصريح ما استنطق الافواه بالتسبيح * وقيل بل هو كما قيل

شئ به فتن الورى غير الذى * يدعى الجمال ولست ادرى ما هو
قلت وهو الصحيح لانه لا يدرى كنهه ولا يعرف شبهه حتى كانه
نكرة لا تتعرف ومجهول لا يعرف ولذلك قال بعضهم للحسن معنى
لا تناله العبارة ولا يحيط به الوصف وقيل الحسن مشتق
من الحسنة قلت والذى يظهر انه لهذا المعنى قيل للشامات
حسنات قال بعضهم فى سوداء مليحه

* يا رب سوداء تجلى * بحسنها الظلمات *
* ماذا يعيبون فيها * وكلها حسنات *

وقلت انا

ووجه زال رونقه فاضحت * محاسنه بلحيته عيوبا
قليل الحظ بالشامات امسى * فما حسناته الا ذنوبا

وقيل الحسن امر مركب من اشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل
وتخطيط ودموية فى البشرة وقيل الحسن تناسب الخلقة واعتدالها
واستواؤها ورب صورة متناسبة الخلقة وليست فى الحسن
بذلك وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا تم بياض المرأة
فى حسن شعرها فقد تم حسنها وقالت عايشة رضى الله عنها
البياض شطر الحسن وقالوا فى الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب
فالجميلة التى تأخذ جملة بصرك فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة
التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمنة
من الجمل وهو الشحم والمليحة ايضا من الملحة وهى البياض والصبيحة
كذلك من الصبح لبياضه وقال بعضهم الظرف فى القد والبراعة
فى الجيد والرقة فى الاطراف والخصر والشأن كله فى الكلام
واحسن الحسن ما لم يجلب بتزيين وقال امرؤ القيس

وجدت بها طيبا وان لم تطيب * وقال اخر

* ان المليحة من تزين حليها * لا من غدت بحليها تتزين *

وقال بعض اهل اللغة العرب تقول الحلاوة في العينين والملاحة
في الفم والجمال في الانف والظرف في اللسان ومنه قول الحسن
رضي الله عنه اذا كان اللص ظريفا لا يقطع اى اذا وقع دفع عن
نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه وما احسن قول بعضهم البدن
فيه الوجه والاطراف * وفي الوجه المحاسن واليها الاستشراف
* وفي المحاسن النكت التي هي الغاية في الاستحسان والاستطراف
* كالملاحة في العين ونكتة الملاحة الدعج وكالحسن في الفم
ونكتة الحسن الفلج وكالطلاوة في الجبين ونكتة الطلاوة البلج
وكالرونق في الخد ونكتة الخد الضرج * ومما يستحسن في المرأة
طول اربعة وهي اطرافها وقامتها وشعرها وعنقها * وقصر
اربعة يديها ورجليها ولسانها وعينيها * والمراد بهذا القصر
المعنوي فلا تبذر ما في بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل
بلسانها ولا تطمح بعينها * وبياض اربعة لونها وفرقها وثغرها
وبياض عينيها * وسواد اربعة اهدابها وحاجبها وعينيها وشعرها
* وحمرة اربعة لسانها وخدها وشفتيها مع لعس واشراب
بياضها بحمرة * وغلظ اربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها
وما هنالك * وسعة اربعة جبهتها وجبينها وعينها وصدرها
* وضيق اربعة فمها ومنخرها ومنفذ اذنيها وما هنالك وهو
المقصود الاعظم من المرأة قيل وجدت جارية في زمن بني ساسان
بهذه الصفات المذكورة جميعها فما كان احقها ان يقال في حقها
لو ان عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها
وحكي ان يعصور احد ملوك الصين اهدى الى كسرى انوشروان
ملك فارس هدية من جملتها جارية تغيب في شعرها وتتلألأ اجمالا
فبعث اليه كسرى بهدية من جملتها جارية طولها سبعة اذرع
تضرب اهداب عينيها خديها كأن بين اجفانها لمعان البرق

خال

مقرونة

مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرهن اذا مشت * فصل قال في روضة المحبين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف هذه الامة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت امرء قد حسن الله خلقك فاحسن خُلقك وقال بعض الحكماء ينبغي للعبد ان ينظر كل يوم في المرأة فان راى صورته حسنة فلا يشينها بقبيح فعله وان راها قبيحة فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل وقد نظم بعضهم هذا فقال

يا حسن الوجه توق الخنا * لا تفسدن الزين بالشين
ويا قبيح الوجه كن محسنا * لا تجمعن بين قبيحين

ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس معظما في القلوب لم يبعث الله نبيا الا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كما قال علي بن ابي طالب وقد سئل اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر وفي صفته صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه فكان كما قال شاعره حسان بن ثابت

متى يبد في الداجي البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان او من قد يكون كأحمد * نظام لحق او نكال لملحد

وقال ايضا

فأجمل منه لم ترقط عيني * واكمل منه لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كانك قد خلقت كما تشاء

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رآه يقول

امين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه ينشد قول زهير

لو كنت من شيء سوى بشر * كنت المضيء لليلة البدر

ونظرت اليه عايشة يوما ثم تبسمت فسألها عن ذلك فقالت

كأنّ اباكثير الهذلى اياه عناك بقوله *

واذا نظرت الى اسرّة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وفى الجملة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن فى الذروة العليا وروى انّ بعض الصحابة لقى راهبا فقال صف لى محمّدا كأنى انظر اليه فأنى رايت صفته فى التوراة والانجيل فقال لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير فوق الربعة ابيض اللون مشربا بالحمرة جعد الشعر ليس بالقطط جمته الى شحمة اذنه صلت الجبين واضح الخد ادعج العينين اقنى الانف مفلج الثنايا كأنّ عنقه ابريق فضة وجهه كدائرة القمر فأسلم الراهب وكان صلى الله عليه وسلّم مع هذا الحسن قد القيت عليه المحبّة والمهابة فمن وقعت عليه عيناه احبّه وهابه وقد كمل الله سبحانه له مراتب الكمال ظاهرا وباطنا فكان احسن خلق الله خَلقا وخُلقا صورة ومعنى وهكذا كان يوسف عليه الصّلاة والسّلام قال ربيعة قسم الحسن نصفين فبين سارة ويوسف نصف الحسن ونصف الحسن بين سائر النّاس وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلّم انه راى يوسف ليلة الاسرى وقد اعطى شطر الحسن وكان النبىّ صلى الله عليه وسلّم يستحسن ان يكون الرّسول حسن الوجه حسن الاسم وكان يقول اذا ابردتم بريدا فليكن حسن الوجه حسن الاسم وقد روى الخرائطى من حديث ابن جريج عن ابى مليكة يرفعه من اتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله فى موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه وقال وهب قال داود يا ربّ اى عبادك احبّ اليك قال مؤمن حسن الصّورة فقال اى عبادك ابغض اليك قال كافر قبيح الصّورة ويذكر عن عايشة رضى الله عنها انّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم كان ينتظره نفر من اصحابه على الباب فجعل ينظر فى المرآة ويسوى شعره ولحيته ثم خرج اليهم فقالت يا رسول الله

وانت

وانت تفعل هذا فقال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليجملن نفسه
فان الله جميل يحب الجمال وقال معاوية لرجل دخل عليه فرأى في وجهه
ما يكرهه مما يمكن ازالته ما يمنع احدكم اذا خرج من منزله ان
يتعاهد اديم وجهه * فصل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم اى في احسن تعديل القامته وصورته وحسن شارته
منتصبا يتناول ماكوله بيده مزينا بالعقل لا كالبهائم وعلى هذا
حكاية الرشيد لما خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم
تكوني احسن من هذا القمر فانت طالق فافتى علماء زمانه بالحنث
الا يحيى بن اكثم فانه قال لا يقع عليه الطلاق فقيل له خالفت
شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى به من هو اعلم منا وهو
الله سبحانه وتعالى حيث قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
وجاء في تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء انه الصوت الحسن
والوجه الحسن ولهذا قال ابو فراس

قد فاق بدر السماء حسنا * والناس في حبه سواء
فزاده ربه عذارا * تم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير * يزيد في الخلق ما يشاء

وحكى عن بعض النساء انها كانت تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك
فقالت انها تحسن الوجه وانا احب ان يحسن وجهي * وحكي
ان المامون استعرض جيشا فمر رجل قبيح الوجه فاستنطقه فرآه
الكن فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع اثرها في الظاهر كانت
صباحة واذا وقع اثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر
له ولا باطن وكل شخص له حكمان احدهما من جهة جسمه وهو منظره
والاخر من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فرع
اصحاب الفراسة من معرفة احوال النفس الهيئة البدنية حتى قال
بعض الحكما قل ما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وقد قال

عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فهذا كله
يدل على ان الحسن وكمال الجسم من الفضائل ويدل عليه قوله تعالى وزاده
بسطة في العلم والجسم والحسن اول سعادة الانسان لان الله
تعالى بلطيف حكمته لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من
الآفات الا واضاف اليها ما يناسبها من العقل والصفات وقلما
تجد الخلق الا تبعا للخلقة تناسبا مطردا واصلا لا ينعكس
واجماعا لا ينفرد وما خلق الله نبيا قط الا وقد بهر اهل زمانه بحسنه
واحسانه فاذا نظرته اول مرة رأيته احسنهم صورة وانقاهم بنية
فهو اولاهم مرتبة واعلاهم منقبة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يعذب
الله حسان الوجوه سود الحدق قال الامام فخر الدين الرازي
في اسرار التنزيل ما ملخصه حسن الصورة وان كان امرا مرغوبا فيه
فان حسن السيرة افضل منه ويدل عليه وجوه منها ان حسن الصورة
من مطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولا شك ان الحكمة
افضل من الشهوة فكان حسن السيرة افضل من حسن الصورة لا محالة
ومنها ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجتمع له حسن الصورة وحسن
السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع في انواع من البلايا منها ان اباه
كان يحبه ازيد من اخوته بدليل قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب
الى ابينا منا فلهذا قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم ومنها انه وقع بسبب الحسن في
اسر الرق ومراودة امرأة العزيز وادخاله السجن بسبب ذلك فلما علم
الملك بعد ذلك حسن سيرته اصطفاه لنفسه وقال له انك اليوم
لدينا مكين امين ولم يقل صبيح مليح فدل ذلك على ان حسن السيرة افضل
من حسن الصورة ومعلوم ان حسن الصورة لا تبقى الا اياما قلائل
واما حسن السيرة فانه لا يزول اثره ولا تبطل نتيجته قلت وممن
حصل له الاذى بسبب حسن صورته نصر بن حجاج وذلك ان عمر ابن

الخطاب

الخطاب رضي الله عنه مرّ ليلا فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها * ام هل سبيل الى نصر بن حجاج

فدعا نصر بن حجاج وهو من بني سليم فرآه احسن الناس وجها وله شعر حسن فحلق شعره فكان احسن منه بشعر فقال لا تساكني في بلد فتشفع نصر اليه ان لا يخرجه من المدينة فلم يقبل عمر رضي الله عنه فلمّا ودّعه نصر قال له يا امير المؤمنين لقد سمتني قتل نفسي فقال عمر كيف ذلك فقال قال الله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم فقرن هذا بهذا فقال عمر ما بعدت لكن اقول ما قال شعيب عليه السلام ان اريد الّا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الّا بالله ولقد اضعفت لك يا نصر عطاك ليكون ذلك عوضا لك اقول ذكرت بحلقه شعره فكان احسن منه بشعر قول بعضهم في ذلك

حلقوا رأسه ليزداد قبحا * غيرة منهم عليه وشحّا
كان صبحا عليه ليل بهيم * فمحوا ليله وابقوه صبحا

وما احسن قول السّراج الورّاق في مليح قلندري

عشقت من ريقته قرقفا * وما الّذ ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد في عدله * فاختار ان يبقى بلا حاجب

وقال بن سنا الملك

حكيت جسمي نحولا * فهل تعشقت حسنك
وكان جفنك مضني * فصرت كلّك جفنك
وزادك السّقم حسنا * والله انّك انّك

فصل قد تقدم ذكر ما يستحسن من المرأة فلنذكرها هنا ما قالته الشعراء في تشبيه الاعضاء بالحروف لانهم اكثروا من ذلك فشبهوا الحاجب بالنّون والعين بالعين والصّدغ بالواو والفم

بالميم والصاد والثنايا بالسين والطرة المضفورة بالشين ومن
احسن ما قيل في ذلك قول محاسن الشوا

ارسل فرعا ولوى هاجرى * صدغا فأعيى بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذى الف ليست لوصل وذى * واو ولكن ليست العاطفه

وقول الاخر

ياسين طرتها وصاد عيونها * انى اعوذها بسورة طه

وقول ابن مطروح

قالت لنا الف العذار بخده * فى ميم مبسمه شفاء الصادى

وقول ابن نقاده

صنم الجمال فصاده من عينها * والنون حاجبها بخال ينقط
والميم فوها فالحروف تالفت مكتوبة والصبر عنها يكشط

وقول الاخر

لا تقل لى لا فمكتوب على * وجهك المشرق نورا نعم
بحروف صورت من قدرة * ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان والميم الفم

وقال شهاب الدين احمد بن الخيمى

ان صدغ الحبيب والفم والعا * رض منه واو وصاد ولام
هى وصل بين المحاسن لما * تم حسنا وبالعذار التمام
غير انى اراه وصل وداع * فيه يقضى افتراقنا والسلام

وقلت انا

حبيب تعالى قده حين سمته * وقال قوامى رمحه ما يقوم
وخط عذارى اعجم الخال لام * ولم ادر ان اللام فى الخط يعجم

وقلت ايضا

يرنوا الى بعين نون حاجبها * كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان

وقلت ايضا فى عكس هذا المعنى وهو تشبيه الحروف بالاعضاء فى تقريظ قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن

فكم الف بها امسى * رشيق القامة النضره
وكم شين بحاشية ال * كتاب تخالها طره
وعين اصبحت فى العيـ * ـن مثل العين والنقره

وقلت ايضا فى تقريظ كتاب ورد على من بعض الاحباب من رسالة افتتحها بقصيدة منها

رفضت النوم بعدك يا على * فلا تعجب لدمعى ان توالا
ووافانى كتاب منك عال * حكت الفاته السمر الطوالا
وكم شاهدت من خط ولكن * مثالك ما رايت له مثالا
لين امست به الفات قطع * فكم وصل به ضمن الوصالا
وكم الف به للوصل لاحت * كغصن البان لينا واعتدالا
تعانق لامها طورا يمينا * وآونة تعانقه شمالا
ظننت اللام فيه عذار خد * وخلت النقط فوق الخد خالا
وامسى طالع الطا آت فيه * يعلم لينه الغصن الكمالا

وقال القاضى الفاضل من رسالة كتب بها الى موفق الدين خالد القيروانى وقد وقف له على رسالة كتبها بالذهب جاء منها فمن الفات الفت الهمزات غصونها حمائم * ومن لامات بعدها يحسدها المحب على عناق قدودها النواعم * ومن صادات نقعت غلة القلوب الصوادى والعيون الحوائم * ومن واوات ذكرت ما فى وجنة الاصداغ من العطفات * ومن ميمات دنت الافواه من ثغرها لتنال جنى الرشفات * ومن سينات كانها الثنايا فى تلك الثغور * ومن دالات دالات على الطاعة لكاتبها باانحناء الظهور * ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب التى تخفق روعات الاستحسان كالطيور * وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين

وخالد فيها خالد * وتحيته فيها المحامد * ويده تضرب في ذهب ذائب * والناس تضرب في حديد بارد * الباب الثاني في ذكر المحبين الظرفا * من الملوك والخلفا * اقول هذا باب عقدناه لذكر احسن الملوك طباعا * واطولهم باعا * واطيبهم عيشا * واكثرهم طيشا * وارقهم شعرا * وادقهم فكرا * واقربهم مرجوعا * واكثرهم بالحبيب ولوعا * اذهم في الحقيقة اولى الناس بذلك * واحقهم باللوم على تلك الارائك * وذلك بحسب ما سولته لهم نفوسهم * وزينته لهم جليسهم * كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

فمنهم من قنع من محبوبه بالنظر حتى مات كمدا * والحق مثل نور الدين الشهيد بالشهدا * وستاتي حكايته في باب العفاف ان شاء الله تعالى ومنهم من اصبح دونه في العفاف * واقام سالف محبوبه مقام السلاف * ومنهم من خلع العذار * واحتج بقول الشاعر في العقار

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

فجمع ما بين ذات العقود * وابنة العنقود * ولكن مع صيانة * ورجوع الى ديانة * فهو وان طال به المجلس اختصر * وان جنى فيه على محبوبه اعتذر * كما قيل

ان اكن قد جنيت في السكر ذنبا * فاعف عني يا راحة الارواح
اي عقل يبقى هناك لمثلي * بين سكر الهوى وسكر الراح

ومنهم من نال بالراح اللذة المحظوره * واخرج بها وجنة الحبيب من صورة الى صوره * فجاري النديم في الجريال * وسما الى الحبيب سمو حباب الماء حالا على حال * فافضى به ذلك الى هلكه * وفساد ملكه * كما اتفق للامين بن الرشيد وغيره قال الربيع قعد

الامين يوما للناس وعليه طيلسان ازرق وتحته لبد ابيض فوقع في ثمانماية قصة فوالله لقد اصاب وما اخطأ واسرع فما ابطأ ثم قال يا ربيع اتراني لا احسن التدبير والسياسة ولكني وجدت شم الآس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نفاس اشهى لي من مقابلة الناس وكذلك خلع قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والامراء ممن آثر راحة النفس على تعب السياسة والذي اراه طلاق ما ذهبوا اليه بالصريح * ومفارقة الجميع على وجه مليح * كما قيل

لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه مليح

وما احسن قول ابي الفتح البستي

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب

اما ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدا وهو برج اللهو والطرب

ومن هنا نشرع في ذكر من ذل لمحبوبه من الملوك فاصبح مع كونه مالكا له كالمملوك وهم في ذلك لشدة الباس * على خلاف ما عليه الناس * وذلك لأن العشق واصحابه طبقات فمنهم من لا يطيب له العشق الا بالذل وهذا هو الغالب على العشاق الصادقين في المحبة كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض

ولو عز فيها الحب ما لذ لي الهوى * ولم يك لولا الذل في الحب عزتي

وكما قيل

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة * فكم عزة قد نالها المرء بالذل

ومنهم من يرى توحيد المحبوب وعدم الشريك كما قيل

ليس في القلب موضع لحبيبين ولا احدث الامور اثنان

فكما العقل واحد ليس يدري خالقا غير واحد رحمن

فكذا القلب واحد ليس يهوى غير فرد مباعدا ومدان

وكذا الدين واحد مستقيم وكفور من عنده دينان

هو في شرعة المودة ذو شر * ك بعد من صحة الايمان

فمن كان على خلاف هذا ممن يرى الشريك في المحبة كالرشيد وغيره كما ياتي بيانه في بابه لم يكن محبا حقيقة وهذا الغالب على الملوك لكثرة ما لديهم * واختلاف الشكل عليهم * كما قيل

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

فالملوك ليسوا كغيرهم لقدرتهم على من يحبونه بالنقود النضه * والقناطير المقنطرة من الذهب والفضه * نعم قد يعشق الملك العظيم فلا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وانما اكثر ما يظهر من امر الملوك ان يضعوا محبوبهم في مقام مالكهم وهم مالكوه كما قال الحكم بن هشام ملك الاندلس

ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا

تركته جاذر القصر صبا * مستهاما على الصعيد تريكا

يجعل الخد واضعا فوق ترب * للذي يجعل الحرير اريكا

هكذا يحسن التذلل بالحر * اذا كان في الهوى مملوكا

وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جواري

ملك الثلاث الآنسات عناني * وحللن من قلبي بكل مكان

مالي تطاوعني البرية كلها * واطيعهن وهن في عصياني

ما ذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعز من سلطاني

وقال المستعين بالله بن الحكم الاموي احد خلفاء المغرب واجاد

عجبا يهاب الليث حد سناني * واهاب لحظ فواتر الاجفان

واقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران

وتملكت نفسي ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان

حاكمت فيهن السلو الى الصبا * فقضى بسلطان على سلطان

فابحن من قلبي الحمى وتركنني * في عز ملكي كالاسير العاني

لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى * ذل الهوى عز وملك ثاني

ماضرّ انى عبدهنّ صبابة * وبنو الزمان وهنّ من عبدانى
قلت وكم مثله من ملك قاهر * وسلطان قادر * تذل الهيبة
الأملاك * وتذعن لسطوته الفتّاك * هدم الهوى اركانه * واذل
عزّه وسلطانه * فقصر جفنه في الليالى الطوال * واوقعه مع
عقله الحسن في اسر الأعتقال فقال

اما يكفيك انكِ تملكيني * وانّ النّاس كلهم عبيدى
وانك لو قطعت يدى ورجلى * لقلت من الرضى احسنت زيدى

وقيل هما للرشيد وقيل هما للمأمون وقيل هما للمهدى وقال الشيخ
اثير الدين ابو حيّان كان السلطان ابو عبدالله محمد ابن السلطان
الغالب بالله احد ملوك الأندلس جميلا احسن السياسة متظاهرا
بالدين رايته مرارًا بغرناطة وانشدنى شعرا وحضرت عنده
انشاد الشعرا ومن شعره

ايا ربّة الخدر التى اذهبت نسكى * على كلّ حال انت لا بدّ لى منك
فامّا بذل وهو اليق بالهوى * واما بعزّ وهو اليق بالملك

وقال الملك الامجد

من مثلى في عصرى * بستانى في قصرى
معشوقى مملوكى * غنّالى من شعرى

وقال الملك الظاهر في مملوكه ايبك الجامدار

انا مالك مملوك ظبى اغيد * ومن العجائب مالك مملوك
وانا الغنىّ وانّنى من وصله * بين البريّة معدم صعلوك
ولكم سفكت دما بسيفى عنوة * ودمى بسيف لحاظه مسفوك

وقال الملك الاشرف فى مملوكه وكان خانداره دوبيت

افدى قمرًا تحار فيه الصفة * يسخو بدمى وهو امين ثقة
ماذا عجبًا يحفظ مالى ويرى * روحى تلفت به ولا يلتفت

وبقيّة ماله من المقاطيع ذكرتها فى الباب الاول من نقل الكرام

في مدح المقام وذكرت فيه ايضا حكاية محبوبة ابن مملوكه وما بان فيها عنه من حسن السيرة وهي من اغرب ما يحكى عن الملوك وقال الملك تميم

بالله جدلي بوعد صدق * وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعني اظل اشكو * مثل محياك ليس يشكا

وحكى عن المأمون انه غضب على جاريته عريب المغنية وكان كلفا بها فاعرض عنها واعرضت عنه ثم اسلمه الغرام واقلقه الشوق حتى ارسل اليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلمها فلم ترد عليه فانشأ يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام * ولا يزري محاسنك السلام
انا المأمون والملك الهمام * ولكني بحبك مستهام
يحق عليك ان لا تقتليني * فيبقى الناس ليس لهم امام

فقالت له يا امير المؤمنين والدك امير المؤمنين هارون الرشيد اعشق منك حيث يقول ملك الثلاث الانسات الابيات المتقدمة وتمام حكايتها ذكرتها في الباب الثاني من السكردان وهي حكاية مليحة جدا ورأى المأمون ايضا يوما غلاما مليحا لاحمد بن يوسف فقال ما اسمك فقال فتح فقال المأمون

يا فتح يا فاتحا لسلواني * ويا عليما بطول شكواني
الحمد لله لا شريك له * مولاك عبدي وانت مولاني

فبلغ ذلك احمد فوهبه الغلام قلت فكان كما قيل كلما يصلح للمولى على العبد حرام وقعد والده الرشيد يوما عند زبيده وعندها جواريها فنظر الى جارية واقفة على راسها فاشار اليها ان تقبله فاعتلت بشفتيها فدعا بدواة وقرطاس فوقع فيه

قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه

ثم ناولها القرطاس فوقعت فيه

فما برحت مكاني * حتى وثبت عليه

فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فمضى بها واقام معها اسبوعا لا يدري مكانهما فكتبت اليه زبيده

وعاشق صب بمعشوقة * كانما قلباهما قلب
روحاهما روح ونفساهما * نفس كذا فليكن الحب

وحدث ابو جعفر قال بينما محمد بن زبيدة يطوف في قصر له اذ مر بجارية له سكرى وعليها مطرف خز وهي تسحب اذيالها من التيه فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين انك قد هجرتني مدة ولم يكن عندي علم بموافاتك فانظرني الليلة حتى اتهيأ للقياك وآتيك في غد فلما اصبح انتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسألها انجاز الوعد فقالت يا امير المؤمنين اما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج من مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقيل له مصعب والرقاشي وابو نواس فامر بهم فدخلوا فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كل واحد منكم شعرا يكون اخره كلام الليل يمحوه النهار فانشأ الرقاشي يقول

متى تصحو وقلبك مستطار * وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما * فتاة لا تزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت * كلام الليل يمحوه النهار

وقال مصعب

اتعذلني وقلبي مستطار * كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادي * بالحاظ يخالطها احورار
ولما ان مددت يدي اليها * لالمسها بدا منها نفار
فقلت لها عديني منك وعدا * فقالت في غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا اجابت * كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو نواس

وخود اقبلت فى القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الرداء عن منكبيها * من التخميش وانحل الازار
وهز الريح اردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
هممت بها وكان الليل سترا * فقام لها على المعنى اعتذار
وقالت فى غد فمضيت حتى * اتى الوقت الذى فيه المزار
وقلت الوعد سيدتى فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال له ويلك اكنت مطلعا علينا او ثالثنا فى القصر فقال لا والله يا امير المؤمنين ولكن نظرت اليك فعرفت ما فى نفسك وعبرت عما فى ضميرك فأمر له باربعة الاف درهم ولصاحبيه مثلها وذكرت هنا ما قلته فى ابن نهار

اقول لموعدى زورا بليل * بدا كالبدر فيه ثم غابا
كلام الليل يا ابن نهار زبد * اذا طلعت عليه الشمس ذابا

وقلت

اتبيت ريان الجفون من الكرى * وابيت اسهر فيك مع سمارى
وتلوم ان اصبحت فى يوم الجفا * مجنون ليلى فيك يا ابن نهار

حكى انه كان للمتوكل غلام اسمه شفيع وكان من احسن الفتيان فكان المتوكل يجن به جنونا فاحب يوما ان ينادم حسين بن الضحاك وان يرى ما بقى من شهوته وكان قد اسن فاحضره فسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل اتخمش اخص خدمى بحضرتى فكيف لو خلوت به ما احوجك الى الادب وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيا بزهرة * من الورد يمشى فى قراطق كالورد
تمنيت ان اسقى بعينيه شربة * تذكرنى ما قد نسيت من العهد

سقى الله دهراً لم ابت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد
ثم دفعها لشفيع فاعطاها للمتوكل فاستملحها وقال احسنت
يا حسين ولو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتى
يا شفيع الا كنت ساقيه بقية يومنا وامر له بمال كثير وكان
شفيع المذكور يكتب على طراز قبابه الايمن

بدر على غصن نضير * شرق الترائب بالعبير

ويكتب على الطراز الايسر

خطت صحيفة وجهه * فى صفحة القمر المنير

ومن غريب ما يحكى ان يزيد بن عبد الملك ابن مروان كان صبّاً
بحبابه جاريته فخلا يوما فى لهو معها وقال لاكذبنّ قول من
قال ان الدهر لا يصفو لاحد يوماً واحضر حاجبه وقال له
لا تاذن لاحد يدخل علىّ ولا تعلمنى بخبر ولو كان فيه ذهاب
ملكى مدّة هذا اليوم واقام معها فى اتم حال فتناولت رمّاناً
فشرقت فماتت لوقتها فعرض له عليها طرف من الوله فحال بينه
وبين الصّبر ومنع من دفنها حتى ساله جماعة من بنى اميّة فى
دفنها ولاطفوه فى ذلك فامر بدفنها وقال

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى * فباليأس نسلو عنك لا بالتجلّد

وقيل انّه لم يقم بعدها الا سبعة ايام ومات اسفا عليها
ومثل فعله هذا فى عدم دفنه لمحبوبته ما حكيته فى نقل الكرام
فى مدح المقام فى الباب الرابع عن السلطان جلال الدين
خوارزم شاه لما مات مملوكه قلج ومنع من دفنه فكان يحمل معه
فى محفة وكلما حضر بين يديه طعام قال احملوا هذا الى قلج
فقال له بعض الامرآء ايها الملك قد مات قلج فضرب عنقه
فلا حول ولا قوة الا بالله وتمام حكايته ذكرتها فى الكتاب
المذكور * الباب الثالث فى ذكر من عشق على السماع

* ووقع من النزوع الى الحبيب فى النزاع * اقول هذا باب عقدته لذكر من عشق قبل ان يرى * فتم عليه ما تم لما جرى من سمعه ما جرى * فاصبح لا يقر له قرار بعد ان كان قرير العين * وشهد على عينيه بما لم تريا فكان كمن كلف ان يعقد بين شعرتين كم ليلة رقص فيها على السماع * وجمعة سهر من لياليها مثنى وثلاث ورباع * فهو اعلا طبقة ممن عشق باللمس * او غيرها من بقية الحواس الخمس * والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب فى نفس الامر * أو تعارف سابق فى عالم الذر * كما قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس * واحسن فى الاقتباس

محبة ما عرفت الدهر سلوتها * تسرى الى النفس او تجرى مع النفس
وما لها اخر لكن اولها * تعارف سابق فى حضرة القدس
فى عالم الذر نادانى البشير بها * اهلا بعيتها طهرا من الدنس
اشهى الى القلب من امن على وجل * ومن مجال الكرا فى الاعين النعس

قولى لمشاكلة بينه وبين المحبوب الى اخره فيه اشارة الى انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق فى بعض الصفات لابد من هذا ولهذا اغتم ابقراط حين وصف له رجل من اهل النقص انه يحبه فقال ما احبنى الا وقد وافقته فى بعض اخلاقه ويؤيد هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم وقد سال عايشة رضى الله تعالى عنها عن امرأة كانت تدخل على نساء قريش فتضحكهن قدمت المدينة فنزلت على امرأة تضحك الناس بها فقال على من نزلت فلانة فقالت على فلانة المضحكة فقال الحمد لله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف

وانشد طرفه

تعارف ارواح الرجال اذا التقوا * فمنهم عدو يتقى وخليل

وقال ابو الهذيل العلاف لا يجوز فى دور الفلك ولا فى تركيب

الطبيعة ولا في القياس ولا في الحس ولا في الممكن ولا في الواجب
ان يكون محب ليس لمحبوبه اليه ميل والظاهر ان هذا للسر الذى ذكرناه
من وجود ما بينهما من المشاكلة فان قلت فقد رأينا من احب من لا يحبه
ولا يلتفت اليه قلت ذكر عن ذلك اجوبة احسنها ان يقال
المحبة على قسمين القسم الأول محبة غرضية فهذه لا يجب الاشتراك
فيها بل يقابلها مقت المحبوب وبغضه للمحب كثيراً الا اذا كان
له معه غرض نظير غرضه فانه يحبه لغرضه منه كما يكون بين الرجل
والمرأة لان لكل منهما غرضاً مع صاحبه والقسم الثانى محبة روحية
سببها المشاكلة والاتفاق بين الروحين فهذه لا تكون الا من
الجانبين ولا بد فلو فتش المحب محبة صادقة قلب محبوبه لوجد
عنده من محبته نظير ما عنده او فوقه او دونه وذكر بعضهم ان سبب
المحبة ثلاثة اشيا اما رؤية صورة او سماع نغمة او سماع صفة
فهذه الثلاثة هي اصل ينبوع المحبة اذ لا يخلو حب احد من ان يستند
الى شئ منها وقد قيل

ثلاث محبات لحب عُلاقة * وحبٌ تملاّق وحبٌ هو القتل

واحوال الناس تختلف في ذلك فمنهم من يحب بمجرد الوصف دون
المعاينة فيفنى بمن وُصِفَ له محبة وما رآه ولكن وصفه له واصف
كما قيل

فانني ان ارى الديار بطرفي * فلعلي ارى الديار بسمعي

اخذه القاضي الفاضل فقال

علّلوني عن الشآم بذكري * ان قلبي عليه بالأشواق
مثلته الذكرى لسمعي كأني * اتمشى هناك بالأحداق

وقال بعض الحكما ان الله عز وجل جعل القلب امير الجسد
وملك الأعضا فجميع الجوارح تنقاد له وكل الحواس تطيعه وهو
مدبرها وبارادته تنبعث ووزيره العقل وعاضده الفهم ورايده

العينان وطليعته الاذنان وهما في باب النقل سيان لا يكتمانه شيئا ولا يطويان عنه سرّاً يعني العين والأذن وقيل لافلاطون ايهما اشد ضرراً السمع ام البصر فقال هما للقلب كالجناحين للطائر لا ينهض الا بهما ولا يستقل الا بقوتهما وربما قص احدهما فتحامل بالاخر على تعب ومشقة قيل فما بال الاعمى يحبّ وما راى والاصمّ يحب وما سمع فقال لذلك قلت ان الطائر قد ينهض باحد * جناحيه ولا يستقل طيرانا فاذا اجتمعا كان ذهابه امضى وطيرانه اقوى وكان يقال الحبّ اوّله السماع ثم النظر كما انّ اوّل الحريق الدخان ثمّ الشرر * حكى عن ابي تمام انه سمع جارية تغني بالفارسيّة فشجاه صوتها فقال

ولم افهم معانيها ولكن * شجت قلبي فلم احمل شجاها
فكنت كانني اعمى معنّى * يحبّ الغانيات ولا يراها

قال بن طاهر قلت لابي تمام اخذت هذا المعنى من احد فقال نعم من قول بشار

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة * والأذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم * الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

قلت والظاهر ان بشارا اخذ قوله هذا من كلام الحكيم المتقدم ذكره وتبعه ابو يعقوب الخزيمي فقال

قالت وتهزأ بي غداة لقيتها * يا للرجال لصبوة العميان
فاجبتها نفسي فداؤك انما * عيني واذني في الهوى سيان

وقال بشار ايضا الحب انما يتولد بالقلب والفكر وانشد في ذلك

يزهدني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وقال الحصري وقد صدق فيما نطق انما احست الحواس الخمس

بواسطة توسطتها النفس وقد قال الخليل ابن احمد

ان كنت لست معي فالذكر منك معي * يرعاك قلبي وان غيبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتعشقه * وناظر القلب لا يخلو من النظر

وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى في الاعتذار عن العشق مع العمى

قالوا عشقت وانت اعمى * ظبيا كحيل الطرف المى
وحلاه ما عاينتها * فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنا * م فما اطاف ولا الما
من اين ارسل للفؤا * د وانت لم تنظره سهما
ومتى رايت جماله * حتى كساك هواه سقما
وباى جارحة وصلـ * ـت لوصفه نثرا ونظما
والعين داعية الهوى * وبه تتم اذا استتما
فاجبت اني موسوى الـ * ـعشق انصاتا وفهما
اهوى بجارحة السما * ع ولا ارى ذات المسمى

وقال المدنى

ايا من لامني في حب من لم يره طرفي
لقد افرطت في وصفـ * ـك لي في الحب بالضعف
فقل هل تعرف الجنـ * ـة يوما بسوى الوصف

وما احسن قول المهذب بن الشحنة من قصيدة مدح بها مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب مطلعها

واني امرؤ احببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق
وقالت لي الامال ان كنت لاحقا * بابناء ايوب فانت الموفق

وقلت انا من قصيدة امدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حسنا وفيه زيادة حسنة مطلعها

وحيا وجهك وهو بدر مشرق * قلبي عليك كما علمت واشفق
يا من اذا ما لاح آس عذاره * امسى ولي بالعيش غصن مورق

ملاح خدك بالعذار مكاتبا * الا ظننت بانه لى معتق

ومنها

كم ذا رقصت على السماع بذكره * والاذن قبل العين قالوا تعشق

وحاصل القضية ان من الناس من يعشق على السماع ويفنى فى محبة من لا رأه لكن وصف له ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم ان تنعت المرأة لغير زوجها حتى كأنه ينظر اليها والحديث فى الصحيح قال فى الواضح المبين * ومنهم من يعشق اثرا رأه كما يحكى ان رجلا عشق اثر كف امرأة رأه فى حايط فلما ايس اهله من صلاحه تركوه حتى مات * ومنهم من يحب فى النوم شكلا لا يعرفه فيهيم به كما قيل

يا ليت شعرى من كانت وكيف سرت * اطلعة الشمس كانت ام هى القمر

اظنها العقل ابداها تدبره * اوصورة الروح ابدتها لى الفكر

اوصورة مثلت فى النفس من املى * فقد تحير فى ادراكها البصر

اولم يكن كل هذا فهى حادثة * اتى بها سببا فى حتفى القدر

ومنهم من يعشق باللمس قيل وهو رأس الشهوة ومنهم من يعشق بالشم كما قيل

والعين تعشق ما تهوى وتبصره * كذاك يعشق فيك الأنف والاذن

ومنهم من اخبرنى انه دخل الى حمام فرأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء ولم يعلم لمن هى فاخذها واقامت عنده زمانا واضنا من حب صاحبتها ما اشرف به على التلف كما قيل

تلفت بشعرة وسمعت غيرى * يقول سلمت من تلفى بشعره

ومنهم من يعشق جنية راها فى نومه ووصفت نفسها له وجاءته غير مرة على زعمه كما حكى ابو الفرج الاموى ان جعفر بن ابى جعفر المنصور كان يتعشق امرأة من الجن حتى كثر ولعه بذلك فصار يصرع فى النوم مرات حتى مات من ذلك فحزن عليه ابو جعفر حزنا

شديدا

شديداً وكان جعفر خليعاً ماجناً ولما نهى المنصور مطيع بن اياس عن صحبة ابنه جعفر قال واى مستصلح فيه واى غاية لم يبلغها في الفساد فقال ويلك وباى شئ هذا قال يزعم انه يعشق امرأة من الجن وهو مجتهد في خطبتها ودأبه جمع اصحاب العزايم عليها وهم يعدونه ويمنونه فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جد ولا هزل ولا كفر ولا ايمان ومن شعره فيها

لابنة الجني في الحي طلل * دارس الآيات عافٍ كالخلل

قلت هذا الذي يقال في حقه الجنون فنون * ومثل هذا ما اخبرني به صاحبنا جمال الدين بن عبد الله قال قال الثعالبي في فقه اللغة زعموا ان التناكح قد وقع بين الانس والجن لقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد لان الجنيات انما تصرع الرجال من الانس على العشق وطلب الفساد وكذلك رجال الجن لنساء بني ادم * فصل في ذكر ما ينخرط في سلك العشق على السماع والشهادة على الغايب كقول ديك الجن وقيل عبد المحسن الصوري

بأبي فم شهد الضمير له * قبل المذاق بأنه عذب
كشهادتي لله خالصة * قبل العيان بأنه رب

وما احسن قول الآخر

اهيم الى العذب من ريقه * كما هيم العاشقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته * يقيناً ولكن من الغيب غيب

وقال بشار بن برد

يا اطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك

وقال المتوكل الليثي

كأن مدامة صهباء صرفا * ترقرق بين راووق ودن
تعل به الثنايا من سليمى * فراسة مقلتي وصحيح ظني

وقال امرؤ القيس

وثغر لها طيب واضح * لذيذ المقبل والمبتسم
وما ذقته غير ظني به * وبالظن يقضي على ما اكتتم

وقال ابن حمديس الصقلي

وما ذقت فاها ولكنني * نقلت شهادة عود الأراك

وقال البها زهير

فتنت به حلواً مليحاً فحدثوا * بأعجب شيء كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه * ولم ار عدلاً وهو سكران يطفح

وقال ابن النقيب

قالوا فلان يصوغ كذباً * يكسوه من لفظه طلاوه
حلو حديث فقلت من لي * لو انه صادق الحلاوه

قلت وبقي هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع من الحمقى والمغفلين وهي ما حكاه الجاحظ قال عبرت يوماً على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام الي واجلسني معه ففاتحته في القراآت فاذا هو فيها ماهر ففاتحته في شيء من النحو فوجدته فيه ماهراً ثم في اشعار العرب واللغة فاذا به كامل في جميع ما يراد منه فقلت والله قوي عزمي على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل يوم اجالسه وازوره قال فاتيت في بعض الأيام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقاً فسألت عنه جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت اروح اعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الي جاريته فقالت ما تريد فقلت اريد مولاك فقالت مولاي جالس وحده في العزاء ما يعطي لأحد الطريق اليه فقلت قولي له صديقك فلان يطلبك فدخلت وخرجت الي وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت اعظم الله اجرك لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وهذا سبيل

لابدّ منه فعليك بالصبر ثمّ قلت له هذا الذى توفى ابنك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذه اوّل المناحس ثم قلت سبحان الله النساء كثير وتجد غيرها وتقع عينك على احسن منها فقال وكانى بك قد ظننت انى رأيتها فقلت فى نفسى هذه منحسة ثانيه ثمّ قلت وكيف عشقت من لا رايته فقال اعلم انى كنت فى الطارمة واذا برجل عابر وهو يغنى ويقول

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة * ردّى على فؤادى اين ما كانا

فقلت فى نفسى لولا انّ ام عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما قيل فيها هذا الشعر فهويتها فلمّا كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو يغنّى ويقول

اذا ذهب الحمار بأمّ عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت وقعدت فى العزاء ثلاثة ايام بهذا اليوم قال الجاحظ فعادت عزيمتى وقويت همّتى على ترك تقطيع الدفتر بحكاية ام عمرو * الباب الرابع فى ذكر من نظر اوّل نظره * فاحترق من خدّ الحبيب بجمره * اقول هذا باب عقدناه لذكر من اوقعه النظر * فى الضرر المودى الى السهر * اذ هو داعية الارق * وزناد الحرق * كم دعى الى الجماع * المحرّم بالاجماع * فهو سهم مسموم * وفعل مذموم * وفى مبداه يمكن استدراكه * واسيره يرجى فكاكه * فاذا تكرر ادّى الى ما صورته كيت وكيت * اما ترى الحبل بتكراره البيت كما قيل

كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها * فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عينين يقلبها * فى اعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضرّ مهجته * لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

قوله البيت تمامه
فى الصخرة الصماء قد اثر

قولي وفي مبدئه يمكن استدراكه الى اخره وذلك ان الرجل يمر به المرأة فيكون ظاهر هيئتها وشكلها وصورتها مشاكلا لطبعه فتحرك نفسه وتنبعث همته من اول نظرة فاذا تكرر نظره اليها ازداد حبه لها وان جلس حتى يراها صار الذى به اضعاف ما كان فان نظرت اليه نظرة افتتن بجمالها ووقع فى اسر حبالها ودخل فى عدد العاشقين وهذا مما يويد قول من ذهب الى ان العشق اختيارى لانه لم يصر عاشقا الا بعد وقوع هذه المقدمات وكان يمكنه حسم مادة ذلك بعد النظرة الاولى اللهم الا فيما ندر كما تقدم فى ذكر النسوة اللاتى رأين يوسف عليه السلام ففتن من اول نظرة وكان يقال النظر من المحب موت عاجل ومن المحبوب سهم قاتل وكان يقال رب عشق غرس من لحظ وحرب جنى من لفظ وكان يقال من اطلق طرفه كثر اسفه وكان يقال من كثرت لحظاته دامت حسراته وقال اعرابى العشق نبت بذره النظر وماؤه المزاوره ونماؤه الوصل وقتله الهجر وحصاده التجنى وقال الصورى

غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته * واهملته مستأنسا متسامحا
ولم تدر حتى اينعت شجراته * وهبت رياح الوجد فيه لواقحا
فامسيت تستدعى من الصبر عازبا * عليك وتستدعى من النوم نازحا

وقال الأصمعى كنت فى بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون قد جاءت فتحرك الناس فقمت معهم فاذا بجارية قد وردت الماء ما رأيت مثلها قط فى حسن وجهها وتمام خلقتها فلما رأت كثرة تشوف الناس اليها ارسلت برقعها فكأنه غمامة غطت شمسا فقلت لم تمنعينا النظر الى وجهك هذا الحسن فانشأت تقول

وكنت متى ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

ثم نظر إليها اعرابى وقال انا والله ممن قل صبره وانشد

اوحشية العينين اين لك الأهل * اباالحزن حلوا ام محلهم السهل
واية ارض اخرجتك فأنني * اراك من الفردوس ان فتش الاصل
ففى خبرنا ما طعمت وما الذى * شربت ومن اين استقل بك الرحل
لأن علامات الجنان مبينة * عليك وان الشكل يشبهه الشكل

اقول هذا والله هو السحر الحلال * والعذب الزلال * قد اشتمل على مذهب السحر الكلامى * والبدر السامى * فكأني بها وقد ذكرت له الاهل * ووصفت من جبها وخدها الحزن والسهل * هنالك يأتيها سعيا على الرأس لا سعيا على القدم * وتكون وجناتها احب اليه من حمر النعم وينشد

اريني مكان البدر ان افل البدر * وقومى مقام الشمس ان بعد الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها * وليس لها منك التبسم والثغر

حكى انه دخل اصبهان مغن كان يتغنى بهذين البيتين

سماعا يا عباد الله منى * وكفوا عن ملاحظة الملاح
فان الحب آخره المنايا * واوله شبيه بالمزاح

مناظرة بين العين

قلت وفى هذا دليل على ان العين هى التى تجلب الحين واذا كان ذلك كذلك فلنذكر هنا مناظرة وقعت بين القلب والعين ولوم كل منهما صاحبه والحكم بينهما وهى لما كانت العين رايده ومحبة القلب زايده وهذه لها لذة النظر * وهذا له لذة الظفر * كانا فى الهوى شريكى عنان * وفرسى رهان * فلما وقعا فى السهاد والحرق * واضربصاحبهما الأرق * قال القلب يقول الأرجانى * لطرفه الجانى

تمتعتما يا مقلتى بنظرة * وأوردتما قلبى اشر الموارد
اعينى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال ابو الطيب المتنبى

وانا الذى اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

وقول الاخر

عوقب قلبى وجنا ناظرى * ورعما عوقب من لا يجنى

وقول الاخر

نظر العيون الى العيون هو الذى * جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا
مازالت اللحظات تغزو قلبه * حتى تشحط بينهن قتيلا

وقول الاخر

يامن يرى سقمى يزيـ * د وعلتى اعيت طبيبى
لا تعجبن فهكذا * تجنى العيون على القلوب

وقال ابن مدرك

جرحت بلحظى خد الحبيب * فما طالب المقلة الفاعله
ولكنه اقتص من مهجتى * كذاك الديات على العاقله

فلما سمعت العين انشاده * وفهمت مراده * اشارت اليه * واخذت فى الانكار عليه * فقالت ياللعجب من ظالم يتظلم * واخرس يتكلم * اليس من الخبر الذى شاع وذاع * انك انت الملك ونحن الاتباع * ترسلنى فيما تريد كالبريد * وتعقب ذلك بالتهديد * اما سمعت قول ابى هريرة رضى الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده * فان طاب الملك طابت جنوده * وان خبث الملك خبثت جنوده وقال سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله فبين ذنبى وذنبك آذ ذاك كما بين عماى وعماك وقال علام الغيوب * فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب * فلما سمعت النفس ما دار بينهما من الجدال * قالت فى الحال

انا ما بين عدوين هما قلبى وطرفى
ينظر الطرف ويهوا ذا قلب والمقصود حتفى

القلب ملك
والاعضاء جنوده

وقال اخر

يقول قلبي لطرفي اذ بكي جزعا * تبكي وانت الذى حملتني الوجعا
فقال طرفي له فيما يعاتبه * بل انت حملتني الامال والطمعا
حتى اذا ما خلا كل بصاحبه * كلاهما بطويل السقم قد قنعا
نادتهما كبدي لا تعتبا فلقد * قطعتماني بما لاقيتما قطعا

وقال اخر

عاتبت قلبي لما * رايت جسمي نحيلا
فالزم القلب طرفي * وقال كنت الرسولا
فقال طرفي لقلبي * بل انت كنت الدليلا
فقلت كفا جميعا * تركتماني قتيلا

قلت فكانا كما تقول العامة قفا بين صفاعين وما احسن قول الاخر

فوالله ما ادري انفسي الومها * على الحب ام عيني القريحة ام قلبي
فان لمت قلبي قال لي العين ابصرت * وان لمت عيني قالت الذنب للقلب
فعيني وقلبي قد تشاركن في دمي * فيارب كن عونا على العين والقلب

قلت والحاكم بينهما الذى يحكم بين الروح والجسد اذا اختصما كما ورد في الخبر * عن سيد البشر * لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلايق حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد للروح انت التي حركتني وامرتني وصرفتني والا فانا لم اكن اتحرك ولا افعل شيئا بدونك فتقول الروح له وانت الذى اكلت وشربت وتمتعت فانت الذى تستحق العقوبة فيرسل الله سبحانه وتعالى ملكا يحكم بينهما فيقول مثلكما مثل مقعد بصير واعمى يمشي دخلا بستانا فقال المقعد للاعمى انا ارى ما فيه من الثمار ولكن لا استطيع القيام وقال الاعمى انا استطيع القيام ولكن لا ابصر شيئا فقال المقعد تعال فاحملني فانت تمشي وانا اتناول فعلى من تكون العقوبة فيقولان عليهما فيقول فكذلك انتما

ا نظر الى هذا الحديث ...

فصل في ذكر سحر الجفون * ونبل العيون فمن ذلك قول بشار وهو اغزل بيت قالته الشعراء فيما حكاه قاضي القضاه شمس الدين بن خلكان

انا والله اشتهي سحر عينيـ * ـك واخشى مصارع العشاق

ونقل شيخنا الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام عن ابن حيوس انه قال من اغزل ما اعلم قول عبد المحسن الصوري

بالذي الهم تعذيبي * ثناياك العذابا
ما الذي قالته عينا * ك لقلبي فاجابا

قلت وهما اغزل من قول جرير

ان العيون التي في طرفها حور * يقتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن اضعف خلق الله انسانا

وانشد صاحب المرقص والمطرب

لو لم امت بالحظ قال العذل * ما قيمة السيف الذي لا يقتل

وقال ابن سهل الاشبيلي في مطلع موشحه

الحاظها للقتل * في كرها او في نصيب
ترمي وكلي مقتل * وكلها سهم مصيب

وقال الملك الناصر داود صاحب الكرك

بابي اهيف اذا رمت منه * لثم ثغر يصدني عن مرامي
قد حمى خده بسور عذار * فقلناه اضحت عليه مرامي

فصل في وصف العيون الضيقه وغيرها قال ابن النبيه

يصد بطرفه التركي عني * صدقتم ان ضيق العين بخل

وقال ايضا

من بني الترك لين العطف قاسي الـ * ـقلب سهل الخداع صعب المراسي
ضيق العين وهو من صفة البخـ * ـل فان جاد كان ضد القياس
حذب القوس فاكتست جفناه * ثوب ورد طرازه من آس

ودم

ورمى عن قوسين سهمين هذا * في فؤادي وذاك في القرطاس

وقال ابن قرناص

علقته تتريّاً * يسبي القلوب ببينه
لا يرتجى الجود منه * بالوصل من ضيق عينه

وقال الشيخ جمال الدين بن نباته

بهت العذول وقد راى الحاظ * تركيّة تدع الحليم سفيها
فثنى الملام وقال دونك والاسى * هذى مضايق لست ادخل فيها

وقال الشيخ صفي الدين الحلي

لي منهم رشاء اذا غازلته * كادت لواحظه بسحر تنطق
ان شاء يلقاني بخلق واسع * عند اللقاء نهاه طرف ضيّق

حكى الخرايطي عن بعض العلويين قال بينما انا واقف على الحسن ابن هاني وهو ينشد

ويلي على نجل العيون * النهّد الضمر البطون
الناطقات على الضمير رلنا بالسنة الجفون

فوقف عليه اعرابي ومعه ابن له فقال اعد علي فاعاد عليه فقال يا ابن اخي اويلك انت وحدك من هذا ويلي انا وانت وويل ابني هذا وويل هذه الجماعة وويل جيراننا كلّهم وقال سبط التعاويذي

بين السيوف وعينيه مشاركة * من اجلها قيل للاغماد اجفان

وقال رشيد الدين الفارقي

انّ في عينك معنى * حدث النرجس عنه
ليت لي من غضّه * سهماً ففي قلبي منه

وقال محمّد بن العفيف التلمساني

لحاظك اسياف ذكور فما لها * كما زعموا مثل الأرامل تغزل

وله ايضاً

يا عاشقين حاذروا * مبتسماً عن ثغره

فطرفه الساحر مذ * شككتم في امره
يريد ان يخرجكم * من ارضكم بسحره

وقال ايضا

قضاة الحسن ما صنعي بطرف * تمنى مثله الرشاء الربيب
رمى فاصاب قلبي باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

وقلت انا من قصيد

حبيب نازل في كل قلب * وسيف لحاظه يهوى النزالا
يرى قتل المحب بلا دليل * ولا سيما اذا ابدى الدلالا
اذا استقبلت سيف اللحظ منه * رايت الموت من ماضيه حالا

وقلت ايضا من قصيد

تغار الشمس منها حين تبدو * كغصن البان في خضر البرود
باطراف من الحناء حمر * والحاظ كبيض الهند سود

وقلت ايضا من قصيد

الت لواحظه على اهل الهوى * ان لا ترى قتلا بغير مهند
يرنوا وصارم لحظه في جفنه * ماضي الغرار ولم يمس باثمد
فاذا تجرد للمحب فلا تسل * عن سيف جفن كالحسام مجرد

وقلت ايضا من قصيدة

غزال غزاني باللحاظ لانه * اذا ما بدى في حومة الحرب ضيغم
تكلمني الحاظه بسيوفها * ولم تر قبلي ميتا يتكلم

وقلت من قصيدة

تسل سيوفا من لواحظ طرفها * ولكن لها من عادة الجفن غامد
تجردها والدمع كالنيل سائح * فما تنثني الا وسيحان جامد

وقلت ايضا من قصيد

يرنوا الي بعين نون حاجبها * كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
امير حسن من الاتراك حاجبه * على المحب له في مصر سلطان

غزت لواحظه في اهل مصر كما * غزا الانام بأرض الشام غازان
واما الحور فقد اختلف الناس فيه فقال ابو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين في شدة سوادها وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العين ام كبرت وقال ابو عمرو الظبية الحوراء السوداء العين التي ليس في عينها بياض ولا يكون هذا في الانس انما يكون في الوحش واشتقاق حور يدل على صحة ما قاله يعقوب وابو عبيدة لانهم انما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحواري للدرمك الشديد البياض وقلما يتفق بياض العين الا مع شدة سوادها لان بياضها مع الزرقة ليس هنالك في النقاء وقد اكثر الشعراء في وصف العين بالحور والسواد وقل في شعرهم وصف العين الزرقاء على انه جاء في حديث عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الزرقة في العين يمن وقال بعض العرب
احبك ان قالوا بعينك زرقة * كذاك عتاق الطير زرق عيونها
ومن هنا اخذ العبدي قوله حين قال له معاويه انك احمر فقال والذهب احمرُ فقال انك لازرق فقال والبازي ازرق

الباب الخامس في ذكر تغير الالوان * عند العيان * من صفرة وجل * وحمرة خجل * وما في معنى ذلك من عقد اللسان * وسحر البيان * اقول هذا باب عقدناه لذكر تغير لوني المحبين * اذا وقعت العين في العين * وهرب الدم الى شبكة الدماغ فقال له الحاجر الى اين * وقد نصت الاطباء على السبب في ذلك * وجلوا من اصفرار المحب واحمرار المحبوب سواد كل حالك * وانا اوردهنا ما قالوه بنصه * واصوغ كالخاتم بفصه * واعقبه بذكر الوان الحسان * بأحسن

بيان * واوضح تبيان * هذا مع ما يجري في ذيل ذلك من التفضيل
بين السمر والبيض * ووقوع محب السمان من الشعور والارداف
في الطويل العريض * واختم ذلك بفصل في ذكر ما يعتري المحب
من خفقان قلبه * وطيران عقله ولبه * فاقول وبالله التوفيق
قال بعض الاطباء سبب صفار وجه العاشق الفزع فان
الدم لا ياوي مع الفزع وربما نظر المعشوق الى العاشق فجاءة
فيضطرب قلبه وتشتعل الحرارة ثم تخمد فاذا خمدت برد التامور
فاذا برد التامور جمد الدم واستحال اللون الى السواد والخضرة
ثم يستقر فيصفر واما احمرار وجه المعشوق فمن الخجل والخجل
عرض من حركة تامور القلب فتحيل الدم وتلطفه فيظهر في ارق
مكان في الوجه وذلك عند معالجة الحرارة العرضية ومجاهدتها
الدم لما يندفع فيطلب الخلاص حتى ينتهي الى تحت الرأس فيمنعه
الحاجز من النفوذ فيهبط الى الوجه فيحمر الوجه قالوا والوجه
الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فزع يصفر
ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال الشاعر
حمرة خلط صفرة في بياض * مثل ما حاك حايك ديباجا
وقالوا حمرة لون الانسان يولدها الفرح والصحة والنعمة
وصفرة لونه يولدها الفزع والبوس والغم والسقم واما احسن
الالوان فانه الاحمر بدليل ان الدم صديق الروح والحمرة لونه
وافضل اليا قوت وافخره الاحمر واجود الذهب احمره وافضل
العسل الذهبي واليا قوتي وتمدح الارض بحمرة التربة واكرم
الخيل اشقرها وهي ديباجها واكرم الابل حمرها وهي التي قال
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعظم مقدار ذلك لوان لي حمر
النعم ولوان لي طلاع الارض ذهبا واحسن الانوار الورد *
والشقايق والجلنار واحسن الحلل المصبوغة المعصفر وحسنه

ماكان صبغه القرمز واحسن الخمر الحمراء ولذلك وصفتها الشعراء بلون النار والعندم والعصفر والياقوت والعبقر واحسن الالوان المخلوقة النار ومن اجل ذلك اكتنى عبد العزى بن عبد المطلب ابالهب وكان يكنى قبل ذلك اباعتبة لانه كان من احسن الناس وجها وكانوا يشبهون احمرار وجهه بلهيب النار لانه كان مشرق الوجه متلهبه كما كنى النبى صلى الله عليه وسلم ابا المهلب اباصفرة لصفرة كانت فى وجهه ويقال فى المثل كأن وجهه النار وكأن فى وجنته الجمر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اهلك الرجال الاحمران واهلك النساء الاحامرة والاحمران الخمر واللحم والاحامرة الذهب والزعفران والخمر واللحم قال الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت * مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين وماطلى * بالزعفران فلا ازال مروعا

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه الطائر الاحمر وقال وهب ابن عبد الله مارايت ذا لمة سوداء فى حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المتنبى

من الجآذر فى زى الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

واما قول الشاعر

هجان عليها حمرة فى بياضها * تروق به العينين والحسن احمر

فانه عنى به الحسن فى حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقال ابن عبد ربه الحسن احمر وقد تضرب فيه الصفرة لطول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب قال اعرابى

وما تسليت عن صفراء حالية * كالعاج صفرها الاكنان والطيب

وقال اخر

كأن لون البيض فى الادحى * لونك لولا صفرة الجادى

يريد انها تتضمخ بالجادي وهو الزعفران وصفرة البيضة لا تدرك صفرته وقالوا الجارية الحسناء تتلون تلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشا صفراء قال الشاعر

بيضاء ضحوتها وصفـ * ـراء العشية كالنهار

وقال بشار بن برد

فخذي محاسن زينة * ومعصفرات هن افخر
فاذا بلغنا فادخلي * في الحمر ان الحسن احمر

وقال الحريري في درة الغواص اما قولهم الحسن احمر فمعناه انه يكتسب ما فيه الجمال الا بتحمل مشقة يحمار منها الوجه كما قالوا للسنة المجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر كما قيل

واذا رأت عيناك طرفا اسودا * فاعلم بان هناك موتا احمرا

واحسن زينة النساء في اجسادهن الخضاب ولذلك اطنبت فيه الشعراء وشبهوه بالعناب وغير ذلك قال ابو نواس فيه

يا قمرا ابصرت في مأتم * يندب شجوا بين اتراب
يبكي فيذري الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب

وقال ابن عكاشه

من كف جارية كان بنانها * من فضة قد طوقت عنابا

وما احسن قول الواو الدمشقي

فاستمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقال المرزباني قال لي ابن دريد سهرت ليلة فلما كان اخر الليل غمضت عيني فرايت رجلا طويلا اصفر الوجه كوسج دخل علي واخذ بعضادتي الباب وقال انشدني احسن ما قلت في الخمر فقلت ما ترك ابو نواس لاحد شيئا فقال انا اشعر منه فقلت ومن انت فقال انا ابن ناجية من اهل الشام وانشدني

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبي نرجس وشقايق

حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق
فقلت اسأت الترتيب فقال ولم قلت لأنك قلت وحمراء فقدمت
الحمراء ثم قلت بين ثوبي نرجس وشقايق فأخرت الحمرة فهلا
قدمتها على الاخرى فقال وما هذا الاستقصاء في هذا الوقت
يا بغيض ثم انصرف وقال المتنبي

قالت وقد رأت اصفراري من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

اخذه الاخر فقال

قالت لترب معها منكرة * لو قفي هذا الذي نراه من
قالت فتى يشكوا الهوى متيم * قالت بمن قالت بمن قالت بمن

وقال ابن النبيه

وفي الكلة الحمراء بيضاء طفلة * بزرق عيون السمر يحمي احورارها

وقال عماد الدين ابن دبوقا من ابيات

اري العقد في ثغره محكماً * يرينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعي غدا احمراً * على آس عارضك الاخضر
وبعت رشادي بيع الهوان * لاجلك يا طلعة المشتري

وقلت انا من قصيد

لعمرك لا زيد يكون ولا عمرو * ولا ثغر الا دون تقبيله ثغر
ولا ابيض الا اسود حظي عندها * ولا اسمر الا دون اعطافها السمر

وقال بدر الدين ابن المحدث

يصفر لوني حين انظر وجنة * منها تعلم حسنه الورد الجني
يفنى الزمان وليس يفنى حبه * وقد انحلت وما اراه ينحني

حكي عن ابي ايوب وزير المنصور انه كان اذا دعاه المنصور يصفر
ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع لونه فقيل له انا نراك مع
كثرة دخولك على امير المؤمنين وانسه بك تتغير اذا دخلت

اليه فقال مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازى وديك تناظرا فقال البازى للديك ما اعرف اقل وفاء منك لاصحابك فقال وكيف قال توخذ بيضة فيحضنك اهلك وتخرج على ايديهم فيطعمونك باكفهم حتى اذا كبرت صرت لايدنو منك احد الا طرت من هنا الى هنا وصحت وان علوت حايط دار كنت فيها سنين ثم طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها واما انا فاؤخذ من الجبال وقد كبرت فتخاط عيناى واطعم الشئ اليسير واساهر فامنع من النوم واونس اليوم واليومين ثم اطلق على الصيد وحدى فاطير اليه واخذه واجئ الى صاحبى فقال له الديك ذهبت عنك الحجة اما والله لو رايت بازيين فى سفود ما عدت اليهم ابدًا وانا فى كل يوم ارى السفافيد مملوءة ديوكًا فلا تكن حليمًا عند غضب غيرك وانتم لو عرفتم من المنصور ما اعرفه لكنتم اسوأ حالا منى عند طلبه لكم قلت والذى هرب منه وقع فيه على الصحيح الاشهر ولم يزل يصفر منه حتى اذاقه الموت الاحمر هذا بعد ان اخذ امواله وتركه فى اسوء حاله حكى انه كان يدهن حاجبه بدهن يسحر فيه المنصور فلا يتمكن منه اذا رآه حتى ضرب به المثل فقيل ادهن من ابى ايوب وما افاده ذلك شيئًا لانه فعل به ما فعل * وقابله بما ليس به قبل * فصل فى التفضيل بين البيض والسود * والسمر ذوات النهود * وهذا النوع الاخير مما يميل اليه المصريون فى الغالب * وللناس فيما يعشقون مذاهب * فمما قيل فى تفضيل السمر

لا اعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى اعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ اركب المهر المضمر فى * يوم الرهان فدعنى واركب الفيلا

وقال على بن الجهم

وعائب السمر من جهله * مفضل البيض ذى محك

قولوا له دعْنا ما تستحي * من جعلك الكافور كالمسك

وقال ابو جعفر الشطرنجي

اشبهك المسك واشبهته * قائمة في لونه قاعد

لا شك اذ لونكما واحدٌ * انكما من طينة واحد

وقال الشريف الرضي في تفضيل السود

احبك يا لون السواد فانني * رأيتك في العينين والقلب توأما

وما كان سهم العين لاسودها * ليبلغ حبات القلوب اذا رما

اذا كنت تهوى الظبي المي فلا تلم * جنوني على الظبي الذي كله لما

وقال مسلمه

لام العواذل في سوداء فاحمة * كأنها في سواد القلب تمثال

وهام بالخال اقوام وما علموا * اني اهيم بشخص كله خال

وقال ابن رشيق

دعابك الحسن فاستجيبي * يامسك في صبغةٍ وطيب

تيهي على البيض واستطيلي * تيه شباب على مشيب

ولا يرعك اسواد لون * كمقلة الشادن الربيب

وقال اخر

وان سواد العين في العين نورها * وما لبياض العين نورٌ فيعلم

وقد ذكرت بقية ما قيل في هذا النوع من المقاطيع الحسان في السكردان عند ذكر الملك الكامل شعبان رحمه الله واما ما قيل في تفضيل البيض على السود فاكثر من ان يذكر له شاهد * او يمتد اليه ساعد المساعد * قال الجاحظ والعرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن اصل ما يبنون عليه امرهم ذمه قال كشاجم

يا مشبهاً في فعله لونه * لم تعد ما اوجبت القسمه

خلقك من خلقك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

واما القصيرة الغليظة من النساء فانها نوع مذموم عند صاحب كل منثور ومنظوم قال الشاعر

وانت التي حببت كل قصيرة * الى ولم تشعر بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم ارد * قصار النساء شر النساء البحاتر

والبحاتر هن القصار الغلاظ وقال بعض السلف جعل الله البها والهوج مع الطوال والدهاء والدمامة مع القصار والخير فيما بين ذلك وما اظرف قول الشريف الناسخ

واحرباه من هوى قصيرة * فى الارض منها الف الف قامه
اذا رنى الى الخفاف طرفها * قال القفا يا كاتب السلامه

وبعض الناس يفضل السمان ويقول السمنة نصف الحسن وهو يستر كل عيب فى المرأة ويبدى محاسنها قيل ولهذا قيل جميلة لان الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم وقد تقدم ذكره *

فصل فى ذكر ما يعترى المحب من اصفرار لونه عند رؤية محبوبه وخفقان قلبه وطيران عقله ولبه قال صاحب روضة المحبين وقد اختلف فى سبب هذه الروعة والفزع والاضطراب فقيل سببه ان للمحبوب سلطانا على قلب محبه اعظم من سلطان الرعية فاذا رآه فجأة راعه ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه فجأة فان القلب معظم للمحبوب خاضع له والشخص اذا فجأه المعظم عنده راعه ذلك وقيل سببه انفراج القلب له ومبادرته الى تلقيه فيهرب الدم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاضطراب والرعدة وربما مات وبالجملة فهذا امر ذوقى وجدانى وان لم يعرف سببه ومن احسن ما قيل فى الاعتذار عن خفقان القلب عند رؤية المحبوب قول الوراق الخطيرى

يقول لى حين وافى * قد نلت ما ترتجيه
فما لقلبك قد جاء * خفقة يعتريه

فقلت وصلك عرس * والقلب يرقص فيه

ومثله قول الآخر

لا تنكروا خفقان قا * بي والحبيب لدى حاضر
ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر

وما احسن قول ابن سناء الملك

اما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

وقال معين الدين

لم انسه اذ قال ابن تحلني * حذرا على من الخيال الطارق
فأجبت في قلبي فقال تعجبا * ارايت عمرك ساكنا في خافق

وقال آخر

وسكنت قلبا خافقا * يا ساكنا في غير ساكن

وقال الطغرائي

مرض النسيم وصح والداء الذي * اشكوه لا يرجى له افراق
وهدا خفوق البرق والداء الذي * ضمت عليه جوانحي خفاق

اورد ابن الابار في تحفة القادم قول ابن تقي من ابيات

حتى اذا مالت به سنة الكرا * زحزحته شيئا وكان معانقي
ابعدته عن اضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

ثم قال نسب بعض اهل عصرنا ابن تقي الى الجفا في قوله ابعدته عن اضلع تشتاقه ولو قال ابعدت عنه اضالعا تشتاقه لكان احسن ثم ذكر بعدها مما فضلوه على قول ابن تقي المذكور قول ابن الحكم جعفر بن عنان

ان كان لا بد من رقاد * فاضلعي هالك عن وسادي
ونم على خفقها هدوا * كالطفل في هزة المهاد

وقال ابن الاثير في المثل السائر في ابيات ابن تقي المذكور

وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الاقصى ولقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير هو الموصوف بالابداع * وبه وبامثاله اقرت الابصار بفضل الاسماع وقلت انا موافقا لاهل ذلك العصر في الرد على ابن تقي

اتاني زائرا فحكى الهلالا * واشبعه صدودا واستطالا
فقلت له تعود فقال لالا * دوام الوصل يورثك الملالا

الباب السادس في ذكر الغيره * وما فيها من الحيره * وقرع سن * ديك الجن * اقول هذا باب عقدناه لذكر غيرة المحب على المحبوب حتى من نفسه وابناء جنسه * والمحبون فيها نوعان * والمضروبون بسوطها ضربان * فالاول يحبه الله ورسوله * ويتم به للعاشق سؤله * والثاني مذموم * وصاحبه ملوم * فالنوع المحبوب منها ان يغار عند قيام الريبة والنوع المذموم ان يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبه * ولا تترك منها حبه * لانها توقع العداوة بين المحب والمحبوب وربما حملته على الوقوع فيما اتهمه به ويترتب عليها مفاسد كثيره * مما يؤدي الى فساد الصوره * والحكايات في هذا الباب مشهوره * وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح ان من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله فالغيرة التي يحبها الله ان تكون في ريبة والغيرة التي يكرهها الغيرة في غير ريبة وقال عبد الله بن شداد الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل اهله وغيرة تدخل النار وقال صاحب روضة المحبين الذي يحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته واجلاله واذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة اخلا وان زعم انه من المحبين فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمته ويسعى في اذاه ومساخطه ويستخف

بامره

بأمره وهو لا يغار لذلك بل قلبه بارد فكيف يصح لعبد ان
يدعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه اذا انتهكت ولا لحقوقه اذا
ضيعت واقل الاحوال ان يغار له من نفسه بترك ارتكاب معاصيه
والتفريط في حقه واما الغيرة على المحبوب فانما تحمد حيث يحمد
الاختصاص به ويذم الاشتراك فيه شرعا وعقلا كغيرة الانسان
على زوجته وامته والشئ الذي هو يختص به وهذه الغيرة تختص
بالمخلوقين ولا تتصور في حق الخالق لانه سبحانه وتعالى يجب
على جميع المخلوقين ان يحبوه ويذكروه ويعبده ويحمدوه خلافا
لبعض جهلة الصوفيه ممن كان اذا رأى من يذكر الله او يحبه يغار
منه وربما اسكته ان امكنه ويقول غيرة الحب تحملني على هذا
وانما ذلك حسد وبغي وعدوان ونوع معاداة لله ومراغمة لطريق
رسله اخرجوها في قالب الغيرة وشبهوا محبته بمحبة الصورة وهذه
الغيرة انما تحسن في محبة من لا تحسن المشاركة في محبته
كغيرة الانسان على محبوبه من الادميين كما تقدم ذكره قال
القشيري قيل لبعضهم اتحب ان تراه قال لا قيل ولم قال انزه
ذلك الجمال عن نظر مثلي قال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية
وهذه ايضا غيرة فاسدة وغاية صاحبها ان يعفى عنه وان يعد
ذلك من شطحاته المذمومة واما ان يعد في مناقبه وفضائله
ان يقال لله اتحب ان ترى حبيبك فيقول لا فلا ورؤيته اعلى نعيم
الجنة وهو سبحانه وتعالى يحب من عبده ان يسئله النظر اليه
وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان من دعائه اللهم انى
اسئلك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وقول هذا
القائل انزه ذلك الجمال عن نظر مثلي من خدع الشيطان والنفس
وهو شبه ما يحكى عن بعضهم انه قيل له الا تذكره فقال انزهه
ان يجري ذكره على لساني وقد وقع بعضهم في شئ من ذلك

فلاموه فانشد

يقولون زرنا واقض واجب حقنا * وقد اسقطت حالى حقوقهم عني
اذا هم رأوا حالى ولم يأنفوا لها * ولم يأنفوا منّي انفت لهم مني

وبعضهم من ترك الحج غيرة على بيته ان يزوره مثله وقد لمت شخصا على ترك الصلاة فقال لى انى لا ارى نفسى اهلا ان ادخل بيته فانظر الى تلاعب الشيطان بهؤلاء واما الغيرة على المحبوب من الادميين فللناس فيها ضروب * وحسنات غالبها ذنوب * فمنهم من يغار على المحبوب من النسيم اذا هب * او سماع انه فى الدرب

اغار اذا آنست فى الحىّ انّة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وقال اخر

تغار من الطيف الملم حماتها * ويغضب من مرّ النسيم غيورها

وقال ابن الاثير فى المثل السائر سافرت الى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمايه فدخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من اربابها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو اغار اذا آنست فى الحي البيت المتقدم فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول ابى الطيب المتنبى

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لاغرته بفدائه

والمتنبى اخذه من قول العباس بن الأحنف

لم الق ذا شجن يبوح بحبّه * الّا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك وانني بك واثق * ان لا ينال سواى منك نصيبا

ومنهم من يلحق فى الغيرة يومه بأمسه ويغار على المحبوب من كلام نفسه كما قال البحترى

انى لاحسد ناظرىّ عليكا * حتّى اغضّ اذا نظرت اليكا
واراك تخطر فى شمائلك التى * هى فتنتى فاغار منك عليكا

ولو

تأمل ×

البحترى تأمل

ولو استطعت منعت لفظك غيرة * كى لا اراه مقبلا شفتيكا
خلص الهوى لك واصطفتك مودتى * حتى اغار عليك من ملكيكا

ومنهم من يغار عليه من ازاره ولبس ازاره

ارى الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ما ضم محسود

قلت ولهذا البيت حكاية لطيفة وهى ما حكى عن الحسن ابن زيد امير المدينة انه قال يوما لابى السايب وكان قد جمله وكساه فكان يركب معه فى موكبه ويسلم على النساء اذا مر بهن فنهاه الامير عن ذلك فسار معه يوما وعليه قلنسوة ففعل كعادته فانشده الامير ارى الازار على ليلى البيت فقال له ابو السايب بابى انت وامى من الذى قال هذا البيت فقال قيس فتخلف ابو السايب عن مسايرته ثم لحق ولا قلنسوة عليه فقال له الامير اين القلنسوة قال تصدقت بها على الشيطان الذى القى هذا البيت على لسان قيس ومنهم من يغار عليه من ارتشاف السلاف كما قال كشاجم

وعذبنى قضيب فى كثيب * تشارك فيه لين وانداج
اغار اذا دنت من فيه كاس * على در يقبله زجاج
واشفق ان دنا المصباح منه * على بدر يقابله سراج

اخذه المتنبى فقال فى ممدوحه

اغار من الزجاجة حين تجرى * على شفة الامير ابى حسين

وقد عيب عليه ذلك لكونه خاطب ممدوحه بما تخاطب به المليحة ومنهم من ينزل نفسه منزلة الاجنبى فيغار على المحبوب من نفسه كما قال ابو تمام

بنفسى من اغار عليه منى * واحسد مقلتى نظرت اليه
ولو انى قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذرى عليه
حبيب بث فى جسمى هواه * وامسك مهجتى رهنا لديه
فروحى عنده والجسم خال * بلا روح وقلبى فى يديه

وقال ايضا

اغار عليك من قلبي * وان اعطيتني املي
واشفق ان اري خديـ * ـك نصب مواقع القبل

وقال الاخر

يا من اذا ذكر اسمه في مجلس * لذ الحديث به وطاب المجلس
اني لمن نظري اغار وانني * بك عن سوي من الانام لانفس

ومنهم من يغار عليه من وصاله له مخافة ان يكون مفتاحا لغيره كما قال علي بن عبد الله الجعبري

ربما سرني صدودك عمدا * وطلابيك وامتناعك عني
حذرا ان اكون مفتاح غيري * فاذا ما خلوت كنت التمني

وقال اخر

ولما رمت باللحظ غيري حسبتها * كما اثرت بالعين توثر بالقلب
واني لارجو ان تدوم ببعدها * ولكن سوء الظن من شدة الحب

وقد بالغ ابن مطروح حيث يقول

فلو اضحي علي تلفي مصرا * لقلت معذبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني * اغار عليك منك فكيف مني

ومنهم من يمتنع من ذكر محبوبه مخافة تعريضه لحب غيره له كما قال علي بن عيسي الرافعي

ولست بواصف يوما حبيبا * اعرضه لاهواء الرجال
وما بالي اشوق قلب غيري * ودون وصاله ستر الجمال

وكثير من الجهال وصف امرأته ومحاسنها لغيره فكان ذلك سبب فراقها واتصالها بالموصوفة له وذلك من قلة عقله وحمقه وقد رأيت جماعة بهذه الصفة ومنهم من بالغ في الغيرة حتي قتل محبوبه مخافة ان يموت هو فيتمتع بمحبوبه بعده غيره كما ذكر ذلك عن جماعة من جملتهم ديك الجن الحمصي وقد افردت

ابن مطروح في الغيرة

لحكايته رسالة مستقلة وسميتها قرع سن ديك الجن وكتبت بها
الى مولانا السلطان الملك الناصر حسن في سنة ستين وسبعمايه
وهو في سرياقوس وكان قد تقدم ما يوجب ذلك فلذلك افتتحت
الرسالة المذكورة بقولي يقبل الأرض وينهي ان ديك الجن المذكور
من جملة جنونه انه كان يهوى جارية وغلاما له فمن شدة حبه لهما
وغيرته عليهما خشي ان يموت وان غيره يتمتع بهما بعده فعمد اليهما
فذبحهما بسيفه واحرق جسديهما وصنع من رماد الجارية برنية
للخمر ومن رماد الغلام برنية اخرى كذلك وكان يضعهما في مجلس
انسه عن يمينه وشماله فكان اذا اشتاق الى الجارية قبل
البرنية المجعوله من رمادها وملأ منها قدحه وانشد

يا طلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها التراب وطالما * روى الهوى شفتي من شفتيها
واجلت سيفي في مجال خناقها * ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الثرى * شيء اعز علي من نعليها
ما كان قتلتها لأني لم اكن * ابكي اذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على سواي بحسنها * وانفت من نظر العيون اليها

واذا اشتاق الى الغلام قبل البرنية المجعوله من رماده وملاء
منها قدحه وبكى وانشد قوله فيه

اشفقت ان يرد الزمان بغدره * او أبتلي بعد الوصال بهجره
قمرا انا استخرجته من دجنه * لبليتي واثرته من خدره
فقتلته وله علي كرامة * فلي الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتا كأحسن نائم * والطرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده * بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

اقول هذا الذي يقال له الجنون فنون * فانا لله وانا اليه راجعون

* من فعل هذا المجنون * على انه من ارق الناس شعرا * واكثرهم للمحبوب ذكرا * فمن شعره الفايق * ونظمه الرايق * قوله في الدعا على المحبوب

كيف الدعاء على من خان او ظلما * وما لكي ظالم في كل ما حكما
لا واخذ الله من اهوى بجفوته * عني ولا اقتص لي منه ولا انتقما

اقول صار الطالب مطلوب * وهذا الفقه المقلوب * ما كفاه انه فعل بالاحباب * ما لا تفعله الكلاب * حتى يقول لا واخذ الله من اهوى بجفوته * ويمزج رقة شعره بقسوته * فهو في الخفة والطيش * وقتل المحبوب لا في ايش * ولا على ايش * فمن غلب عليه هواه كما تراه ففعل بمحبوبه ما فعل * واقام ضربه بالسيف مقام القبل *

اجابه لم تفعلون بقلبه * ما ليس تفعله به اعداؤه

وقد اثبت هذه الرسالة بكمالها في الباب الاول من كتابي مرآة العقول ومما ينخرط في سلك هذه الحكاية ما حكاه الشيخ اثير الدين ابو حيان في تفسيره عند قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك ونقل عن العزيز انه كان قليل الغيرة وتربة اقليم مصر اقتضت هذا يعني قلة الغيرة ثم قال واين هذا مما جرى لبعض ملوك بلادنا وهو انه كان مع ندماه المختصين به في مجلس انسه وجاريته تغني من وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فما لبث حتى اتى برأس الجارية مقطوعا في طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط ذلك الرجل المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك قلت لو مات كان معذورا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * ومثل هذا ايضا ما فعله جعفر بن سليمان وذلك انه لما اشترى جاريته الزرقاء وكانت جارية نفيسة غالية

[2] قوله فهو في الخفة والطيش وفي بعض النسخ فهو من الطيش

الثمن وهي بثمانين الف درهم وكانت من القينات الحسان * ذوات الالحان * فقال لها يوما هل ظفر منك احد ممن كان يهواك بخلوة او بقبلة فخشيت ان يبلغه شئ كانت فعلته بحضرة جماعة او يكون قد بلغه فقالت لا والله الا يزيد بن عون العبادي قبلني وقذف في فمي لؤلؤة بعتها بثلاثين الف درهم فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال له حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات قلت قد استراح والله من هذا الصداع كله وانشد عبد المحسن الصوري حيث قال في عدم الغيرة على محبوبه

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلة عن لوعتي ونحيبي
وشاركني في حبه كل ماجد * يشاركني في مهجتي بنصيب
فلا تلزموني غيرة ما الفتها * فان حبيبي من احب حبيبي

وقد بالغ الاخر فقال يتبجح بالقياده

اقود بحمد الله لا عن كراهة * وغيري قواد على رغم انفه

وما احسن قول ابي الحسين الجزار

قلت لما سكب السا * قي على الارض الشرابا
غيرة مني عليه * ليتني كنت ترابا

وقال نور الدين الاسعردي واحسن ما شاء

تميل الريح بالاغصان لطفا * كما مالت بشاربها العقار
وتجمع بينهم من بعد بعد * واوراق الغصون لها ازار
وتخفق غيرة عند التلاقي * فهل ابصرت قوادا يغار

الباب السابع في افشاء السر والكتمان * عند عدم الامكان * اقول هذا باب عقدناه لذكر افشاء السر وضده * وهزل كل منهما وجده * اذ للمحبين فيهما مذهبان * مذهبان فمنهم من اباح اباحته * وراى في افشايه راحته * ومنهم من راى كتمانه من الديانه * فحل من مراتب الحب في اعز مكانه * حيث قال

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى فمت بوجدى
فاذا كان فى القيامة نودى * من قتيل الهوى تقدمت وحدى

نعم من الناس من كتمه * فأراه كتمانه عدمه * ومنهم من افشاه * فوقع فيما يخشاه * ولكل من المذهبين شاهد * وبجر دمع زائد * لا ينجو غريقه * ولا تسلك طريقه * فالعاشق منهما بين داءين كلاهما الاخطر * وسيفين لابد من قتله بأحدهما على الصحيح الاشهر * كما قال شهاب الدين السهروردى المقتول بحلب

وارحمتا للعاشقين تحملوا * ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح

والذى اراه فى ذلك كله * وتميزوا به من ظله * ان المحب اذا علم من محبوبه الوفا * وعدم الجفا * فالواجب عليه افشاء السر الى الحبيب * وابداء العلة الى الطبيب * كما قيل

وبح بالسرائر فى اهلها * واياك فى غيرهم ان تبوحا

وقد ظرف ابو جعفر الشطرنجى حيث قال

قل لمن شئت اننى بك مغرم * ثم دعه يروضه ابليس

وقد قال بعض من مارس الحب وحلب اشطره افشاء المحب سره الى المحبوب وشكوى ما يقاسيه طرف من السحر قلت بل هو السحر كله * ومعظمه وجله * وقد عرف ذلك من جربه * وادبه الحب وهذبه * وعلى هذا حكاية احمد بن واصل قال لما كلفت عباسة بنت المهدى بجعفر بعد ان زوجه بها الرشيد وشرط عليه ان لا يقربها واشتد وجدها به وعشقها له ولم يطاوعها على ما احبت وخاف على نفسه من الرشيد ان يظهر امرها فكتبت له

عزمت على قلبى بأن يكتم الهوى * فصاح ونادى اننى غير فاعل
فان لم تصلنى بحت بالسر عنوة * وان عنفتنى فى هواك عواذلى

وان كان موت لا اموت بغصتي * واقررت قبل الموت انك قاتلي
فقالت منه ما ارادت وهل حصل لها ذلك الا بافشاء سرها *
وشكوى ضرها * وقال ابن شاذان الكاتب قالت لي
عريب جارية المامون كنت مع الواثق وهو يطوف على حجر جواريه
عند خروجه الى الانبار متنزها فدخل على فريدة جاريته وكان
يحبها جدًّا وكان ايضا يهوى وصيفة لها ولم يكن يعلم ذلك
غيري فلما رأته عند مولاتها دخلت خزانتها وقامت على رأسها
وعليها عصابة مكتوب عليها بالذهب هذان البيتان

عيني تبكي حذر البين * ما اسخن الفرقة للعين
لم ار في الحب ولوعاته * اوجع من فرقة الفين

فقال لي الواثق فهمت يا عريب فقلت نعم يا سيدي فكتب على الارض
بقضيب في يده

ظهر الهوى وتهتكت استاره * والحب خير سبيله اظهاره
فاعص العواذل في هواك مجاهرًا * فالذ عيش المستهام جهاره

فحفظت الابيات وتضاحكنا ففطنت فريدة فقالت يا سيدي
علمت ما انتما فيه فامنن على امتك بقبولها فقال الواثق قد فعلت
خذيها اليك يا عريب فاخذت بيدها فما ملك نفسه حتى انصرف
من خلفي مسرعًا فخلا بها وامر لي بالف دينار * ومنهم من لا يجري
ذكر العشق على لسانه البته * ويسكت حتى كأن به السكتة
ولم ار في ذلك مما يتنافس فيه المتنافس * احسن من قول ابن قلاقس

كتمت الهوى عند العواذل ضنة * عليهم عن اصبوا اليه واهواه
ولو قلت اني عاشق فطنوا به * لعلمهم ان ليس يعشق الا هو

ومنهم من يبوء باثمه * ويرى التصريح باسمه *

فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى * فلا خير في اللذات من دونها ستر

وقال ابراهيم بن عبد الله رايت على خد جارية مكتوبا بالغاليه

كلّ يوم اذوب من الم الشو * ق وقلبي من الصدود قريح
لم اجد خلوة اليك فاشكو * ما بقلبي لعله يستريح
ويح قلبي كأنه لحد قبر * ضمّ اعضاء ميت فيه روح
في البيت الثاني من هذه الأبيات تنبيه على انّ افشاء السرّ الى الحبيب لا يكون الا خلوة فينبغي ان لا يعلم به خلا ولا صديقا * ما وجد الى ذلك طريقا * كما قيل
يا موقد النار الهابا على كبدي * اليك اشكو الذي بي لا الى احد
اليك اشكو الذي بي من هواك فقد * طلبت غيرك للشكوى فلم اجد
وقال الاحوص
لعمرك ما استودعت سرّي وسرّها * سوانا حذارا ان تضيع السرائر
ومن ظريف ما مرّ بي في هذا الباب انّ بعض العشاق انشد يوما محبوبته قول الشاعر
سرّي وسرّك لم يشعر به احد * الا الإله والا انت ثم انا
فقالت له لا تنس القوادة فانها لا بد ان تدري بسرنا * وتطلع على امرنا * ومن احسن ما سمعته في ذمّ مفشي السرّ قول الحسين بن بشر
لحى الله امرأ اودعك سرّا * لتكتمه وفضّ الله فاه
فانك بالذي استودعت منه * انمّ من الزجاج بما حواه
قلت وما ابعد ان يكون المتّصف بهذه الصفة من ذريّة القائل
وما اكتم الأسرار لكن انمّها * ولا اترك الأسرار تغلي على قلبي
فان قليل العقل من بات ليله * تقلبه الأسرار جنبا على جنب
واين هذا من قول القائل
وقائلة ما بال جسمك لا يُرى * سقيما واجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبي بحبّك لم يبح * لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم
ويحكى انّ سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم مرّت

في جوابها

فى جواريها بعروة بن اذينه وهو يغنى فقالت لجواريها من الشيخ فقلن عروة فملن نحوه فقالت يا ابا تمام انك تزعم انك لم تعشق قط كيف وانت تقول

قالت وابثثتها سرى فبحت به * قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وما القى على بصرى

وقالت كل ما ترى حولى من الجوار احرار ان كان هذا الكلام خرج عن قلب سليم قط ⁂ حكى عن احمد بن ابى عثمان الكاتب انه كان صديقا لابى الفضل عبد الغفار الانصارى فعشق احمد جارية لام جعفر اسمها نعمى وهام بها فاطلعه على سره ووصفها له فعشقها عبد الغفار الانصارى فاعتل علة طويلة فاتصل خبره بام جعفر وظنت ان به علة فوجهت اليه طبيبا فانشد

ارسلت ام جعفر لى طبيبا * لتشكائى فضل علم الطبيب
ودوائى واصل دائى لديها * فى يدى شادن غرير ربيب
خبروها بان نعمى دوائى * كى تداوى مريضها عن قريب

فسمعت ام جعفر الابيات وسالت عن قصته فلما وقفت عليها وهبته الجارية وهجر احمد عبد الغفار وقال جعلتك موضعا لسرى فافسدت على والمفاسد المترتبة على افشاء السر الى الغير كثيرة ولهذا قال ابو العلاء المعرى

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

وقال الصاحب محيى الدين الجزرى من رسالة فواعجبا كيف لا يتفطن من لا اسميه ولا ينتشق لكثرة ما احوم حول القول فيه ولا اوفيه ان شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون وترامت الى مهاوى الاثم الظنون * ولو ابدت بعضه اخاف ان يفطن الناس * وان افضت فيه اخشى ان لا يحمله سمع ولا يسعه قرطاس * ومن احسن ما سمعته فى كتمان السر قول

النابغة وكان الامام على رضى الله عنه يتمثل به وهو

لا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا
فانى رايت وشاة الرجا * ل لا يتركون اديما صحيحا

وكتب بهما عبد الملك بن مروان الى الحجاج وكان قد استكتمه امرا في كتاب كتبه اليه فظهر وقال عمرو بن العاص ما استودعت احدا سرا فافشاه فلمته لانى كنت اضيق منه صدرا به حين استودعته اخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر اضيق

وقال آخر

اذا انت لم تحفظ لنفسك سرها * فسرك عند الناس افشى واضيع

وقال ابو جعفر الشطرنجى

فلا تخبر بسرك كل امة * وصير من حشاك له حجابا
فما اودعت مثل النفس سرا * ولا اغلقت مثل الصدر بابا

وحكى الماوردى ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس فى مجلسه حفظ السر فقال

ومستودعى سرا تضمنت ستره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبى واحسن ما شاء

وما السر فى قلبى كميت بحفرة * لأنى ارى المدفون ينتظر الحشرا
ولكننى اخفيه حتى كاننى * من الدهر يوما ما احطت به خبرا

وقال آخر

يا ذا الذى اودعنى سره * لا ترج ان تسمعه منى
لم اجره بعدك فى خاطرى * كانه ما مر فى اذنى

وقال بشار

لا اخرجن من الدنيا وحبكم * بين الجوانح لم يعلم به احد

وقال طلحة بن ابى بكر

قوله لا تفش دخل فيه الخرم

لا تظهرنّ محبّة لحبيب * فترى بعينك منه كلّ عجيب
اظهرت يوما للحبيب مودّتي * فاخذت من هجرانه بنصيب

قيل اسرّ رجل الى رجل حديثا فلمّا فرغ قال احفظته قال بل نسيته وقال ابن المعتز كلما كثرت خزان الأسرار زاد ضياعها ومن كلام الحكماء احفظ ذهبك كما تكتم مذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه ومن كلام القاضي الفاضل وأمِتِ الاسرار في قلبك * والحدموتاها في جنبك * فقبيح بك ان يرى لك سرّ الا عند ربّك * ووصف اعرابي قوما فقال سيوفهم آفات الأعمار * وصدورهم قبور الاسرار * وما احسن قول ابن مماتي من ابيات

وضاق على السّجن حتى كانني * حللت به للضيق في صدر محنق
فيا ليتني كالدمع في جفن عاشق * فاخرج او كالسر في صدر احمق

وقال العبّاس بن الأحنف

باح دمعي فليس يكتم سرّا * ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طيّ * فاستدلوا عليه بالعنوان

الباب الثامن في مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافي غيظه وانحرافه * اقول هذا باب عقدناه لذكر مغالطة الحبيب في نفسه * والحاق يومه بامسه * وهو من اعظم الابواب حشوه * واكثرها رشوه * واحسنها اختراعا * واكثرها خداعا * وابلغها خطابه * واكثرها اصابه * وسنورد من ذلك ما يعذب ايراده * ويحسن عند اهل الأنشاء انشاده * ليعلموا ان الأديب على الحبيب يحتال * ويجاري برقة الفاظه الجريال * فمن ذلك وهو من احسن ما سمعته في مغالطة الحبيب

قم بنا يا نور عيني * نجعل الشك يقينا
فالى كم يا حبيبي * يأثم القائل فينا

ومثله قول الآخر

ما انس لا انس قولها بمنى * ويحك ان الوشاة قد علموا
ونم واش بنا فقلت لها * هل لك يا هند في الذى زعموا
قالت لماذا ترى فقلت لها * كى لا تضيع الظنون والتهم

وقال العبّاس بن الأحنف

كأن لم يكن بيني وبينكم هوى * ولم يك موصولا بحبلكم حبلى
وانى لاستحيى لكم من محدث * يحدّث عنكم بالملالة والمطل

وقال الآخر

نسبت الى ذنب ولم اك مذنبا * وحملتنى فى الحب ما لا اطيقه
وما طلبى للوصل حرصا على البقا * ولكنه اجر اليك اسوقه

قلت ما يرضى يروح سواء بسواء حتى يسوق اليه الاجر ايضا ومما قلته انا فى هذا المعنى

لم اطلب الوصل من اجلى فديتك يا * من زاد حظى سوادا منه شاماته
لكن خشيت بان تبلى بعشق رشا * يقتص لى منك والدنيا مكافاة

وقال آخر

قد اكثر الناس انواع الحديث بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدرى انه صدقا

وقال آخر

يا سيّدى عندك لى مظلمه * فاستفت فيها ابن ابى خيثمه
فانّه يرويه عن جدّه * وجدّه يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى * نبيّنا المبعوث بالمرحمه
ان انقطاع الخل عن خله * فوق ثلاث ربّنا حرّمه
وانت مذ شهر لنا هاجر * اما تخاف الله فينا فمه

وقال جميل

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى ان يقولوا اننى لك عاشق

نعم صدق الواشون انت حبيبة * الى وان لم تصف منك الخلائق
قلت هكذا رايته فى غالبها وقفت عليه من نسخ الحماسة وسمعت
من افواه اهل الأدب اعنى ان قافية البيت الأول عاشق والصحيح
انها وامق لأن المعنى على ذلك بيانه ان الوامق المحب لغير ريبة
والعاشق المحب لريبة واذا كان ذلك كذلك لم تصح المغالطة
الا بقوله وماذا عسى يقول الواشون سوى انى لك وامق
اى محب لغير ريبة وقال ابن رواحة الحموى

ان كان يحلو الديك قتلى * فزد من الهجر فى عذابى
عسى يطيل الوقوف بينى * وبينك الله فى الحساب

حكى ان بعضهم انشد شابا كان يحبه

ماذا نقول اذا اجتمعنا فى غد * واقول للرحمن هذا قاتلى

فقال له الشاب اقول هذا اراد ان ينيكنى فما مكنته وقال ابن
سنا الملك من رسالة وانا والله فى امرك مغلوب *
والسبب انى انا المحب وانت المحبوب * ولا اتجالد عليك فاغرك
* واخون حبك * ولا اتصنع عليك فاغشك * واغم قلبك
* اعمل ما شئت فانا الصابر * واقتل كيف شئت فانا الشاكر
* وقل فلى سمع يعشق قولك * والتفت ترآما لى ترفرف حولك
* فافعل فانت المعذور * واستطل فما انا المضرور بل المسرور
* وارجع الى الود الذى بيننا فكل ذنب لك مغفور * وقال
ايضا وانا استعيذ بالله من ذنب يوجب عتبك * ويملى عذبك
* ويصرف قلبك * ويجعلك ثانى عطفك * ويغيرك على
الفك * لست على هجرك جلد القوى * ولا على عتبك شاكى السلاح
وقال ابن الساودى الشاعر المشهور

اشكو اليك ومن صدودك اشتكى * واظن من شغفى بانك منصفى
واصد عنك مخافة من ان يرى * منك الصدود فيشتفى من يشتفى

وحكى القاضي ابو عمر محمد بن يوسف الأزدي قال كنت اساير ابا بكر محمد بن داود الأصفهاني ببغداد واذا بجارية تغني من شعره

اشكو اليك فؤاداً انت متلفه * شكوى عليل الى الف يعلله
سقم يزيد على الايام كثرته * وانت في عظم ما القى تقلله
الله حرم قتلي في الهوى سفها * وانت يا قاتلي ظلماً تحلله

فقال محمد بن داود كيف السبيل الى استرجاع هذا فقلت له هيهات سارت به الركبان وقال ابو عبد الله

قلبي عليك ارق من خديكا * وقواي اوهى من قوى جفنيكا
لم لا ترق لمن تعذب قلبه * ظلماً ويعطفه هواه عليكا

وقال ابو العلاء المعري

لغيري زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

وقال ابن سنا الملك

وغانية لم تعد عشرين حجة * اقول لها قولاً لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا * فعمرك في العشرين وهي نصاب

وقال ناصر الدين بن النقيب

لقد وجبت عليك زكاة حسن * وفيه كمثل ما في المال حق
فلا تعدل به عني فاني * لمصرفه الفقير المستحق

وقال القاضي شمس الدين بن خلكان رحمه الله من قصيدة

لو لم اكن في رتبة ارعى لها الـ * ـعهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذ لي * خلع العذار ولج فيك مؤنبي
لكن خشيت بان تقول عواذلي * قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي

وقال آخر

حججي عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانني مخصوم
لا استطيع اقول انت ظلمتني * الله يعلم انني مظلوم

وقال المكرم

الناس قد اتموا فينا بظنهم * وصدقوا بالذي ادري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق ظنهم * بان نحقق ما فينا يقولونا
١١ حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة * بالعفو اجمل من اثم الورى فينا

وقال المتنبي

زودينا من حسن وجهك ما دا * م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا بوصلك الآن في الدنيا فانّ المقام فيها قليل

اقول هذا البيت الاخير حسن في بابه فيما يتعلق بمغالطة الحبيب واستعطافه واما الاول ففيه تنفير فليته اراح واستراح * وترك التهكم بالوجوه الملاح * على ان التلعفري اقتدى به في التهكم باحبابه فقال دوبيت

يا تارك ربع الصبر مني مهدوم * ما ابعد لغائب الوصل قدوم
خف ربك في العشاق وارفق بهم * ولا تحسب ان دولة الحسن تدوم

الباب التاسع في الرسل والرسائل * والتلطف في الوسائل

* اقول هذا باب عقدناه لذكر مراسلة الاحباب * وشكوى الجوى في الجواب * وهو باب مطروق * نافق السوق * طالما عرض فيه المحب على الرسول * سلعة النحول * لا سيما من عيل صبره * واشتهر امره * فاصبح وهو في البيت طريح * واستعمل في مراسلة الحبيب حتى الريح * كما قيل

فيا نسيم الصبا انت الرسول له * والله يعلم اني منك غيران
بلغ سلامي الى من لا اكلمه * اني على ذلك الغضبان غضبان
لا يا رسولي لا تذكر له غضبي * فذاك مني تمويه وبهتان
وكيف اغضب لا والله لا اغضب * اني لما رام من قتلي لفرحان
اكل يوم لنا رسل مرددة * وكل يوم لنا في العتب الوان
استخدم الريح في حمل السلام لكم * كانما انا في عصر سليمان

فهو من الهوى على خطر * ومن اقامة الهجر على سفر * لا يقر له

قرار * ولا يصطلى لوجنة محبوبه بنار * لا جرم انه يتعلل بالنسيم العليل * ويقول لاستنشاق اليسير منه قليلك لا يقال له قليل * ومن احسن ما سمعته فى هذا الباب قول الوا وا الدمشقى

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا فى حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا فى ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما فى وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

اخذه من قول عمر بن ابى ربيعة من ابيات يصف بها قوادة

فأتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب
تغلظ القول اذا لانت لها * وتراخى عند سورات الغضب

قيل ان ابن ابى عتيق قال لعمر لما سمع قوله هذا ما احوج المسلمين الى خليفة يدبر امرهم مثل قوادتك هذه ومثل قول الواوا قول الاخر

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتى * سليمى وعرض بى كأنك مازح
وان اعرضت عنى فوه مغالطا * بغيرى وقل ناحت عليه النوايح

وقول الاخر دوبيت

باللطف اذا لقيت من اهواه * عاتبه وقل له الذى القاه
ان غضبه الوصال غالطه به * او رق فقل عبدك لا تنساه

وقال ابو فراس

هبت لنا ريح شمالية * متت الى القلب باسباب
ادت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين اصحابى

وكان الصاحب ابن عباد رحمه الله اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما وقد عقدت للنسيم بابا مستقلا فى كتابى سلوك السنن فى وصف السكن وذكرت فيه اشياء تليق بهذا الباب منها قول امين الدين بن عطايا

انا اهوى غصن النقا وهولاه * وفؤادى بحبه فى التيه

يا نسيم الصبا ترفق عليه * وتلطف به ولا توذيه
وتحمل رسالة ليس الا * ك امينا فى حملها ارتضيه
واذا لم يكن رسولى نسيماً * نحو غصن النقا فمن يثنيه

وقال ابن الخياط الدمشقى

يا نسيم الصبا الولوع بوجدى * حبذا انت لو مررت بهند
ولقد رابنى شذاك فبا لله * متى عهده باطلال نجد

وقال مهيار الديلمى

حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحاً وخزاما
وابعثوا لى فى الدجى طيفكم * ان اذنتم لجفونى ان تناما

حكى ان نور الدين على بن سعيد المغربى صاحب المرقص والمطرب مر مع جماعة من الادباء المصريين وفيهم ابو الحسين الجزار فمروا فى طريقهم بمليح نائم تحت شجرة وقد هبت الهوى فكشف ثيابه عنه فقال ابو الحسين الجزار قفوا لينظم كل منا فى هذا شيئا قال فما لبث ان قال نور الدين المذكور

الريح اقود ما يكون لانها * تبدى خفايا الردف والاعكان
وتميل بالاغصان عند هبوبها * حتى تقبل اوجه الغدران
ولذلك العشاق يتخذونها * رسلا الى الاحباب والاوطان

وقال ابو الحسين الجزار ما بقى احد منا يأتى بمثل هذا فسيروا بنا

وقال على الصفار

اذا هب النسيم بطيب نشر * طربت وقلت ايه يا رسول
سوالى اغار لان فيه * شذاك وانه مثلى عليل

وكان القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر يحب شابا مغنياً اسمه نسيم وله فيه عدة مقاطيع منها قوله

ان كانت العشاق من اشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذى اتلو لهم يا ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

فقلت انا كأني حاضرا خاطبه مضمنا

ان كنت في عشق النسيم متيمًا * وزعمت ان هواه ليس بمتلف
فانا اقول لمن تحرش بالهوى * عرضت نفسك للبلى فاستهدف

وقال القاضي محيي الدين ايضا في محبوبه النسيم

يامن غدا لي من عوا * صف هجره الريح العقيم
انري يطيب لي الهوى * ويقال قد رق النسيم

قلت انا كأني حاضرا خاطبه

بالله ان رق النسيم واخمدت * نار توججها يد التبريح
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ودع العذول وقوله في الريح

وقال القاضي محيي الدين ايضا

شكرا لنسمة ارضكم * كم بلغت عني تحيه
ولكم اطالت بالـــ اطا * بت في رسائلها الذكيه
لا غرو ان حفظت احا * ديث الهوى فهي الزكيه

اخذه صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي من اهل العصر فقال

ياطيب نشر هب لي من ارضكم * فاثار كامن لوعتي وتهتكي
اهدى تحيتكم واشبه لطفكم * وروى شذاكم ان ذا ريح ذكي

فقلت انا لما وقفت على قوله هذا وقول القاضي محيي الدين المتقدم عليه

ان ابن ايبك لم تزل سرقاته * تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه * جهلا فراح كلامه في الريح

وقد ذكرت في النسيم اشيا مليحه في كتابي سلوك السنن المذكور
واقتصرت منها على هذا القدر هنا خوف الاطالة ويجب ان يكون
الرسول من اهل الصيانه * وممن يرجع الى ديانه * لئلا يطمع فيصير
خليلا * بعد ان كان رسولا * كما اتفق لرسول ابن سنا الملك
الذي قال فيه

راح رسولا وجاء لي عاشق * وعاقه عن رسالتي عايق

وعاد

وعاد لا بالجواب بل بجوى * اخرسه والهوى به ناطق

وقال آخر

راح الرسول اليه وهو مفند * رجع الرسول الى وهو متيم

ولهذا قال ابن الاثير ليس على الحسن امانه * وفي مثله تعذر الخيانه *

وقال المتنبى

مالنا كلنا جو يا رسول * انا اهوى وقلبك المتبول

كلما عاد من بعثت اليها * غارمني وخان فيما يقول

افسدت بيننا الأمانات عينا * ها وخانت قلوبهن العقول

اى عيناها بسحرها افسدت امانة الرسول في الرسالة وخانت العقول قلوبها اى فارقت العقول القلوب بسببها قال الارجانى

قسماً لقد رجع النسيم عليلا * لما سرى مني اليك رسولا

ودرى بحبك انه قد خانني * فغدا يجر من الحياء ذيولا

ومن احسن ما سمعته في الرسائل والتلطف في الوسائل ما حكى عن الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين انه كان في ايام ابيه احب قينة وشغف بها فبلغ صلاح الدين فمنعه من صحبتها ومنعها منه فحزن ولم يمكنه ان يجتمع بها ومضى على ذلك مدة ايام فسيرت اليه مع خادم كرة عنبر فكسرها فوجد فيها زر ذهب فلم يفهم مرادها بذلك وجاءه القاضي الفاضل فعرفه الصورة فقال في الحال

اهدت لك العنبر في وسطه * زر من التبر رقيق اللحام

فالزر في العنبر تفسيره * زرهكذا مستترا في الظلام

وقال علاء الدين المغربي من رسالة النيرين وهي من المحب الكئيب * الى حبيب الحبيب * افتتحها بقوله يقبل الارض وينهي بين يدي المالك الرحيم * سلطان الملاح * وليث الكفاح * منها ذهب النيل وعادا * وغرامي يتمادا

كلما قلت غدا ينـ * ـقص بعض الوجد زادا
كل قلب غير قلبي * نال في الحب المرادا
وانا المسكين وحدي * نلت في الصحب العنادا

قال الراوي ثم ان علاء الدين قال وانا المسكين وحدي بلت في صحن القطايف وعملت الخل ناطف وصلبت ابليس بدقنه وتركته يخغض ويصفق ويغني تللاله تللاله يا عوينات الغزاله رحم الله من قتلني واي فخر في قتل مثلي وهل انا الا شويعر مخارف مسخره قد جعل رسائله وسائله * وقصائده مصائده * يستحلب ضرع الضراعه * ويميط قناع القناعه * ان جاع اكل من تقطيع الاعاريض * وان عطش شرب من بحور القريض * في زمان لا فرق فيه عند اهله بين القادح والمادح * والصائح والنايح

قد ذقت منه ما ليس يقلعه * ابو الحسين القلاع من ضرسي

بل اي شئ احسن من خشفين مترفين اليفين يتراضعان ثدي الصحبه * ويتراشفان كاس المحبه * ويقتطفان ثمر الوصال * ويتساقطان سلسال * ويتسالمان انواع الدلال * ويتواصفان لواعج الغرام * ويتباسطان مباسطة الحمام * ولا يحضرهما غير مزاح ومراح * ولا يلثمهما غير كاس راح

اثنان كالفرد من طول اعتناقهما * يا نا بليل حميد غير مذموم

يسفران عن نيرين * ويبتسمان عن درين * ويتسارقان النظر بلواحظ جوذرين * كانهما اقتسما فنون الحسن والاحسان بكفتي الميزان * ان تنا قلا بعتاب * او تراسلا بكتاب * فدر منثور * وسحر غير محظور * وان تسابقا في ميدان الهوى * او تراشقا بسهام الجوى * فالواتر موتور * والساحر مسحور * وهي رسالة لطيفة ظريفة كلها من هذا النوع اقتصرت منها على هذا القدر خوف الاطالة وقد ذكرتها بكمالها في الجزء الثاني من حاطب ليل

وقلت انا مما كتبته الى بعض الأصحاب

كتبت اليكم والسطور حروفها * بها اعين ترنو اليكم وترمق
ولى قلم امسى لرطب لسانه * سلام مشوق قد براه التشوق

الباب العاشر في الأخيال * على طيف الخيال * وغير ذلك مما قيل فيه * على اختلاف معانيه * اقول هذا باب عقدناه لذكر طيف الخيال الزائر * وما قيل في سيره من المثل السائر * اذ للشعراء في اقتناصه تحيل * وحسن تخيل * طالما اكثروا من ذكره * واستخرجوه من وكره * فقربوا عليه بعد المسافه * ولم يعافوا الحاق زجره بالعيافه * ومن المشهورين فيه بالاجاده * ابو عباده * وغيره كابن النقيب * المتحيل على اصطياد خيال الحبيب * حيث قال * واحسن في المقال

نصبت جفوني للخيال حبائلا * لعل خيالا في الكرى منه يسنح
وكيف اذا اغمضتهن اصيده * ومن عادة الأشراك للصيد تفتح

وما احسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في التوريه

ومولع بفخاخ * يمدها وشباك
قالت لي العين ماذا * يصيد قلت كراكى

وقال ايضاً

واقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

وقال ابو محمد عبد الله السروجي واحسن ما شاء

انعم بوصلك لي فهذا وقته * يكفي من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمري في هواك وليتني * اعطى وصولا بالذي انفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
انت الذي جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبري فرقته
كم جال في ميدان حبك فارس * بالصبر مني في هواك سبقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته

بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى وملك يدى وما اعتقته
او قيل مشتاق اليك فقل لهم * ادرى بذا وانا الذى شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارنى * من فرحتى بلقاه ما حققته
فمضى وفى قلبى عليه حسرة * لو كان يمكننى الرقاد لحقته

وقال ابو تمام

زار الخيال لها لا بل ازارله * فكرا اذا نام فكر الناس لم ينم
ظبى تقنصته لما نصبت له * من اخر الليل اشراكا من الحلم

وقال ايضا

يا لها لذة تنزهت الا ر * واح فيها سرا من الاجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب * غير انا فى دعوة الأحلام

وقال البحترى وهو من المكثرين فى وصف الخيال المجيدين فيه ولكثرة ولوعه به واشتهاره ضرب به المثل فقيل خيال البحترى ومن ذلك قوله

اذا ما الكرى اهدى الى خيالها * شفى قربه التبريح او نقع الصدا
اذا انتزعته من يدى انتباهة * ظننت حبيبا راح منى او غدا
فلم ار مثلينا ولا مثل شاننا * نعذب ايقاظا وننعم هجدا

وقوله

ولم انس اسعاف الكرى بدنوها * وزورتها بعد الهدو وما تدرى
اذا الليل اعطانا من الوصل بلغة * ثنتنا تباشير الصباح الى الهجر

وقوله ايضا

بعثت طيفها الى ودونى * سير شهرين للمهارى العتاق
زارونا من الشأم تحيا * مستهاما صبا بأرض العراق
فقضى ما قضى وعاد اليها * والكرى فى بروده الأخلاق

وقوله

وليلة هومنا على العيس ارسلت * بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثى * بعطفى غزال بت وهنا اغازله

فلم

البحترى

فكم من يد لليل عندى حميدة * وللصبح من خطب تذمّ غوائله

وقال عبد الصّمد بن المعدل

واصل النوم بيننا بعد هجر * فاجتمعنا ونحن مفترقان

غير انّ الارواح خافت رقيبا * فطوت سرّها عن الأبدان

منظر كان لذة القلب الّا * انّه منظر بغير عيان

قال المرتضى هذه الابيات تروى للحميد وفي وهى كثيرة من مثله ودخل ابن القطان الشاعر البغدادىّ يوما على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانّى قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وما هما فانشد

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفانى منه الضمّ والقُبَل

ما زارنى قطّ الّا كى يوافقنى * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول فى دعواه فقال ان اعادهما سمع لهما ثالثا فاعادهما فقال الحيص بيص

وما درى ان نومى حيلة نصبت * لطيفه حين أعيَى اليقظة الحيل

وقال آخر

الا ربّ طيف منك بات معانقى * الى ان دعا داعى الصباح فحيعلا

واوّل من وصف الطيف عمرو بن قمئة فى ما حكاه المرتضى فى كتاب الطيف والخيال فقال

نأتك امامة الّا سؤالا * والا خيالا يوافى خيالا

خيال يخيل لى نيلها * ولو قدرت لم تخيل نوالا

واوّل من طرد الطيف طَرَفة بن العبد حيث قال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فانى واصل حبل من وصل

وتبعه جرير فقال

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

واعجب من جرير فى طرد الخيال الرّاعى حيث هجاه فقال

بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى وملك يدى وما اعتقته
اوقيل مشتاق اليك فقل لهم * ادرى بذا وانا الذى شوقته
ياحسن طيف من خيالك زارنى * من فرحتى بلقاه ما حققته
فمضى وفى قلبى عليه حسرة * لوكان يمكننى الرقاد لحقته

وقال ابو تمام

زار الخيال لها لابل ازاره * فكرًا اذا نام فكر الناس لم ينم
ظبى تقنصته لما نصبت له * من اخر الليل اشراكا من الحلم

وقال ايضًا

يالها لذة تنزهت الار * واح فيها سرًا من الاجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب * غير انا فى دعوة الأحلام

وقال البحترى وهو من المكثرين فى وصف الخيال المجيدين فيه ولكثرة ولوعه به واشتهاره ضرب به المثل فقيل خيال البحترى ومن ذلك قوله

اذا ما الكرى اهدى الى خيالها * شفى قربه التبريح او نقع الصدا
اذا انتزعته من يدى انتباهة * ظننت حبيبًا راح منى او غدا
فلم ار مثلينا ولا مثل شاننا * نعذب ايقاظًا وننعم هجدا

وقوله

ولم انس اسعاف الكرى بدنوها * وزورتها بعد الهدو وما تدرى
اذا الليل اعطانا من الوصل بلغة * ثنتنا تباشير الصباح الى الهجر

وقوله ايضا

بعثت طيفها الى ودونى * سير شهرين للمهارى العتاق
زار وهنا من الشأم فحيا * مستهاما صبا بأرض العراق
فقضى ما قضى وعاد اليها * والتجنى فى برده الأخلاق

وقوله

وليلة هومنا على العيس ارسلت * بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثى * بعطفى غزال بت وهنا اغازله

فكم

فكم من يد لليل عندي حميدة * وللصبح من خطب تذمّ غوائله

وقال عبد الصمد بن المعذل

وَاصَلَ النومُ بيننا بعد هجر * فاجتمعنا ونحن مفترقان

غير ان الارواح خافت رقيبا * فطوت سرّها عن الأبدان

منظر كان لذة القلب الا * انه منظر بغير عيان

قال المرتضى هذه الابيات تروى للحميدي وهي كثيرة من مثله ودخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوما على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانني قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وما هما فانشد

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضمّ والقُبَل

ما زارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في دعواه فقال ان اعادهما سمع لهما ثالثا فاعادهما فقال الحيص بيص

وما درى ان نومي حيلة نصبت * لطيفه حين أعيَى اليقظة الحيل

وقال آخر

الا ربّ طيف منك بات معانقي * الى ان دعا داعي الصباح فحيعلا

واوّل من وصف الطيف عمرو بن قميئة فيما حكاه المرتضى في كتاب الطيف والخيال فقال

نأتك امامة الا سؤالا * والا خيالا يوافي خيالا

خيال يخيل لي نيلها * ولو قدرت لم تخيل نوالا

واوّل من طرد الطيف طَرَفَةُ بن العبد حيث قال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فأني واصل حبل من وصل

وتبعه جرير فقال

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

واعجب من جرير في طرد الخيال الراعي حيث هجاه فقال

طاف الخيال باصحابي فقلت لهم * اثلك ليلى انت ليلا ام الغول
وقد رد على جرير مولانا قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي
واحسن ما شاء حيث قال

يا ليت شعري هل احب جرير اذا بدى اعتذاره
ان كان يصدق حبه * فالقلب منه كالحجاره
لا بل اشد قساوة * فانظر له ابدى عواره
اذ قال قولا لم يقلـ ـه عاشق او ذو جساره
طرقتك صائدة الفؤا * د وليس ذا وقت الزياره

وقال في الرد عليه ايضا

هذا مقالك يا جرير لدى اشنع ما يقال
هل ثم وقت ليس يصـ * ـلح للزيارة والوصال
ام قيل قبلك فارجعي * ولذاك ذنب لا يقال
ام كان حبك كاذبا * فمنامه ينفي الخيال
ام كان قلبك من حديـ ـد ليس تؤذيه النبال

وقلت انا

واخجلتا لك يا جرير في المحافل والمشاهد
طرقتك صائدة الفؤا * د فكنت صبا غير صائد
فرددت طيف خيالها * هذا خيال منك فاسد
الطيف اعشق منك اذ * وافا اليك وانت راقد
لا عاد مثلك ما بقي * في الناس للعشاق عائد

وقلت ايضا من قصيدة

يطالبني قلبي به فكانني * غريم وقلبي في تقاضيه مغرم
ولي منه في ليل الكرى ونهاره * خيال مسلم وحبيب مسلم
وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني
يا حبذا طيفك من قادم * يا احسن العالم في العالم

طيف تجلى نوره ساطعا * حتى رأته مقلة النائم
يا غايباً بحكم فى مهجتى * على طالت غيبة الحاكم
عار على حسنك ان يشتكى * حظى منه انه ظالمى

وقد احسن التهامى فى تفضيل الخيال على الحقيقة حيث قال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت * سيان ما اشبه الوجدان بالعدم
الطيف احسن وصلا ان لذته * تخلو من الاثم والتنغيص والندم

وقد بلغ النهاية فى اللطف كشاجم حيث اعتذر على لسان الحبيب عن تاخر الخيال فقال

لقد بخلت حتى بطيف مسلم * على وقالت رحمة لحبيبى
اخاف على طيفى اذا جاء طارقا * وسادك ان يلقاه طيف رقيبى

وما احسن ايضا اعتذار المغربى وقد ضمنه بن عنين وكتب به من اليمن الى اخيه بدمشق

سامحت كتبك فى القطيعة عالما * ان الصحيفة اعوزت من حامل
وعذرت طيفك فى الجفاء لانه * يسرى فيصبح دوننا بمراحل

وقال آخر

وزارنى طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيبنى * نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

وقال بن المعتز

ابصرته فى المنام معتذرا * الى مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به * وجدته عند الصبح لا كانا

قيل من نكد الدنيا ان الانسان يرى فى منامه انه شم طيبا او واصل حبيبا * اوبال عزا * او وجد كنزا * فاذا انتبه لم ير من ذلك شيئا وربما راى انه قد احدث فاذا انتبه راى ذلك يقينا فى ثيابه كما قيل فيه

ارى فى منامي كل شئ يسرنى * ورويای بعد النوم ادهى واقبح
فأن كان خيرا فهو اضغاث حالم * وان كان شرا جاءنى قبل أصبح

وقال المعرى

الى الله اشكو اننى كل ليلة * اذا نمت لم اعدم خواطر اوهام
فان كان شرا فهو لاشك واقع * وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

وما احسن قول ابن التلميذ

عاتبت اذ لم يزر خيالك فى النوم فشوقى اليك مسلوب
فزارنى منعما وعاتبنى * كما يقال المنام مقلوب

وقال ابن الاحنف

واحلم فى المنام بكل خير * فأصبح لا اراه ولا يرانى
ولو ابصرت شرا فى منامى * لقيت الشر من قبل الاذان

وما اظرف قول ابن المعتز

الم الخيال بلا حمده * وأبدلنى الوصل من صده
وكم نومة لى قوادة * اتت بالحبيب على بعده

ومثله قول الآخر

تركت هجا ابليس ثم مدحته * وذاك لأمر عز عندى سلوكه
يقرب من اهواه حينا فانى * حكاه خيالا فى الكرى فانيكه

وقال بعض مشايخ العصر

لو ان طيفك فى المنام جليسي * ما بت اشكو لوعتي ورسيسي
قمر ادار على خمرة ريقه * ولحاظه وحديثه المأنوس
ما عمدتى فى قربه وحضوره * ووفائه الا على ابليس

وما احسن قول القاضى الفاضل رحمه الله هذا على أن الطيف لا أعتد له بمنة وان ركب المجاهل * وقطع المراحل * وتخطى الى اغصان القنا * وخاض جداول الظبى * ووطئ شوك النصال * وعثر بحبال الخيال * ودنا واعين الشهب حولى روان

واطرا

واطراف القسى دوان * وكيف أعتدّ له بمنّة والفكر مُدْنيه وانا يقظان * ويمثل ما لم يكن من قربه كما مثلت العيون منه ما كان * حكى عن بعض المغفلين انه تعب فى تحصيل امرأة كان يهواها مدّة طويلة فلما حصلت عنده فى البيت وضع رأسه ونام فقالت له لأى شئ فعلت هذا فقال من عشقى فيك انام لعلى ارى خيالك فى النوم * وحكى عن بعض البخلاء انه قال لمحبوبته وضعت خدّى على الارض لكى ترضى فقالت أعطنى دينارا حتى اخليك تضع خدّك على خدّى ولقد بلغ نهاية اللطف قول القائل

قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلّفته لو مات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا فى الحب عادته * يا برد ذاك الذى قالت على كبدى

وقول الآخر

فهلا منعتم اذ منعتم كلامها * خيالا يوافينا على البعد هاديا
سقى الله اطلالا بافنية الحمى * وان كنّ قد ابدين للناس حاليا
منازل لو مرّت بهن جنازتى * لقال الصدى يا صاحبىّ انزلا بيا

وقال توبة بن الحميرى

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها * فلن تمنعوا منى البكا والقوافيا
فهلا منعتم اذ منعتم حديثها * خيالا يوافينا على البعد هاديا

الباب الحادى عشر فى قصر الليل وطوله * وخضاب شفقه ونصوله * وما فى معنى ذلك اقول هذا باب عقدناه لذكر من طال سهاد جفنه القصير * فأمسى وماله الى اسفار الصباح سفير * فهو ينشد من شدّة الحرق * وكثرة الارق *

يا ليل طل اولا يطل * لا بدّ لى انا سهرك
لو بات عندى قمرى * ما بت ارعى قمرك

ولم تزل العشاق تشكو من الليل وطوله * ويصفونه بسواد الوجه

عند حلوله * وعذرهم فى ذلك ظاهر * وكيف لا وقد قال فيه الشاعر

مات الظلام بليل * احيبته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

وقال شرف الدين احمد بن منقذ

لما رأيت النجم ساهٍ طرفهُ * والقطب قد القى عليه سباتا
وبناتِ نعشٍ فى الحداد سوافراً * ايقنت ان صباحهم قد ماتا

وقال ايضا

ولرب ليل تاه فيه نجمه * قطعته سهراً فطال وعسعسا
وسالته عن صبحه فاجابنى * لو كان فى قيد الحياة تنفسا

قلت وقبل الشروع فى ايراد مقاطيع هذا الباب نذكر هنا حكاية لطيفة تتعلق بطول الليل وقصره وهى ما حكاه ابو محمد اسماعيل بن منصور الجواليقى قال وقف على والدى وهو جالس فى حلقة يقرأ فيها عليه الطلبة شاب فقال يا سيدى قد سمعت بيتين من الشعر ولم افهم معناهما فقال له قل فانشد

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها * وهجره النار يصلينا به النارا
فالشمس بالقوس امست وهى نازلة * ان لم يزرنى وبالجوزآء ان زارا

قال فلما سمعها والدى قال له يا ولدى هذا شئ من معرفة النجوم وتسييرها لا من صنعة اهل الادب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة فاستحيا والدى لكونه سئل عن شئ ليس عنده منه علم وآلى على نفسه ان لا يجلس فى حلقة حتى ينظر فى علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر فى ذلك وحصل معرفته ثم جلس وقال معنى البيت المسئول عنه ان الشمس اذا كانت فى آخر القوس كان الليل فى غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كان فى آخر الجوزآء كان الليل فى غاية القصر لانه فى آخر فصل الربيع فكانه يقول اذا لم يزرنى فالليل عندى فى غاية الطول

وان

قوله الظلام كذا فى النسخ ولعل صوابه الصباح مصححه

وان زارنى كان الليل عندى فى غاية القصر وقد انصف القائل

لا اظلم الليل ولا ادعى * ان نجوم الليل لست تسير
ليلى كما شاءت فأن لم تزر * طال وان زارت فليلى قصير

وما احسن قول الأرّجانى

وما ليلنا الا سواء وانما * تفاوت انا سهرنا ونمتم

ومن احسن ما قيل فى قصر الليل قول ابى اسحاق الصولى

وليلة من الليالى الزهر * قابلت فيها بدرها ببدرى
لم تك غير شفق وفجر * حتى تولت وهى بكر الدهر

وقال الرضى

يا ليلة كادت من تقاصرها * يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال آخر

سالت الليل لم ولّى هزيما * وقد بات الحبيب على اقتراحى
فقال كواكبى غارت وسارت * مخامرة على الى الصباح

ومن احسن ما قيل فى طول الليل قول العباس بن الأحنف

ايها الراقدون حولى اعينو * نى على الليل واتركوا الأعذارا
حدثونى عن النهار حديثا * اوصفوه فقد نسيت النهارا

وقال آخر

عهدى بنا ورداء الليل مشتمل * والليل اطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلى مذ بانوا فديتهم * ليل الضرير فصبحى غير منتظر

وقال ابن العتارية

لقد ساهرتنى عيون الدجى * وقد نام عنى عيون الملاح
اذا ما شكى الليل هجر الصباح * شكوت الى الله هجر الصباح

وقال ابن الزقاق

لى مسكن شطت بى غربة * جادت لها عيناى بالمزن
ما أحسن الفجر ولا راقنى * بياضه مذ بان فى الظعن

كأنما الصبح لنا بعده * عين قد ابيضت من الحزن

وما احسن قول القاضي الفاضل

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

وقال ياقوت

كأن الثريا راحة تشبر الدجا * لتعلم طال الليل ام قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

اخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل فقال

بكف الثريا وهي جذما يقاس لي * شقاق الدجا مد من الشرق والغرب
ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت * فما تنقضي بالليل او ينقضي نحبي

وقد احسن الارجاني في الاعتذار عن طول الليل فقال

لا ادعي جور الزمان ولا ارى * ليلي يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصباح تنفست * للهم اصدأ وجهها المصقولا

وقال مضر بن القفعسي

وليل تقول الناس من ظلماته * سواء صحيحات العيون وعورها
كأن لنا منه بيوتا حصينة * مسوح اعاليها وساج كسورها

وقال آخر

ولي سنة لم ادر ما سنة الكرى * كأن جفوني مسمعي والكرى عذل

وقلت انا

مذ غبت عني شمس الدين ما اكتحلت * عيني بغير ذرور السهد والسهر
كم بت ارعى نجوم الليل من ارقي * يا اشبه الناس كل الناس بالقمر

وقال الشريشي فاما اكثر الشعراء فهم من الليل افزع * والى النهار انزع * لان الليل اجمع لاشتات الهموم والفكر * واجلب لشوارد الاحزان والذكر وقال امرؤ القيس

وليل كموج البحر ارخى سدوله * علي بانواع الهموم ليبتلي

وقال فقيد

وقال قيس بن ذريح

اقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهمّ بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل هزتني اليك المضاجع

وقال ابن المعتز

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمّامة والليل قوّاد
كم عاشق وظلام الليل يستره * لاقى الاحبّة والواشون رقّاد

وقال المتنبي

كم زورة لك في الاعراب خافية * ازهى وقد رقدوا من زورة الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي * وانثني وبياض الصبح يغري بي

هذا البيت امير شعر المتنبي على كثرة الجيد فيه وفيه مقابلة خمسة بخمسة وقد اخذه بعضهم فقال

أقلي النهار اذا اضاء صباحه * واظل انتظر الظلام الدامسا
فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكا * والليل يرثي لي فيدبر عابسا

وقد احسن في اخذه فان فيه ايضا مقابلة خمسة بخمسة قال ابن يحيى في قول المتنبي المذكور انه مأخوذ من قول ابن المعتز (فالشمس نمامة والليل قوّاد) قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس قال لي شيخنا تقي الدين بن دقيق العيد قل لهؤلاء علماء المعاني والبيان والبديع اتحسنون ان تقولوا مثل قول المتنبي ازورهم وسواد الليل البيت فاذا قالوا لا قل فاي فائدة فيما تصنعونه يريد بذلك ان العمل غير العلم والمباشرة دون الوصف ومثل قوله هذا ما حكاه بعضهم عن بعض الوعاظ انه كان على منبره يتكلم في المحبة وامور العشق واحواله ومدّ أطناب الاطناب في ذلك فقام اليه بعض الجماعة فقال

بعيشك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح او قبلت فاها
وهل زفت عليك فروع ليلى * زفاف الاقحوانة في نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فافشر وقال المتنبي

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر ان المانوية تكذب
وقاك ردى الاعداء تسرى اليهم وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية قوم يعتقدون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام فكذبهم بانه وجد الخير فى الظلام حيث ستره عن اعدائه ووقاه شرهم وكان عونا له على زيارة من يحبه وقال ابن رشيق

ايها الليل طر بغير جناح * ليس فى العين راحة فى الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عنى ولو الوجوه الصباح

حكى الاصمعى قال حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل ابو نواس فقال ما احدث بعدنا يا ابا نواس فقال يا امير المؤمنين ولو فى الخمر فقال قاتلك الله ولو فى الخمر فانشده

يا شقيق الروح من جسدى * اهوى بى منك ام لمم

الابيات حتى اتى على اخرها فقال احسنت والله يا غلام اعطه عشرة الاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج وحكى عن المطرز الشاعر انه مر وفى رجليه نعل له بالية وهى تثير الغبار فرآه الشريف المرتضى فامر باحضاره وقال له انشدنى ابياتك التى تقول فيها

فان لم تبلغنى اليكم ركائبى * فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت اشار الشريف الى نعله البالية وقال اهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرز ساعة ثم قال لما عادت هبات سيدنا الشريف ايده الله تعالى الى مثل قوله

وخذ النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبى الى مثل ما ترى لانه خلع ما لا تملكه على من لا يقبل فاستحيا الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله تعالى يقول والله قول المطرز عندى احسن من قول الشريف وقال ابو البشر المظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لى اجز هذا النصف * قد بلغ العشق منتهاه * فقلت

وما درى العاشقون ما هو * فقال وانما غرهم دخولى * فقلت
فيه فهاموا به وتاهوا * فقال ولى حبيب يرى هوانى * فقلت
وما تغيرت عن هواه * فقال رياضه النفس فى احتمالى * فقلت
ورضة الحسن فى حلاه * فقال اسمر لدن القوام املى * فقلت
يعشقه كل من يراه * فقال ريقته كلها مدام * فقلت
ختامها المسك من لماه * فقال ليلته كلها رقاد * فقلت
وليلتى كلها انتباه * ثم ان مظفر الدين اكملها مدحا فى
السلطان الملك الكامل تغمده الله برحمته ومنه وكرمه
الباب الثانى عشر فى قلة عقل العذول * وما عنده
من كثرة الفضول * اقول هذا باب عقدناه لذكر من اكثر القيل
والقال من العذال * واستحق بامساك لحيته عند عذله نتف السبال
* وكيف لا وهو لكثرة فضوله * وقلة محصوله * يدخل بين
الروح والجسد * والوالد والولد * طالما اصبح بين المحبين
قفا بين صفاعين * لا يفتح له باب * ولا يرد عليه جواب

واتعب من ناداك من لا تجيبه * واغيظ من عاداك من لا يشاكل
وما التيه خلقى فى الهوى غير اننى * بغيض الى الجاهل المتعاقل

فليته استراح واراح * وصان عرضه المباح * فقد اكثرت الشعراء
فى الرد عليه * واعتذرت المحبون اليه * كما قيل

يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف اسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

وكان يقال ليس من العدل * سرعة العذل * وكان يقال رب
ملوم لا ذنب له وكان يقال (لعل لها عذرا وانت تلوم) فكم عاذل
زاد المحب بعذله لجاجه * وجنونا اكثر من الحاجه

لا بدلن هوى بلوم انه * كالريح يغرى النار بالاحراق

وقال الاخر

وما عذولي ناهياً عنكم * لكنّه بالصبر أمّار
قال اسلهم ان لم تطق هجرهم * قلت له النّار ولا العار

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يا من اذا باعت الابصار أسْوَدَهَا * بحبّة فوق خدّيه فقد ربحت
يزيدني العذل تبريحاً الذيه * فليت عذال قلبي فيك لا برحت

وما احسن قول بلدينا محمّد بن العفيف التلمساني

اسرفت في اللّوم ولم تقتصر * وزدت في لومك يا ذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

وقال والده واحسن ما شاء

ولي على عاذلي حقوق هوى * شكري عليه ببعضها يجب
لام فلمّا رآه هام به * فكنت في عشقه انا السبب

وقال الآخر

قد اجتهد اللّاحي وجاء يلومني * وزخرف لي زور الكلام بمينه
وقال اسل عن هذا وعُد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وحكي بن وكيع انه كان يهوى غلاماً نصرانيا بتنيس فلامه بعض اصحابه عليه ولم يكن رآه فاتفق ان الغلام مر بهما فلما رآه صاحب ابن وكيع استحسنه وقال لو عشقت هذا ما لمتك ولم يعلم انه محبوبه الذي لامه فقال ابن وكيع في الحال

ابصره عاذلي عليه * ولم يكن قبلها رآه
فقال لي لو عشقت هذا * ما لامك الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه * فليس اهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

وقال شيخ الشيوخ بحماه

زعموا انني هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الّا هواكم
قد علمتم بصدق رسل دمعي * فسلوه ان كان قلبي سلاكم

قال لى عذولى متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

وقال ايضا

ان قوما يلحون فى حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها * اخذوا طيبا واعطوا خبيثا

وقال ايضا

من منصفى من عاذل جاهل * يلحون باللوم لمن لا يلحون
ان قلت ما ينصحك الا اذى * قال وما عشقك الا جنون

وقال محمد بن شرف القيروانى

قل للعذول لو اطلعت على الذى * عاينته لعناك ما يعنينى
اتصدنى ام للغرام تردنى * وتلومنى فى الحب ام تغرينى
دعنى فلست معاقبا بجنايتى * اذ ليس دينك فى المحبة دينى

وما احسن قول الاخر

يقول لى العاذل فى لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من احببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وقال آخر

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده * ووكل اجفانى برعى كواكبه
فيا عاذلى دعنى عساه يعود لى * ويا مهجتى صبرا على ما كواك به

وقال عرقلة

قال العواذل ما الذى استحسنته * منه وما يسبيك قلت جميعه

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله

يا خيبة العاذل الذى قد * اطال فى العذل واستطالا
عذبنى ثم قال تسلو * عن حب ماما فقلت لا لا

وقال ايضا

ايها العاذل الغبى تأمل * من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

كم على عاذلي وكم لحبيبي * ذاك تكبيرة وذا تهليله
يا ثقاتي واين مني ثقاتي * اين من يبتغي الي الوسيله
انا ميت فقبلوني اليه * فحياتي وحقه تقبيله

وقال النور الاسعردي

اقول لعاذلي لما نهاني * وقد وجد المقالة اذ جفاني
علمت بانه مر التجني * وفاتك انه حلو اللسان

وقال ابو الفتح قادوس في الاكتفاء

من عاذري في عاذل * يلوم في حب رشا
اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شا

ومثله قول شيخ الشيوخ بحماه

اغضب العشاق منه انني * لم ابع في حبه رشدي بغي
قلت قد اضنيت جسمي قال قد * قلت كي يذهب روحي قال كي

وقال ايضا

راموا فطامي عن هوى * غُذِيّتُهُ طِفلا وكهلا
فوضعت في جيبي يدي * وقلت خلوني والا

ومثله قول الوداعي

يا لائمي في هواها * افرطت في اللوم جهلا
ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وما احسن قول بن سنا الملك في هذا المعنى

اهوى الغزالة والغزال وربما * نهنهت نفسي عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عيني جاهدا * حتى اذا أعييت اطلقت العنا

وقوله ايضا

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما ابدى * فقبلته في الخد تسعين واحدى

وقوله ايضا

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهجم * فيا ليته لو كان يدفع بالتي
وقال شيخ الشيوخ بحماه
اليكم هجرتي وقصدي * وفيكم الموت والحياة
أمنتُ ان توحشوا فؤادي * فأيئسوا مقلتي ولا تو
وقال بن المعتز
زاحم كمي كمه فالتويا * وافق قلبي قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكتويا * يا قرة العين ويا همي ويا
وقال ابن مطروح
والله لا خطر السلو بمهجتي * ما دمت في قيد الحياة ولا اذا
رجع الكلام في العذل وقال الآخر دوبيت
لما نظر العذال وجهك بهتوا * في الحال وقالوا لوم هذا عنت
ما نحسب الا اننا نعذله * من يسمع من يعقل من يلتفت
وقال الآخر
قالوا اسله واطرح هواه * فقد بدا كذبه وافكه
فقلت بالله لا تطيلوا * والله والله ما افكه
وما احسن قول شهاب الدين بن الخيمي رحمه الله
وعذول رابني في نصحه * كلما زدت إباً زاد لجاجا
ما عذولي قط الا عاشق * ستر الغيرة بالعذل وداجى
وقال آخر
لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه جميل
انشدني الشيخ برهان الدين بن القيراطي
ذهب العمر بلوم * وصدود من غزال
في سبيل الحب عمر * ضاع في قيل وقال
وقال الشيخ ابراهيم بن المعمار

لو رأى حسن وجهه * عاذلي في التبسم
ذهبت روحه كما * قيل في دور درهم

وقال ايضا

لح العذول ولامنى * فيمن احب وعنفا
فهممت الطم رأسه * مما ملئت تأسفا
لكنما زلقت يدى * وقعت على اصل القفا

وما اظرف قول النور الاسعردى

وقال الوادع المعشوق واهجره دائما * الم تره بعد الملاحة ينتف
اينتف من اجلى ويتعب دائما * واهجره تالله ما انا منصف

وقال آخر

قل للعذول اطلت اللوم فى قمر * يزيد فى كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما فى حسنه عجب * قم فانظر الورد فى خديه منثورا

وقال محيى الدين البغدادى

ان لامنى من لا رآه فقد * جار على الغائب بالحكم
وان لحانى من رآه فقد * اضله الله على علم

وقال البهاء زهير

انت الحبيب الأول * ولك الهوى المستقبل
عندى لك الود الذى * هو ما عهدت واكمل
القلب فيك مقيد * والدمع فيك مسلسل
يامن يهدد بالصدو * د نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك فى الهوى * لكننى اتعلل
قل للعذول لقد اطل * ت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوى * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول اخف من * غضب الحبيب واسهل

وقال ابو العتاهية لقيت ابو نواس فى المسجد الجامع فعذلته

وقلت

وقلت له اما آن لك ان ترعوى وتزدجر فرفع رأسه الىّ وقال

اتراني يا عتاهي * تاركاً تلك الملاهي
اتراني مفسداً بالـ * نسك عند القوم جاهي

فلما الححت عليه في العذل انشأ يقول

لا ترجع الانفس عن غيّها * ما لم يكن منها لها زاجر

فوددت انى قلت هذا البيت بكلّ شئ قلته وقال جوّيان القواس

اصغى الى قول العذول بجملتي * مستفهماً عنه بغير ملال
لتلقطى زهرات وَرْدِ حديثكم * من بين شوك ملاوَمةِ العذال

قلت هذا هو العاشق * والمحبّ الوامق * الا تراه كيف صغى الى عذوله الفاعل الصّانع * وجنى من عذله جنى النحل ممزوجاً بماء الوقايع * فهو في هذا المقام من الاثبات * كما قال ابو الشيص من أبيات

أجدُ الملامة في هواكِ لذيذةً * حُبّاً لذكركِ فَلْيَلُمْنِي اللوّم

وقال ابن رشيق وقد زاد على ابى الشيص في قوله هذا ابن جابر الخزاعى حيث يقول

هُدّدت بالسّلطان فيك وانما * اخشى صدود كِ لا من السّلطان
اهوى الملامة فيك حتى لو درى * اخذ الرُّشا منّى الذى يلحانِي
حسبى لقول الناس بعد منيتي * هذا قتيل في وداد فلان
فلأنفقنّ عليك عمرى كلّه * ولأعشقنّ عليك كل هوان

قلت والذى اقوله انا في هذا المقام * انّ صاحب هذا الكلام غريم الغرام * ونديم كؤس المدام * الا تراه كيف بالغ حتى جعل للعذول جعاله * فاصبحت حالته كما قيل ضِغْثٌ على أبّاله * فهو كما قال بعض السادات من الولايات * لو تعلم العوام ما في قلوبنا من حلاوة العفو لتقربوا الينا بالجنايات * ومثل قوله هددت بالسلطان قول الآخر

وان نذرت فيك العشية قتلتي * فللموت عندي في هواك سلام
ومن اعجب الاشياء خوفي في الهوى * ولي كل يوم في حماك حمام

وقلت انا

وعاذل بالغ في عذله * وقال لما هاج بلبالي
بعارض المحبوب ما تنتهي * قلت ولا بالشيب والوالي

وقلت ايضا

عذلوا على من رام قتلي في الهوى * فكلامهم ضرب من الهذيان
جهلوا وما علموا بان الطعن في الـمحبوب غير الطعن في الميدان

وقلت ايضا

كم خالف العذال قولي في الذي * في كل يوم حسنه يزداد
ان قلت امسى في الملاحة مفردا * قالوا انثنى عطفه المياد

وقلت ايضا

يا عاذلي لا تلحني * في حب هذا القبطي
واقطع بوصل بيننا * بالله رأس القـط

وقلت ايضا

مليح الترك لاسيما الخطابي * عليه الشيخ يعذر للتصابي
فدعني من ملامك يا عذولي * فحبي للخطا عين الصواب

وقلت فيمن اسمها حكم الهوى

حكم الهوى صدت فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
يا عاذلي لا تلحني في حبها * نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى

وقلت

اقول لظبي قلبه يشتكي الاسى * هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
نصحتك علما بالهوى والذي ارى * محا الفتى فاختر لنفسك ما يحلو

وقلت من قصيدة

وازنت ميلي للعذول وقده * فرايت ميلي للقوام رجيحا

يا عاذلي لا صافحتك يد النوى * حتى توسّد في التراب صفيحا
ولقد نصحت بني الصبا في الهوى * لكنهم لا يقبلون نصيحا

وقلت من قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر

فيا من جاء يعذل مستهاما * على حلو الشمائل ما أمرّك

وقلت ايضا من قصيدة امدحه بها خلد الله ملكه مطلعها

لك من حبيبك ما تحب وتشتهي * فاجعل مدامك من مقبله الشهي
واذا بدا لك ثغره متبسما * فاضحك على ذقن العذول وقهقه

وقلت ايضا من قصيدة ارسلتها الى مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي بدمشق الشام

يا ساكني السفح لي في حيكم سكن * وانتم في سويدا القلب سكّان
دمعي يزيد كباناس لبعدكم * والعاذلون على ثوراء ثيران

ومنها

قد كان ما كان من هجران زمنا * وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
انا الذي لا ابالي في الغرام بما * يروى فلان ولا ما قال فلتان

ومنها

برهنت حسن الذي اهوى وقلت لهم * ما للعذول على ما قال برهان
ما لامني مذ رآني في الهوى رجبا * بمزج شعبان فيما رمت شعبان

تنبيه كانت اسماء الشهور عند العرب غير هذه الأسماء المستعملة الآن لانهم كانوا يسمون رجب الأصم ويسمون شعبان العاذل وبهذا يظهر معنى قولي في البيت الاخير على ان الشعراء استعملوا هذا المعنى قديما وحديثا ومن احسن ما سمعت فيه

وشادن مبتسم عن حبب * مورّد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه * وما درى شعبان اني رجب

وقلت انا ايضا

يسطو عليّ من الدلال كأنه * غازان اذ يسطو على حرمانه

ان ردني عنه قضيب قوامه * فانا القتيل بلحظه وبيانه
اني وحقك في هواه متيم * صب غدا رجباً على شعبانه

وقولهم سبق السيف العذل هو مثل من امثال العرب يضرب في الامر الذي لا يقدر على رده واصله ان سعداً وسعيداً بني ضبة بن أدّ خرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ابوه ضبة اذا راى رجلاً مقبلاً قال اسعد ام سعيد ثم انه في بعض مسيره اتى الى مكان ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحارث قتلت ها هنا فتى هيئته كذا وكذا واخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث شجون ثم ضربه فعذله فقال سبق السيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه ومن احسن ما سمعته فيه قول السراج الوراق

قلت اذ جرّد لحظاً * حدّه يُدني الأجل
يا عذولي كف عني * سبق السيف العذل

وعلى ذكر العذل والملام * ذكرت قول ابي نواس في المدام
دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

قال المفضل الضبي دخلت على الرشيد يوماً فقال دلّني على بيت أوّله اكثم بن صيفي في اصابة الرأي وجودة الموعظة وآخره ابقراط في معرفة الدواء فقلت يا امير المؤمنين لقد هوّلت عليّ فقال هو قول ابي نواس * دع عنك لومي البيت قلت وبقي لهذا البيت حكاية لطيفة حكاها الحريري في دُرّة الغوّاص عن حامد بن العباس انه سأل علي بن عيسى في ديوان الوزاره عن دواء الخمار وقد علق به فاعرض عن كلامه فقال ما انا وهذه المسئلة فخجل حامد منه ثم التفت الى قاضي القضاة ابي عمر فسأله عن ذلك فتنحنح القاضي لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالحي اهلها والاعشى
هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية وقد قال

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه ابونواس فقال

دع عنك لومي فأن اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ماضرك يا بارد
ان تجيب ببعض ما اجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب
المسئلة بقول الله تعالى اولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه
وسلم ثانيا وبين الفتيا وأدى المعنى وتبرأ من العهدة فكان
خجل علي بن عيسى من حامد بهذا الكلام اكثر من خجل حامد منه
لما ابتداه بالمسئلة وقال الشيخ صدر الدين ابن الوكيل

ان الذي جعل الهموم عقاربا * جعل المدام حقيقة درياقها
لم يصلب الراوق الا عندما * قطع الطريق على المدام وعاقها
ومعنفي في الخمر لو قد ذاقها * ما لامني لكنه ما ذاقها
قال اطرح صفراء يطفي خمرها * لهب القلوب اذا اشتكت احراقها
فاجبته ذقها وخذ من بعد ذا * في طرق لومك ان اردت فراقها

وقد انصف شيخ الشيوخ بحماة حيث قال

اعاذلي ليس مثلي من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذلي
ما دمت خلوا فما تنفك متهما * اعشق وقولك مقبول على ولي

وقال الآخر

لو تعلم الورق حنيني نحوكم * لمزقت من طرب اطواقها
ولو يذوق عاذلي صبابتي * صبا معي لكنه ما ذاقها

حكي ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل
لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد
احواله فلما دخل القاضي الى دار العماد الكاتب وجد اشياء انكرها

في نفسه مثل آثار مجالس انس وطيب ورائحة خمر وآلات طرب فانشده

ما ناصحتك خبايا الود من رجل * ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى ان تسامحني * بأن اراك على شئ من الزلل

الباب الثالث عشر في ذكر الاشاره * الى الوصل والزياره * اقول هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور * وما قيل فيهما من منظوم ومنثور * وغير ذلك من عيادة الحبيب * وما يستدل به عليه من روائح الطيب * كما قيل

ولو ان ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل بك الركب

نعم طالما اهدى الحبيب بزيارته سرورا * وامسى له الفضل زائرا ومرورا * كما قيل

ان زارني فبفضله او زرته * فلفضله فالفضل في الحالين له

فالزيارة من الحبيب لا تمل * ولو الحق فيها الوابل بالطل * ومن احسن ما قيل في زيارة الحبيب وعوده من قريب قول العكوك

بأبي من زارني مكتتما * خائفا من كل شئ جزعا
زائر نم عليه حسنه * كيف يخفي الليل بدرا طلعا
رصد الغفلة حتى امكنت * ورعى السامر حتى هجعا
ركب الأهوال في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

وما احسن قول ابن المعتز

زارني والدجى احم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول * طول الله فيك غيظ الحسود

وقال الآخر

زارت على غفلة الرقيب * كظبية روعت بذيب
وكان وقت الوصال منها * اقصر من جلسة الخطيب

قال الشيخ العلامة علاء الدين مغلطاى فى كتاب الواضح المبين انشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلى لنفسه زاعماً انها اصدق كلمة قالها الأواخر

يقولون لى بالله ما انت فاعل * اذا زارك المحبوب قلت أبكيه

وقال يعقوب الشيبانى

قلت اذ زار من احب وجنح الليل روض ابدى لنجوم نهارا
ملك الحب زاره ملك الحسن فزادا على الوجود اقتدارا
فافرشوا الورد اطلساً حين يمشى * واجعلوا عسجداً لكؤس نثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقد نم بسرى الى العيون مرارا
واحجبوا ابيض الصباح وقولوا * ليناشى الظلام كن برد دارا

وعلى ذكر البرد دار ما احسن قول الآخر دوبيت

ياليل بك الثناء والمدح يليق * اذ انت لأهل العشق خل وصديق
اذ انت جعلت برددارا لهم * لا تعط عليهم قط للصبح طريق

وقال ابن النبيه

قلت لليل اذ حبانى حبيب * وغناء يسبى النهى وعقارا
انت ياليل حاجبى فامنع الصبح وكن انت يا دجى برد دارا

وما احسن قول شمس الدين محمد بن العفيف

ومليح كالبدر زار بليل * فجلا حسنه الدجا اذ تجلى
مادرى منزلى ولكن قلبى * بلهيب الجوى هداه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكى * بمحل النزاع كيف استدلا

وقال الآخر

ياحبيبى وانت ما * زلت بالوصل منعما
زرتنى بعض ليلة * بت فيها مهوما
حين وليت غايبا * افل البدر فى السما
ليت شعرى من الذى * من اخيه تعلما

وان نُذِرت فيك العشيّة قتلتي * فللموت عندي في هواك سلام
ومن أعجب الأشياء خوفي في الهوى * ولي كل يوم في حماك حُمام

وقلت انا

وعاذل بالغ في عذله * وقال لما هاج بلبالي
بعارض المحبوب ما تنتهي * قلت ولا بالشيب والوالي

وقلت ايضا

عذلوا على من رام قتلي في الهوى * فكلامهم ضربٌ من الهذيان
جهلوا وما علموا بان الطعن في الـ * محبوب غير الطعن في الميدان

وقلت ايضا

كم خالف العذال قولي في الذي * في كل يوم حسنه يزداد
ان قلت امسى في الملاحة مفرداً * قالوا انثنى عطفه المياد

وقلت ايضا

يا عاذلي لا تلحني * في حب هذا القبطي
واقطع بوصل بيننا * بالله رأس القط

وقلت ايضا

مليح الترك لاسيما الخطائي * عليه الشيخ يعذر للتصابي
فدعني من ملامك يا عذولي * فحبي للخطائين الصواب

وقلت فيمن اسمها حكم الهوى

حكم الهوى صدت فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
يا عاذلي لا تلحني في حبها * نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى

وقلت

اقول لظبي قلبه يشتكي الاسى * هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
نصحتك علما بالهوى والذي ارى * محا الفتى فاختر لنفسك ما يحلو

وقلت من قصيدة

وازنت ميلي للعذول وقده * فرايت ميلي للقوام رجيحا

يا عاذلي لا اصا فحتك يد النوى * حتى توسد في التراب صفيحا
ولقد نصحت بني الصبا في الهوى * لكنهم لا يقبلون نصيحا

وقلت من قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر

فيا من جاء يعذل مستهاما * على حلو الشمائل ما أمرك

وقلت ايضا من قصيدة امدحه بها خلد الله ملكه مطلعها

لك من حبيبك ما تحب وتشتهي * فاجعل مدامك من مقبله الشهي
واذا بدا لك ثغره متبسما * فاضحك على ذقن العذول وقهقه

وقلت ايضا من قصيدة ارسلتها الى مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي بدمشق الشام

يا ساكني السفح لي في حيكم سكن * وانتم في سويدا القلب سكان
دمعي يزيد كبانا س لبعدكم * والعاذلون على ثوراء ثيران

ومنها

قد كان ما كان من هجران زمنا * وقد وفي الآن فالعذال الا كانوا
انا الذي لا ابالي في الغرام بما * يروي فلان ولا ما قال فلتان

ومنها

برهنت حسن الذي اهوى وقلت له * ما للعذول على ما قال برهان
ملا منى مذ رآني في الهوى رجبا * بمزح شعبان فيما رمت شعبان

تنبيه كانت اسماء الشهور عند العرب غير هذه الاسماء المستعمله الآن لانهم كانوا يسمون رجب الاصم ويسمون شعبان العاذل وبهذا يظهر معنى قولي في البيت الاخير على ان الشعراء استعملوا هذا المعنى قديما وحديثا ومن احسن ما سمعت فيه

وشادن مبتسم عن حبب * مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه * وما درى شعبان اني رجب

وقلت انا ايضا

يسطو علي من الدلال كانه * غازان اذ يسطو على حرمانه

ان ردني عنه قضيب قوامه * فانا القتيل بلحظه وبيانه
اني وحقك في هواه متيم * صب غدا رجبا على شعبانه
وقولهم سبق السيف العذل هو مثل من امثال العرب يضرب في الامر
الذى لا يقدر على رده واصله ان سعدا وسعيدا بني ضبة بن ادّ
خرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ابوه
ضبة اذا راى رجلا مقبلا قال اسعد ام سعيد ثم انه في بعض
مسيره اتى الى مكان ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحرام فقال
له الحارث قتلت ها هنا فتى هيئته كذا وكذا واخذت منه هذا
السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث شجون ثم ضربه
فعذله فقال سبق السيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه
ومن احسن ما سمعته فيه قول السراج الوراق

قلت اذ جرد لحظا * حده يكفي الاجل
يا عذولي كف عني * سبق السيف العذل

وعلى ذكر العذل والملام * ذكرت قول ابي نواس في المدام
دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء
قال المفضل الضبي دخلت على الرشيد يوما فقال دلني
على بيت اوله اكثم بن صيفي في اصابة الرأي وجودة الموعظة
وآخره ابقراط في معرفة الدواء فقلت يا امير المؤمنين لقد
هولت علي فقال هو قول ابي نواس * دع عنك لومي البيت
قلت وبقي لهذا البيت حكاية لطيفة حكاها الحريري في درة الغواص
عن حامد بن العباس انه سأل علي بن عيسى في ديوان الوزارة عن
دواء الخمار وقد علق به فاعرض عن كلامه فقال ما انا وهذه المسئلة
فخجل حامد منه ثم التفت الى قاضي القضاة ابي عمر فسأله عن ذلك
فتنحنح القاضي لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما
أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالحي اهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهليه وقد قال

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه ابو نواس فقال

دع عنك لومي فأن اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ماضرك يابارد ان تجيب ببعض ما اجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقول الله تعالى اولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا وبين الفتيا وأدى المعنى وتبرأ من العهدة فكان خجل على بن عيسى من حامد بهذا الكلام اكثر من خجل حامد منه لما ابتداه بالمسئلة وقال الشيخ صدر الدين ابن الوكيل

ان الذى جعل الهموم عقاربا * جعل المدام حقيقة درياقها
لم يصلب الراوق الا عندما * قطع الطريق على المدام وعاقها
ومعنفي في الخمر لو قد ذاقها * ما لامني لكنه ما ذاقها
قال اطرح صفراء يطفى خمرها * لهب القلوب اذا اشتكت احراقها
فاجبته دقها وخذ من بعد ذا * في طرق لومك ان اردت فراقها

وقد انصف شيخ الشيوخ بحماة حيث قال

اعاذلي ليس مثلي من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذلي
مادمت خلوا فما تنفك متهما * اعشق وقولك مقبول على ولي

وقال الأخر

لو تعلم الورق حنيني نحوكم * لمزقت من طرب اطواقها
ولو يذوق عاذلي صبابتي * صبا معي لكنه ما ذاقها

حكى ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد احواله فلما دخل القاضي الى دار العماد الكاتب وجد اشياء انكرها

في نفسه مثل آثار مجالس انس وطيب ورائحة خمر وآلات طرب
فانشده

ما ناصحتك خبايا الودّ من رجل * ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى ان تسامحني * بأن اراك على شئ من الزلل

الباب الثالث عشر في ذكر الاشارة * الى الوصل والزيارة * اقول هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور * وما قيل فيهما من منظوم ومنثور * وغير ذلك من عيادة الحبيب * وما يستدل به عليه من روائح الطيب * كما قيل

ولو ان ركباً يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل بك الركب

نعم طالما اهدى الحبيب بزيارته سرورا * وامسى له الفضل زائرا ومرورا * كما قيل

ان زارني فبفضله او زرته * فلفضله فالفضل في الحالين له

فالزيارة من الحبيب لا تمل * ولو الحق فيها الوابل بالطل * ومن احسن ما قيل في زيارة الحبيب وعوده من قريب قول العكوك

بأبي من زارني مكتتما * خائفا من كل شئ جزعا
زائرا نمّ عليه حسنه * كيف يخفي الليل بدراً طلعا
رصد الغفلة حتى امكنت * ورعى السامر حتى هجعا
ركب الأهوال في زورته * ثم ما سلم حتى ودّعا

وما احسن قول ابن المعتز

زارني والدجى احم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول * طول الله فيك غيظ الحسود

وقال الآخر

زارت على غفلة الرقيب * كظبية روّعت بذيب
وكان وقت الوصال منها * اقصر من جلسة الخطيب

قال

قال الشيخ العلامة علاء الدين مغلطاي في كتابه الواضح المبين انشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلي لنفسه زاعماً انها اصدق كلمة قالها الأواخر

يقولون لي بالله ما انت فاعل * اذا زارك المحبوب قلت أنيكه

وقال يعقوب الشيباني

قلت اذ زار من احب وجنح الليل روض ابدى النجوم نهارا
ملك الحب زاره ملك الحسن فزادا على الوجود اقتدارا
فافرشوا الورد اطلساً حين يمشي * واجعلوا عسجد الكؤس نثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقد نم بسري الى العيون مرارا
واحجبوا ابيض الصباح وقولوا * ليحاشي الظلام كن برد دارا

وعلى ذكر البرد دار ما احسن قول الأخر دوبيت

ياليل لك الثناء والمدح يليق * اذ انت لأهل العشق خل وصديق
اذ انت جعلت برد داراً لهم * لا تعط عليهم قط للصبح طريق

وقال ابن النبيه

قلت لليل اذ حباني حبيب * وغناء يسبي النهى وعقارا
انت ياليل حاجبي فامنع الصبح وكن انت يادجى برد دارا

وما احسن قول شمس الدين محمد بن العفيف

ومليح كالبدر زار بليل * فجلا حسنه الدجا اذ تجلى
ما درى منزلي ولكن قلبي * بلهيب الجوى هداه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكي * يحل النزاع كيف استدلا

وقال الأخر

ياحبيبي وانت ما * زلت بالوصل منعما
زرتني بعض ليلة * بت فيها مهوما
حين وليت غايبا * افل البدر في السما
ليت شعري من الذي * من اخيه تعلما

وقال بشار بن برد

يا اطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * ثنّ ولا تجعلنها بيضة الديك

قيل ان الديك يبيض في السنة بيضة ولهذا قال بشار ذلك وقال ابن الساعاتي في تاريخه في سنة ست وتسعين وستمايه باض ديك ببغداد وسألت جماعة عن ذلك فأخبروني به قلت واخبرني الآن بعض الصوفية المقيمين عندي بالصهريج انه باض عندهم ديك بيضة صغيرة وجعل يصيح مثل الدجاجة ثم اقام بعد ذلك سبعة ايام ومات رجع الكلام وقلت انا

لي حبيب له حبيب موافي * كل يوم ياتي اليه مرارا
قلت زرني فقال جي عندي * شغل الحلي اهله ان يعارا

وقلت ايضا من قصيدة

زار الحبيب ووجه الورد نخجلاً * فاصفر حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفى الآن فالعذال الاكانو
ما ضر في ضيق عيشي حين واصلني * سم الخياط مع الاحباب ميدان

فصل في نم الطيب على الحبيب ما احلى قول ابن سكره

اهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجى عمداً فما استترت * وبان اشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لاظهرها * برق اللثاث وعطر النحر والنفس

اخذه المعتمد بن عباده فقال واحسن ما شاء

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما * تحوي معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلي تنزعه ما حيلة العرق

وقال

يوم يقول الرسول قد اذنت * فأت على غير رقبة ولج

اقبلت اهوى الى رحالهم * أهدى اليها بريحها الأرج

قيل ويستدل بالطيب على السلوك فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين مثل الحمام ومعركة الحرب وموسم الحج ومازالت الشعراء تصف مواطن الحبيب بالطيب كما قال فيه بن النبيه

ان جاء من يبغى لهم منزلا * فقل له يمشى ويستنشق

وقال محمد بن عبد الله النميرى فى زينب اخت الحجاج من قصيدة

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة خفرات

له أرج من مجمر الهند ساطع * تطلع رياه من الكفرات

يخمرن اطراف البنان من التقى * ويطلعن نصف الليل معتجرات

ومنها

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * بكره لأن يلقينه حذرات

ولهذا البيت حكاية لطيفة اتفقت لقائله مع الحجاج وهى مشهورة بين اهل الادب اضربت عن اثباتها هنا خوف الاطالة وقال الطغرائى

فسرنا فى ظلام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

وقال آخر

وليس نسيم المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وقال آخر

لو كان يوجد ريح مسك فائح * لوجدته منهم على أميال

وقال بن الرومى

اعقبته من طيب ذكرك نفحة * كادت تكون ثناءك المسموعا

وقال المتنبى

وتفوح من طيب الثناء روايح * لهم بكل مكانة تستنشق

فصل ومن احسن ما سمعته فى العيادة قول الطغرائى

خبروها انى مرضت فقالت * اضنى طارفا شكا ام تليدا

واشاروا بأن تعود وسادى * فأبت وهى تشتهى ان تعودا

وانتني في خفية وهي تشكو * ألم الشوق والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتمالك * أن أمالت على عطفا وجيدا

انشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين بن نباتة

وملولة في الحب لما ان رأت * أثر السقام بعظمي المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * انا بالسقام وانت بالأعراض

وما احسن قول السليماني

وانا الذي اضنيته وهجرته * فهل صلة أو عائد منك للذي

وقال الآخر

لا تهجروا من لا تعود هجركم * وهو الذي بلبان وصلكم غُذِي
ورفعتم مقداره بالابتدا * حاشاكم ان تقطعوا صلة الذي

ومن عظيم ما يحكى عن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أن شرف الدين بن عنين كتب اليه وهو ضعيف

انظر الي بعين مولى لم يزل * يولي الندا وتلاف قبل تلافي
انا كالذي احتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثماية دينار وقال انت الذي وهذه صلتك وانا العائد قلت وقد استخدم بن عنين الصلة والموصول واجاد * وعامله الملك المعظم في السبق الى فهم مقصوده معاملة الجواد * ولو وقع هذا من مثل سيبويه لكان ادل دليل على فضله * وسداد نبله * فما الشان بوقوعه من هذا الملك المعظم شأنه * العظيم سلطانه * فكم أقر لابن عنين عينا * ووفى عنه دينا * فنال به السؤل * وطرب من الصلة والعائد بيره الموصول * لا جرم انه ملأ بمدائحه ديوانه * وقال فيه من قصائده الطنانه

كريم الثنا عار من العار باسل * جميل المحيا كامل الحسن والحسنى
لعمرك ما آيات عيسى خفية * هي الشمس للاقصى سناها وللأدنى

ولى انا من قصيدة فى هذا الوزن امدح بها مولانا السلطان الملك الناصر مخلصها

تطاول غصن البان يحكى قوامه * فقلت له والله قد جئت فى المعنى
ولكن بدر التم والبحر قصرا * عن الناصر السلطان فى الحسن والحسنى

ومن ظريف ما اتفق لابن عنين هذا مع الملك المعظم انه حضر فى وقت بين يديه مع جماعة من الشعراء فقال لهم السلطان لابد ان تهجونى فى وجهى فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك والح عليهم فقال بن عنين

نحن قوم ما ذكرنا لامرئ * قط الا واشتهى ان لا يرانا

فقال له السلطان صدقت فقال (شعرنا مثل الخرا ذقت الخرا) فقال السلطان لا والله قبحك الله فقال (ضقع الله باصل الحانا) رجع الكلام الى العيادة ما احسن قول السراج الوراق

قال الصديق ولم يعدنى * وعارض السقم فى اثر
لقد تغيرت يا صديقى * ويعلم الله من تغير

وقوله ايضا

مرضت لله قوما * ما فيهم من جفانى
عادوا وعادوا وعادوا * على اختلاف المعانى

ولهذا البيت اشباه ونظائر ذكرتها فى كتابى الطارئ على السكردان منها ما حكى عن القاضى ابو بكر بن العربى وقد وقف على حلقته وهو مشتغل بالعلم شاب مليح وبيده رمح فقال له بعض الفقهاء اذهب بهذا الرمح فهز الرمح وقال الساعة اضربك به فانشأ القاضى ابو بكر فى الحال لنفسه

يهددنى بالرمح ظبى مهفهف * لعوب بالباب البرية عابث
فلو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

وقد سالت جماعة من اهل العلم والادب عن استخراج الثالث

من هذا البيت فلم يجب احد منهم بطائل وقال ابن النقيب

سمعتُ بما تشكو وما انت واجد * فظلت دموع العين فى الخد تسفح
وارسلت خطى فى العيادة نائبا * وما كل خط للعيادة يصلح

وقال المعتمد بن عباده

مَرِضْتَ فامسكتُ الزيارة عامداً * وما عن قلى امسكتها لا ولا هجر
ولكننى اشفقت من ان ازوركم * فابصر آثار الكسوف على البدر

وقال الشهاب محمود فى القول بالموجب

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر ايضا

واورد فى كتابه حسن التوسل قول الارّجانى

غالطتنى اذ كست جسمى الضنى * كسوة اعرت من اللحم العظاما
ثم قالت انت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

وقلت انا حين وقفت على قول الارّجانى هذا بديها

شكوت الى الحبيبة سوء حظى * وما قاسيت من الم البعاد
فقالت ان حظك مثل عينى * فقلت نعم ولكن فى السواد

وما احسن قول محاسن الشواء

ولما اتانى العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا لِلَحمى قارض
وقد بهتوا لما رأونى شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

وقال ابن النقيب

وما بى سوء عين نظرت لحسنها * وذلك لجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتى

والاصل فى هذا كله

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبّوا عليه الماء من الم النكس
وقالوا به من اعين الجن نظرة * ولو صدقوا قالوا به اعين الانس

وما احسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمسانى فى مليح يعمل الكوافى

اسم حبيبي وما يعانى * قد شغلا خاطري ولبى
قالوا على فقلت قدرا * قالوا كوا فى فقلت قلبى

وقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

وبى من قسا قلبا ولان معاطفا * اذا قلت ادنانى يضاعف تبعيدى
أقربُ برقى اذا اقول انا له * وكم قالها ايضا ولكن لتهديدى

وقال السراج الوراق

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحى * لهموم نفس ليت لا احملتُها
قد كان عندك يا فلان صريمة * فأجبتهم بعت الحمار وبعتها

الباب الرابع عشر فى الرقيب النمام * والواشى الكثير الكلام * اقول هذا باب عقدناه لذكر كل رقيب غائر العين * كثير المين * يرى المحب بعين المقت * فى كل وقت * ويرميه فى الحضرة والمغيب * بكل سهم مصيب * فكم ترك المحب مضنى * وافقره فيمن احب وما استغنى * فهو كالصبح قاطع اللذات * تعيس الحركات * قبيح المنظر * سيئ المخبر * كثير اللجاج * حجر فى دكان زجاج * فهو والنمام * فى الاذى فرسا رهان * رضيعا لبان * ومن ابلغ ما سمعته فى الرقيب

انا والحب ما خلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب
ما خلونا بحيث ان يمكن الده * ر بانى اقول انت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت انت الشـ * فوانى فقلت كيم الطبيب

وقول بن المعتز

وابلاءى فى محضر ومغيب * من حبيب منى بعيد قريب
لم ترد ماءَ وَجهِهِ العين الا * شرقت قبل شربها برقيب

وقال ايضا

قد دنت الشمس للمغيب * وحان شوقى الى الحبيب
طوبى لمن عاش عشر يوم * له حبيبٌ بلا رقيب

في الرقيب

قيل لبعض العرب ما امتع لذات الدنيا فقال ممازجة الحبيب * وغيبة الرقيب * قال الصاحب بن عباد

قال لى ان رقيبى * سيئ الخلق فداره
قلت دعه وجهك الجنة حفت بالمكاره

وقال آخر

لسهم الحب جرح فى فؤادى * وذاك الجرح من عين الرقيب
يوكل ناظريه بنا ويحكى * مكان الكاتبين من الذنوب
فلو سقط الرقيب من الثريا * لصب على محب وحبيب

وقال آخر

يسقيك من كفه مداما * الذ من غفلة الرقيب
كانها اذ صفت ورقت * شكوى محب الى حبيب

وقال ابو نواس

لاحظته فتبسما * وخلا المكان فسلما
وبدا الرقيب فقلت لا * سلم الرقيب من العمى

وقال الصفى الحلى

ومليح له رقيب قبيح * يتعنى وغيره يتهنا
ليس فيه معنى يقال ولكن * هو عند النحاة جاء لمعنى

وقال آخر

قالت صفا الوقت ولكن الرقيب كالقذى
قلت اذا غاب الرقيب ارضنى قالت اذا

وقال آخر

احب العذول لتكراره * حديث الحبيب على مسمعى
واهوى الرقيب لان الرقيب * يكون اذا كان حبى معى

وقال ابو جعفر احمد بن الابار

زارنى خيفة الرقيب مريبا * يتشكى القضيب منه الكثيبا

قال لي ما ترى الرقيب مطلا * قلت ذره اتى الجناب الرحيبا
عاطه اكؤس المدام دراكا * وادرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما ان نام من نتقيه * وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لا بد ان تدب عليه * قلت ابغي رشا واخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت كلا لقد رأيت عجيبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * ودببنا على الرقيب دبيبا
هل رأيتم أو هل سمعتم بصب ناك محبوبه وناك الرقيبا

قال بن بسام لقد تظرف بن الابار وأبر واحسن ما شاء وقدر واظنه لو قدر على ابليس الذي تولى هذا المذهب لدب عليه * ولم يخلص من يديه * وابن المعتز كنى ولم يصرح حيث قال
فكان ما كان مما لست اذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وقال ابو نواس
اذا هجع النيام فحل عني * وعمن كان يصلح للدبيب
الذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الحب او خوف الرقيب

وقال ابو الوليد محمد بن حسان الحنفي
نشر النسيم بعرفكم يتعرف * واخو الغرام بحبكم يتشرف
شرف المتيم في هواكم انه * طورا ينوح وتارة يتلهف
صب اذا كتم الغرام ولم يبح * نمت عليه به الدموع الذرف
لطفت معانيه فهب مع الصبا ورقيبه بهبوبه لا يعرف
لم يدر زورته الرقيب لانه * اخفى عليه من النسيم والطف
وكانما يفد النسيم دياركم * وله على تلك الديار توقف

قال عروة بن عبد الله كان عروة بن اذينة الليثي نازلا في دار ابي العقيق فسمعته ينشد لنفسه
ان التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فاذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فأدقها وأجلها
لما عرضت مسلما لى حاجة * اخشى صعوبتها وارجو حلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي * ماكان اكثرها لنا واقلها
فدنا وقال لعلها معذورة * فى بعض رقبتها فقلت لعلها
فاتانى ابو السايب المخزومى فقلت له بعد الترحيب والبشر الك حاجة قال نعم ابيات لعروة بلغنى انك سمعته ينشدها فانشد الابيات فلما بلغت الى قوله فدنا وقال لعلها معذورة طرب وصاح وقال هذا والله الدايم الصبابة الصادق لا كالذى يقول
ان كان اهلك يمنعونك رغبة * عنى فاهلى بى أضن وارغب
لقد عدا الاعرابى طوره وانى لارجو ان يغفر الله لصاحب هذه الأبيات لحسن ظنه بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ماكنت لاخلط بهذه الابيات طعاما حتى الليل وانصرف وقال بن رشيق
تأذى بلحظى من احب وقال لى * اخاف من الجلاس ان يفطنوا بنا
وقال اذا كررت لحظك دونهم * على فما يخفى دليل مريبنا
فقلت بلينا بالرقيب فقال لها * بلينا ولكن الرقيب بلى بنا
وقال آخر
ورقيب عدمته من رقيب * أسود الوجه والقفا والصفات
هو كالليل فى الظلام وعندى * هو كالصبح قاطع اللذات
وسألت فى وقت صاحبنا الشيخ برهان الدين القيراطى هل تحفظ شيئا مليحا فى هجو الرقيب فسكت لحظة وانشدنى لنفسه
قال لى صاحب يروم قريضا * فى هجاء الرقيب فهو قبيح
عندكم فى الرقيب شئ مليح * قلت ما فى الرقيب شئ مليح

وقال

وقلت انا من قصيدة

فديتك قد غاب الرقيب فغن لي * وقل في ثقيل نحسه متغيب
رقيب نُفي عن ارض ليلى عشية * واخرج منها خائفا يترقب

وقلت ايضا

عاذلي في الحبيب دعني فاني * برحت بي في حبه البرحاء
راقب الله في محب حبيب * من نجوم السما له رقباء

وقلت ايضا من قصيدة

فبت ولي شغل عن العذل شاغل
يذود الكرى عني من السهد ذائد

وقلت ايضا من رسالة * واما الرقيب فامره عجيب * وغلق الباب في وجهه نصر من الله وفتح قريب * فهو بالنهار من الذين يراؤون * وبالليل عن فاعلة لا ينام ولا يخلي الناس ينامون * فاذاه اذا ورد من بعيد * اقرب من حبل الوريد * والعاشق بينه وبين العذول * ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد * فهو ان قعد قامت القيامه * وان راح لا كتب الله عليه سلامه * فصل في النمام والواشي وما اظرف ما سمعت في ذلك

فصل في النمام والواشي

قال لي عودي غداة رأوني * ما الذي تشتهيه واجتهدوا بي
قلت مقلي به لسان وشاة * قطعوه فيه بصنع عجيب
وأضافوا اليه كبد حسود * فقئت فوقها عيون رقيب

وهذا ماخوذ من كلام بعض العشاق وقد قيل له ما الذي تشتهيه فقال اعين الرقباء والسن الوشاة واكباد الحساد

وقال الآخر

لي عندكم يوم التواصل دعوة * يا معشر الجلساء والندماء
اشوي قلوب الحاسدين بها و لا * سنة الوشاة واعين الرقباء

وقال صلى الله عليه وسلم ابغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى منهم رجل ياكل لحوم الناس ويمشي بالنميمه وقال وضاح اليمنى

فاعص الوشاة فانما * قول الوشاة هو الفتن
ان الوشاة اذا اتو * ك تنصحوا ونهوك عن

حكى انه غنى مغن بحضرة السلطان عماد الدين زنكى صاحب الشام بقول الشاعر

ويلي من المعرض الغضبان اذ نقل الـ * واشي اليه حديثا كله زور
سلمت فازور يثني قوس حاجبه * كأنني كأس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما السلطان وقال لمن هما فقيل لابن منير فأمر باحضاره ليتخذه نديما * ويحله من حضرته مقاما عظيما * وقال السرى

والقاك بالبشر الجميل مداهنا * فلي منك خل ما علمت مداهن
أنم بما استودعته من زجاجة * يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

وقال شهاب الدين بن الأثير

اني بحبك مستهام مغرم * وسوى هواك على القلوب محرم
لا تسمعي قول الوشاة فانهم * زادوا الكلام ونقصوه ونموا
فمناي ان ترضى ولو نمستني * اى والطلاق ثلاثة لي يلزم

وقال آخر

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستبيح دم الحجاج في الحرم
خصاله لست احصيها لكثرتها * لكنها جمعت في نون والقلم

يشير الى قوله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم وجاء في التفسير ان الهماز الذي يهمز الناس اى يذكرهم بالمكروه ويأكل لحومهم بالطعن والغيبة

وعن الحسن هو الذى يلوى شدقيه فى اقفية الناس وقيل الهمزة المؤاخذ بالمواجهة واللمزة بظهر الغيب وقيل بالعكس وقيل الهمزة جهراً واللمزة سرّاً بالحاجب والعين والنمام ناقل الكلام السّيئ وقد اكثرت الشعراء من ذمه وخالفهم ابن رشيق فقال

لِمْ كَرِهَ النمّام اخواننا * أساء اخوانى وما أحسنوا
ان كان نماماً فمعكوسه * من غير تكذيب لهم مأمن

وقال آخر

اسمع نصيحة عارف * جمع النصيحة والمقه
اياك واحذر ان تكو * ن من الثقاة على ثقه

وقال آخر

ومجلس راق من واشٍ يكدره * ومن رقيب له باللّوم ايلام
ما فيه ساعٍ سوى الساقى وليس به * بين الندامى سوى الريحان نمّام

وقال آخر

لا افتضاحى فى عوارضه * سببٌ والنّاس لُوّام
كيف يخفى ما اكابده * والذى اهواه نمّام

وقال الشيخ صدر الدّين بن الوكيل

اخفيت حبك عن جميع جوارحى * فوشت عيونى والوشاة عيون
وَوَدِدْتُ انّ جوانحى وجوارحى * مقل تراك وما لهنّ عيون
ياليت قيساً فى زمان صبابتى * حتى اريه العشق كيف يكون

الباب الخامس عشر فى العتاب * عند اجتماع الاحباب * وما فى معنى ذلك من الرضى * والعفو عن ما مضى *

اقول هذا باب عقدناه لذكر معاتبة الذمن الأمانى * وبث هوى ارق من النسيم المتوانى * نعم فى العتاب فوائد جمّه * وازالة كرب فلا يكن أمركم عليكم غمّه * وهو على اقسام عتاب هو فى تاكيد

فى العتاب

المودة يحصل الحاصل * وعتاب لتكذيب الناقل * وعتاب لتمييز
الحق من الباطل * ومن المعلوم ان للعتاب * بين الأحباب *
اصل وفصل * وقطع ووصل * لابد منه * ولا غناء عنه *
اللهم الا عند من لا يراه البته * ولا يعاتب الحبيب الا فلته *
كالبحترى حيث يقول

أعاتب الحب فيما جاء واحدة * ثم السلام عليه لا أعاتبه

وفى امثال العرب أسوأ الأدب * كثرة العتاب * وقال الاحنف
العتاب مفتاح التقالى والعتاب خير من الحقد وقد قال
بشار فى تقليل العتاب

اذا كنت فى كل الأمور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت واى الناس راقت مشاربه

وقال سعيد بن حميد الكاتب

اقلل عتابك فالبقاء قليل * والدهر يعدل مرة ويميل
ولعل ايام الحياة قصيرة * فعلام يكثر عتبنا ويطول

وقال آخر

وبعض العتاب اذا ما رفعت * يباعد هجرا ويدنى وصالا
فعاتب اخاك ولا تجفه * فان لكل مقام مقالا

ومن اظرف ما سمعته فى من جفى من الأحباب * ثم بادر بالعتاب
* قول بعضهم

عتبت على ولا ذنب لى * بما الذنب فيه ولا شك لك
وحاذرت لومى فبادرتنى * الى اللوم من قبل ان ابدرك
فكنا كما قيل فيما مضى * خذ اللص من قبل ان يأخذك

ومنهم من يكره العتاب جملة ويقول هو مفتاح الهجر وسيلة
الصدود والقطيعة كما قيل

لا تقرعن سماع من * تهوى بتعداد الذنوب

ما ناقشة

ما ناقش الاحباب الا من يعيش بلا حبيب

ومنهم من يراه * ولا يأباه * كما قيل

تصالح عاشقان على عتاب * فما افترقا الى يوم الحساب
فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شئ الذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا * ولا هذا يمل من الجواب

وقال آخر

واحسن ايام الهوى يومك الذى * تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى * فاين حلاوات الرسائل والكتب

كتب الحسن الى غلام كتابا يستعطفه فوقع الغلام فى كتابه يُزادُ هجراً الى يوم القيامة فقال الحسن

كتبت الى الحبيب ببيت شعر * اعاتبه فأغضبه جوابى
اجبنى يا ملول على كتابى * فأن النفس تسكن بالجواب
فوقع فى الكتاب يزاد هجراً * وابعاداً الى يوم الحساب

وذكرت هنا قول ابن رشيق

وظبى من بنى الكتاب يسبى * قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه استقضى رضاه * واسأله خلاصاً من يديه
فوقع قد رددت فؤاد هذا * مسامحةً فلا يُعدى عليه

وقال الشيخ العلامة ابو الثناء شهاب الدين محمود مضمناً

وبتنا على حكم الصبابة مطعمى * زفيرى واحشاءى وشربى المدامع
وجنى يعاطينى كؤوس ملامة * وينشدنى والهم للقلب صادع
اتطمع من ليلى بوصل وانما * تُقَطِّعُ اعناق الرجال المطامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى انيابها السم ناقع

قلت هذا التضمين فيه نظر * وعبرة لمن اعتبر * وكيف لا وقد مزج قائله السم بالرضاب * والحق الحبيب بالحباب * فاصبح وقد ضاقت عليه الحيله * وشبه ثغر محبوبه

بأنياب ضئيله * فقابل صفو عتابه بالكدر * فيا قلبه القاسى احديد
انت أم حجر * وما اظنه ملا كؤوس هذا الملام * الا من ماء ملام
ابى تمام * حيث تجاوز الحد فى الاستعاره * وخرج وعلى كتفه
من الملام كاره فقال

لا تسقنى ماء الملام فاننى * صب قد استعذبت ماء بكاءى

فهلا تنزه عن الانخراط فى هذا السلك * واقتدى بقول ابن سناء الملك

وأملى عتابا يستطاب فليتنى * اطلت ذنوبى كى يطول عتابه

وفى غزلى ذكر العذيب وبارق * وما هو الا ثغره ورضابه

او تخلق بأخلاق الناس * وتأسى بقول ابى فراس

اساء فزادته الاساءة حظوة * حبيب على ما كان منه حبيب

يعد على الواشيات ذنوبه * ومن اين للوجه المليح ذنوب

على انه رحمه الله يجوز ان يكون قصد معنى جليل القدر * فحينئذ
يكون كلامى حديث خرافة يا ام عمرو *

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقال الآخر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

واحسن منه قول عتيق بن محمد الوراق

كلما أذنب ابدى وجهه * حجة فهو مليّ بالحجج

كيف لا يفرط فى اجرامه * من اذا شاء من الذنب خرج

وقال الحكم بن قنبر المازنى

كأنما الشمس من اعطافه لمعت * حسنا او البدر من ازراره طلعا

مستقبل بالذى يهوى وان كثرت * منه الاساءة معذور بما صنعا

فى وجهه شافع يمحوا اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

وهذا مأخوذ من قول ابى نواس فى سياقه

وجهى اذا اقبلت يشفع لى * وبلاء طرفك حسن ما خلفى

وفيه

وفيه زيادة بذكر ما خلفها ولكن بيت الحكم احكم بناء * واعذب
ثناء وقال ابو فراس

قل لأحبابنا الجناة علينا * درّجونا على احتمال الملال
أحسنوا في فعالكم أو أسيئوا * لا عدمناكم على كلّ حال

وقال ايضا

الا ايها الجاني ونسأله الرضى * ويا ايها المخطي ونحن نتوب
لحا الله من يرعاك في القرب وحده * ومن لا يردّ الغيب حين تغيب

وقال الآخر

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتُذنبون فنأتيكم فنعتذر

وقال الآخر

واذا ما غضبت يوماً عليه * لذنوب يطول فيها المقال
عطفتني عواطف الحبّ حتى * اترضاه كي يزول الملال

وقال الأخر

حججي عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فأنني مخصوم
لا استطيع اقول انت ظلمتني * والله يعلم انّني مظلوم

وقال الفراء

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادي ولكن للعتاب مواضع

وقال بن المعتز

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً * ان برّ عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره * وقد اجلّك من يعصيك مستترا

وقلت انا من رسالتي قرع الباب * وانتظار الجواب *
فنعوذ بالله من زلة العاقل * ونبرأ اليه من التمادي في الباطل
وهذا الحق ليس به خفاء * فدعني من بنيّات الطريق
فقد حصحص الحق * وقرع العتاب حلقة الباب فقال
طق * وقال الاخر

وهبه ارعوى بعد العتاب لم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا
وكأنني بمولانا وقد وقف على عتبة العتاب * وقال من دق الباب
سمع الجواب * فاجابهم

فان كنتم تلقون فى ذاك كلفة * دعونى امت وجدا ولا تتكلفوا

فصل فى العفو والرضى * والصفح عن ما مضى * جاء عن
على رضى الله عنه فى قوله تعالى واصفح الصفح الجميل أنه الرضى
بغير عتاب وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله
لكم وقال صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من معتذر
صادق اوكاذب لم يرد على الحوض وقال الشاعر

ذنبى اليك عظيم * وانت اعظم منه
فخذ بحقك اولا * فاصفح بفضلك عنه
ان لم اكن فى فعالى * من الكرام فكنه

وقال آخر

ما احسن العفو من القادر * لا سيما عن غير ذى ناصر
يا غاية القصد واقصى المنى * وخير مرعى مقلة الناظر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى * فماله غيرك من غافر
اعوذ بالود الذى بيننا * ان تفسد الأول بالآخر

كان ابو محمد اليزيدى ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ذات
ليلة فعربد فأمر المأمون بحمله الى منزله برفق فلما افاق
استحيا وانقطع عن الركوب اياما فلما طال عليه ذلك كتب
الى المأمون ابياتا منها

انا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
سكرت فأبدت منى الكاس بعض ما * كرهت وما ان يستوى السكر والصحو
ولا سيما إن كنت عند خليفة * وفى مجلس ما أن يجوز به اللغو
فلما قرأها المأمون وقع فى الرقعة سر الينا فقد عفونا عنك

فلا عتب عليك وبساط النبيذ يطوى معه اخذه الشاعر فقال

انما مجلس الشراب بساط * فاذا ما انقضى طوينا بساطا

وقال بن سنا الملك واما ذلك الحبيب فأنه حضر متفضلا وجاء متذللا * لا متدللا * واستجار بجرم الحرمه * وخفض جناح الذل من الرحمه * واعتذر بأن الادلال دلاه بغرور * واوقعه فى أمور * واخرجه من الظلمات الى النور * فقبل عذره * وقبل ثغره * وامتثل امره * وثنى عنان القلب اليه حسن تثنيه * واذهبت حلاوة جنى ريقه مرارة تجنيه

واذا الحبيب اتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال الآخر

وزعمت انى ظالم فهجرتنى * ورميت فى قلبى بسهم نافذ
فنعم ظلمتك فاعذرى وتجاوزى * هذا مقام المستجير العائذ

وقال ابن زيدون

يا قمرا مطلعه المغرب * قد ضاق بى فى حبك المذهب
الزمتنى الذنب الذى جئته * صدقت فاصفح اننى المذنب
فأن من اغرب ما مر بى * ان عذابى فيك مستعذب

وقال آخر

وما قابلت عفوك باعتذار * ولكنى اقول كما تقول
سأطرق باب عفوك باعتذار * ويحكم بيننا الخلق الجميل

الباب السادس عشر فى اغاثة العاشق المسكين * اذا وصلت لعظم السكين * اقول هذا باب عقدناه لذكر اكثر الناس فتوه * واغزرهم مروه * وارقهم قلبا * واحسنهم ربا * ممن اصبح بين المحبين قديم هجر وهجره * وامسى له بكوئس المحبة الف سكره * لاجرم انه اعان ذوى المحبة * ووازن بنفسه من فى قلبه من الغرام مثقال حبه * فسعى فى اصلاح

حاله * وساواه بنفسه وماله * ولله القائل * في هذا المعنى الطائل

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا * او معينا او عاذرا أو عذولا
فأن كنت خاليا من ذلك كله

أعنّ بأطماع كذوب على النوى * اذا لم تقاتل يا جبان فشجّع

قلت او لا اقلّ من ذلك * يا ابنة مالك * ولله القائل في ذلك

لو تعلم الناس من شوقي ومن كلفي * ما بت اعلمه استسقوا بميعاد
واستشفعوا الى الفي باجمعهم * وجاء عائدهم في زيّ قوّاد

ومن اعجب ما سمعته في اغاثة العاشق والاخذ بثاره ما حكاه الجاحظ قال بلغني انّ عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند الى المعشوق فقتله وقال الخرائطي كان رجل نخّاس عنده جارية لم يكن له مال غيرها وكان يعرضها في المواسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال وهو يطلب الزيادة فعلّقها رجل فقير فكاد عقله ان يذهب فلمّا بلغه ذلك وهبها له فعوتب في ذلك فقال اني سمعت الله يقول ومن أحياها فكانما احيا الناس جميعا افلا احيي الناس جميعا وحكى الخرائطي انّه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام اليها يوما

ولقد رأيتك في المنام كانما * عاطيتني من ريق فيك البارد
وكأنّ كفك في يدي وكأنّنا * بتنا جميعا في فراش واحد
فطفقت نومي كله متراقدا * لأراك في نومي ولست براقد

فأجابته الجارية

خيرا رأيت وكلّ ما ابصرته * ستناله منّي برغم الحاسد
انّي لأرجو ان تكون معانقي * فتبيت منّي فوق ثدي ناهد
واراك بين خلاخلي ودما لجي * واراك فوق ترائبي ومجاسدي

فبلغ الخليفة خبرهما فانكحهما واحسن اليهما على شده غيرته
وقال ابو الفرج ابن الجوزى سمع المهلّب فتى يتغنى فى جارية له
فقال المهلب
لعمرى انى للمحبين راحم * وانى بِبرّ العاشقين حقيق
سأجمع منكم شمل ودّ مُبدّد * وانى بما قد ترجوان خليق
ثمّ وهبها له ومعها خمسة الاف دينار * وروى عن عثمان
ابن عفان رضى الله عنه انه جاءته جارية تستعدى على رجل
من الأنصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت يا امير المومنين
احبّ ابن أخيه * فما انفك اراعيه * فقال له عثمان اما ان
تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالى فقال اشهدك
يا امير المؤمنين انها لابن اخى واتى على بن ابى طالب
كرّم الله وجهه بغلام من العرب وجد فى دار قوم بالليل
فقال له ما قصتك فقال له لست بسارق ولكننى اصدقك
تعلقت فى دار الرياحى خودة * يذل لها من حسنها الشمس والبدر
لها فى بنات الروم حسن ومنصب اذا افتخرت بالحسن صدقها الفجر
فلمّا طرقت الدار من حر مهجة * ابيت وفيها من توقدها جمر
تبادر اهل الدار بى ثم صيحوا * هو اللص محتوما له القتل والاسر
فلمّا سمع علىّ شعره رقّ له وقال للمهلب اسمح له بها ونعوضك
عنها فقال يا امير المؤمنين اسأله لنعرف نسبه فقال النهاك
ابن عتبة العجلى فقال خذها فهى لك وحكى التيمى فى كتاب
امتزاج النفوس ان معاوية بن ابى سفيان اشترى جارية
من البحرين فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد ابياتا
منها * وفارقته كالغصن يهتز فى الثرى طريرا وسيما بعد ما طر شاربه
فسألها فقالت له هو ابن عمّ لى فردّها اليه وفى قلبه منها
شرر النيران وذكر الخرائطى ان المهدى خرج الى الحج حتى

اذا كان بزبالة وجلس يتغدى اذا بشاب بدوى دخل عليه وبكى
وقال يا امير المؤمنين انى عاشق ورفع صوته فقال للحاجب
ويحك ما هذا قال انسان يصيح انى عاشق قال أدخلوه فأدخلوه
فقال من عشيقتك قال ابنة عمى قال ألها اب قال نعم قال
فما له لا يزوجك بها قال ههنا شئ يا امير المؤمنين قال
ما هو قال انى هجين والهجين الذى امه امة ليست بعربية
قال له المهدى فما يكون قال انه عندنا عيب فارسل فى طلب
أبيها فأتى به فقال هذا ابن اخيك قال نعم قال فلم لا تزوجه
كريمتك فقال له مثل مقالة ابن اخيه وكان من اولاد العباس
عنده جماعة فقال هؤلاء كلهم بنو العباس وهم هُجُن فما الذى
يضرهم من ذلك قال هو عندنا عيب فقال له المهدى زوجه
اياها على عشرين الف درهم عشرة آلاف للعيب وعشرة
آلاف مهرها قال نعم فحمد الله واثنى عليه وزوجه اياها واتى
ببدرتين فدفعهما اليه فانشاء الشاب يقول

ابتعتُ ظبية بالغلاء وانما * يُعطِى الغلاء لمثلها أمثالى
وتركت اسواق القباح لاهلها * ان القباح وان رخصن غوالى

وعرض خالد بن عبد الله القسرى سجنه يوما فكان فيه
يزيد بن فلان البجلى فقال له خالد فى اى شئ حبست يا يزيد
قال تُهمَةٌ اصلح الله الأمير قال افتعود ان اطلقتك قال نعم
ايها الأمير وكره ان يُعرّض بقصته لئلا يفتضح معشوقه
فقال خالد أحضروا رجال الحىّ حتى نقطع يده بحضرتهم
وكان ليزيد اخ فكتب شعرا ووجه به الى خالد

اخالد هذا مستهام مُتيّم * رمته لحاظ انه غير سارق
اقر بما لم يأته المرء انه * راى القطع خيرا من فضيحة عاتق
ولولا الذى قد خفت من قطع كفه * لألفيت فى أمره غير ناطق

اذا بدت الرايات للسبق في العلا * فانت ابن عبد الله اول سابق
فلما قرا خالد الابيات علم صدق قوله فأحضر اولياء الجارية
فقال زوّجوا يزيد فتاتكم فقالوا أمّا وقد ظهر عليه ما ظهر
فلا فقال ان لم تزوّجوه طائعين لتزوّجونه كارهين فزوّجوه
ونقد خالد المهر من عنده وذكر احمد بن الفضل الكاتب انّ
غلاماً وجارية كانا في كتّاب فهويها الغلام فلم يزل يتلطّف
بمعلمه حتى صيّره قريباً منها فلما كان في بعض ايامه في غفلة
من الغلمان كتب في لوح الجارية
ماذا تقولين فيمن شفه سقم * من طول حبّك حتى صار حيرانا
فلما قرأته الجارية اغرورقت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته
اذا راينا محبّاً قد اضرّ به * طول الصبابة اوليناه احسانا
فجاء المعلّم فسمع ذلك منهما فأخذ اللوح وكتب هذين البيتين
صلي العريف ولا تخشين من أحدٍ * امسى العريف صغير السّن ولهانا
امّا الفقيه فلا يسطو عليه أذى * فأنه قد بلى بالعشق الوانا
وذكر الخرائطي عن ابي عسّاف قال مرّ ابو بكر رضي الله عنه
بجارية وهي تقول
وهويته من قبل قطع تمائمي * متماشيا مثل القضيب الناعم
فسألها أحرة انت ام مملوكة فقالت مملوكة فقال من هواك
فتلكأت فاقسم عليها فانشدت
وانا التي لعب الغرام بقلبها * قتلت بحبّ محمّد بن القاسم
فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمّد بن القاسم بن جعفر
ابن ابي طالب وقال هؤلاء فتن الرّجال فكم والله قد مات بهنّ
كريم * وعطب بهنّ سليم * ودخلت عزة على ام البنين اخت
عمر بن عبد العزيز وكانت من العابدات فقالت لها ما معنى
قول كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

ماكان هذا الدين قالت وعدته قبلة ومطلته ثم خرجت منها فقالت نجزيها وعلى اثمها حدث محمد بن عبد الله بن ابى مليكة عن ابيه عن جده قال دخل عبد الرحمن بن ابى عمار وهو يومئذ فقيه الحجاز على نخاس يعرض جوارى فعشق منهن واحدة واشتهر بذلك حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه

يلومنى فيك اقوام أجالسهم * فما أبالى أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن همه غيره فبعث الى سيد الجارية فاشتراها منه باربعين الف درهم وامر قيمة جواريه ان تطيبها ففعلت ودخل الناس عليه فقال ما لى لا ارى ابن ابى عمار فاخبر انه منقطع فى منزله لفرط ما به فاتاه ابن جعفر فلما رآه اراد ان ينهض فاستجلسه وقال له ما فعل حب فلانة قال هو فى اللحم والدم والعصب والعظام قال اتعرفها إن رأيتها قال او اعرف غيرها قال فأنا قد ضممنا اليها واحدة والله ما نظرت اليها وأمر بها فخرجت فى الحلى والحلل فقال هى هذه قال نعم بأبى انت وأمى قال فخذ بيدها فقد جعلتها لك أرضيت قال إى والله وفوق الرضى فقال له ابن جعفر لكن والله لا ارضى ان اعطيكها هكذا احمل اليه يا غلام ماية الف درهم

الباب السابع عشر

فى ذكر دواء علة الجوى * اقول هذا باب عقدناه لذكر دواء الحب * الذى اعجز اهل الطب * فهم فيه حيارى * سكارى وما هم بسكارى * على ان الذى جمعوا عليه * واشاروا اليه * انه لا شفاء من هذا الداء العضال * الا بطيب الوصال * مثل غمز النهدين * وقرع الشفتين *

والتصاق البدنين *

رايت الحب ليس له دواء * سوى وضع الصدور على الصدور

ولاسيما ممن بدت نهوده * وتوردت خدوده * وعذب مذاقه * وطاب عناقه *

اعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تداني

والثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ما القى من الهيمان

كأنّ فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

وقال الآخر

شفاء الحب تقبيل وشمٌّ * ووضع للبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منه * واخذ بالمناكب والقرون

وقال آخر

اسقم قلبي ثم لم يبره * عاقد زنار على خصره

لا تلتقي روحي مع جسمه * حتى أرى صدري على بطنه

وقال ابو جعفر العدوي

فسكر الهوى أدوى لعظمي ومفصلي * اذا سكر الندمان من لذة الخمر

واحسن من قرع المثاني ونقرها * تراجع صوت الثغر يقرع للثغر

وقال ابو دهقان

حدثنا عن بعض اشياخه * ابو هلال شيخنا عن شريك

لا يشتفي العاشق مما به * بالشم والتقبيل حتى ينيك

وقال في الأغاني قال ابو العيناء أنشدت ابا العير قول المامون

ما الحب الا قبل * وغمز كف وعضد

من لم يكن ذا حبه * فانما يبغي الولد

ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

فقال كذب المامون واكل من خرائي رطلين وربعا بالميزان وأخطأ واساء الادب هلا قال كما قلت انا

وباض الحبّ فى قلبى * فواويلا اذا فرّخ
ومايـنفعنى الحبّ * اذا لم اكسر البربخ
وان لم يطرح الاضلع * فرجيه عن المطبخ

ثمّ قال لى كيف رايت قلت عجبا من العجب قال كنت ظننت انك تقول غير هذا قابل يدى فارفعها قلت قول المأمون ان نكح الحبّ فسد هذا على قول من يرى ذلك كما ذكر المرزبانى انّ اعرابيّا قال علقت امرأة كنت آتيها فأخذتها وما جرت بيننا ريبة قط الا انى رايت بياض كفها فى ليلة ظلماء فوضعت يدىّ على يديها فقالت مهْ لا تفسد ما صلح فأنه ما نكح الحبّ الّا فسد وحكى عن بعض الادباء انه كان يعشق جارية فقالت انت صحيح الحبّ كامل الوفاء فقال نعم قالت فامض بنا حيث شئت فلما حصل فى منزله لم يكن همه الّا ان رفع ساقيها وجعل يجامعها بجميع جوارحه فقالت له وهى فى القالب

اسرفت فى نيكنا والنيك مصلحة * فأرفق بفضلك ان الرفق محمود

فأجابها وهو فى عمله لا يفتر

ولم انك نيك من تبقى مودته * لكن نيكى هذا نيك مجهود

فنفرت من تحته وقالت يا فاسق اراك على خلاف ما قلت كأنك تجعل جماعى سببا لذهاب حبّك والله لا جمعنى واياك سقف بعد هذا ابدا وعلى هذا القول جماعة أعنى أنّ الحبّ اذا نكح فسد ومنهم من قال لا يستحكم الحبّ الّا بعد ايقاع الوطى وانه اذا وقع الوطء ازدادت المحبة ويسمونه مسمار المحبّة كما قيل

لم يصف حبّ لمعشوقين لم يذقا * وصلا يحلّ على كلّ اللذاذات

وقال هدبة بن الخشرم

والله ما يشفى الفؤاد الهائما * نفث الرقى وعقدك التمائما

ولا الحديث دون ان تلازما * وتعلق القوائم القوائما

وقال آخر

قولا لعاتكة التى * فى نظرة قضت الوطر
انى أريدك للنكا * ح ولا أريدك للنظر
لو كنت مقتنعا بذا * لك كان هذا للقمر

كان زهير بن مسكين يهوى جارية واستهام بها فلما امكنته من نفسها لم تر عنده ما يرضيها فذهبت ولم ترجع اليه بعد فقال فيها اشعارا كثيرة منها

تقول وقد قبلتها الف قبلة * كفاك اما شئ لديك سوى القبل
فقلت لها حب على القلب حفظه * وطول سها ديستفيض له المقل
فقالت وأيم الله ما لذة الفتى * من الحب فى قلب يخالفه العمل

واما نكاح الطيف فاختلفوا فيه فذهب ابو تمام الطآءى الا انه لا يفسد الحب بخلاف نكاح الحقيقة وخالفه فى ذلك جماعة ومنهم من اذا افضى الى معشوقه اقتصر على الرشف والشم والعناق دون تعرض لنكاح والمانع له من ذلك أمران احدهما التورع وعفة النفس وخوف الوقوع فى الكبيرة اذا كان محبوبه ممن لا يجوز له نكاحه كما قيل * ولرب لذة ليلة قد نلتها * وحرامها بحلالها مدفوع *

وقال آخر

اناذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات القلب والبصر
لا يضمر السوء إن طال الوقوف به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

وقال آخر

خود حرائر ما همن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا * ويصدهن عن الخنا الأسلام

وسياتى ما ورد فى هذا المعنى فى باب العفاف والثانى ما قاله العلماء فى اسباب الباه وهو ان شهوة القلب ممتزجة بلذة العين وحب النفس معقود باختيار الطبائع الا ان يكون الحب تكلفا لا استفراغ

م ١٩ ص

ماء الشهوة فيصير الحرص على الجماع على قدر الهوى والهوى على قدر المؤانسة فمن وافقت عينه قلبه ونفسه طباعه ممن يحب تمكن حبه وارتفعت عنه شهوة الجماع فوقع فيما تكره المرأة من الرجل كما قيل * رأت حبي سعاد بلا جماع * فقالت حبلنا حبل انقطاع *

* اذا المحبوب لم يك ذا ممر * رأى المعشوق كالشئ المضاع *

وزعم بعضهم ان من جملة ما يتداوى به من لم يفز بالظفر السفر كما قال بعضهم اذا ما شئت ان تسلو حبيبا * فاكثر دونه عدد الليالى

وقال الآخر

وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان النأى يشفى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى ود

وقال الآخر

وقالوا دواء الحب حب يزيله * لآخر او طول التمادى على الهجر

وقال آخر

تداويت من ليلى بليلى من الهوى * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وذكر الحافظ ابو عبد الله البخارى فى تاريخه باسناده ان محمد ابن داود صنع خاتما ونقش عليه سطرين الاول وما وجدنا لاكثرهم من عهد الثانى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان اذا رأى رجلا يلح بالنظر الى الاحداث قال له اقرأ ما على الخاتم فلعله ينتهى عن ذلك والله اعلم * وقال شمس الدين ابن الاكفانى فى كتاب غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ما نصه اذا شرب العاشق طبيخ الحرمل سلا العشق وكذلك النيلج الهندى اذا شرب العاشق منه اربع شعيرات بالماء قبل ان يتمكن منه العشق سلا وكذلك الحجر الموجود بعض الاوقات فى اجواف الدجاج اذا رمى فى ماء وشربه العاشق سلا وكذلك ان علق عليه

ايضا

ايضا وكذلك حجر السلوان ومحكه باللبن ومن علق عليه حجر
القلق وهو عاشق سلا وان كان حزينا زال حزنه ومن كان
عاشقا لذكر وتمرغ في مناخ بغلة زال عشقه انتهى * تنبيه
التداوى بالجماع لا يبيحه الشرع بوجه ما اذا كان المحبوب ممن لا يجوز
نكاحه واما التداوى بالضم والقبلة فان تحقق الشفاء به كان
نظير التداوى بالخمر عند من يبيحه بل هذا اسهل من ذلك فان
شربه من الكبائر وهذا الفعل من الصغائر * شربة
يستعمل البوس والعناق * والشفاه الرقاق * في قاعة وايوان
* وبركة وشاذروان * وطعام سبعة الوان * وبنفسج
ونرجس وآس ومنثور وورد وريحان * ودنان خندريس
* والف دينار في كيس * وجارية من بني الاتراك بساق
سمين * وطرف كحيل * تستعمل هذه الحوائج على نطع احمر
* ذى نقش اخضر * وبعد هذا يدخل الحمام * فانه مجرب
والسلام * شربة اخرى يؤخذ ثلاث مثاقيل من
صافي وصال الحبيب * ومثقال من عيدان الجفاء وخوف الرقيب
* وثلاث مثاقيل من نوى الاجتماع * منقاة من غلث الهجر
والانقطاع * وأوقية من خالص الود والكتمان * منزوعة
من عيدان الصد والهجران * ويؤخذ عطر النحور * ولثم الثغور
* وضم الخصور * من كل واحد مثقالان ويؤخذ ماية بوسة
رمانية * محكوكة مرضوضة منها خمسون صغار سكرية * وثلاثون
زق الحمام وعشرون عصافيرية * ويؤخذ غنج حلبي ونخير
عراقي من كل واحد مثقالان ويؤخذ اوقيتان من مص اللسان
ولثم الفم مع الشفتين ويدق الجميع ويخلط ويذر على وزن
ثلاثة دراهم غلمة مصرية * ويضاف اليها حسن الاعكان
المطوية * ويغلى الجميع بماء المحبة على شراب الانس وحطب الطرب

في مرجل العجلة ويصفي الجميع على مقعد دمشقي سلطاني ويحل
فيه اوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق ثلاثة ايام
ويكون الغذاء مزورة من يقطين الاشتياق * ويضاف اليها
قلب لوز العناق * وماء ليمون الاتفاق * ويتناول بعد ذلك
ثلاثة ارطال من المدام وتتبع برطلين من شيل الساقين ويدخل
الحمام * فانه نافع والسلام ﷺ سيف قاطع * وبرق لامع
ساطع * فيما يتعلق بدواء علة الجوى وهو ما حكاه ارباب الرياضي
في الاعداد المتحابة وذلك ان في الاعداد اربعة وثمانين ومايتين
وتسمى العدد المحب وصورته بالقلم الطبيعي هذه ٢ ٣ ٤ لـه
وحروف نطقه دفر وفي الاعداد عدد يقال له المحبوب وهو مايتان
وعشرون وصورته بالقلم الطبيعي هذه ٤ لـه
وحروف نطقه كر فعدد عشرين ومايتين يحبه ابدا
عدد اربعة وثمانين ومايتين فاذا كان عند انسان خاتم او لوح
فضة او ما امكن من المعادن يكون وزنه ٢٢٠ وعند انسان خاتم
ثان او لوح زنته زنة الثاني من العددين فان الذي عنده اربعة
وثمانون ومايتان يحب الذي عنده عدد عشرين ومايتين فان
اردت الاستعطاف وجذب القلوب واخذ النفوس فاكتب
في رقعة صورة الاعداد الاربعة وثمانين ومايتين بالقلم
الطبيعي المتقدم صفته واكتب في رقعة اخرى صورة الاعداد
المايتين وعشرين وأمسك الرقعتين بين الذين قد تباغضا
فانهما يتحابان وما يكون بينهما شر ما دامت الرقعتان معهما
فان لم يمكن ذلك فالق الرقعتين في حق نظيف واكتب
اسم كل واحد منهما او لقبه المشهور وضع الحق في موضع يمران
عليه فانهما يتحابان وان كتبت الاعداد المتحابة بماء وسكر
وسقيت كلا منهما فانهما يتحابان واعجب من ذلك انك تطعم

انسانا قد ابغض آخر اربعة وثمانين حبّة رمّان ومايتين وتطعم
الآخر المبغوض في ذلك الوقت بعينه مايتين وعشرين حبّة من
الرمّان فأنهما يتحابان وممّا يؤكد المحبّة فيما ذكر بعض الحكماء
انه اذا وصلت بلّة من ريق كلّ من المتحابين الى معدة الأخر اختلط ذلك
بجميع البدن ووصل الى جرم الكبد وكذا اذا تنفس كلّ واحد منهما
في وجه صاحبه فانه يخرج من ذلك النفس شئ يختلط باجزاء الهوى
فاذا استنشقاه دخل في الخياشيم فوصل بعضه الى الدمّاغ فسرى
فيه كسريان النوّم في جرم القلب ووصل بعضه الى الرئة ثم الى
القلب فيدب الى العروق الضوارب في جميع البدن فينعقد من بدن
هذا ما تحلل من بدن هذا فيصير مزاجا فيتولد العشق وتتأكد
المحبّة قال الشيخ مغلطاى وهذا الذى اميل اليه ويوشك
ان يدوم ويثبت ولا يغيره مرّ الليالى وعند الامتحان يكرم
المرء أو يهان فصل اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة
امرأته فقالت طائفة لا يجب عليه ذلك لانه حق له فان شاء استوفاه
وان شاء تركه بمنزلة من استأجر دارا ان شاء سكنها وان شاء
تركها وهذا من اضعف الاقوال لانّ القرآن والسّنة والعرف
والقياس يردّه قال الله تعالى ولهنّ مثل الذى عليهنّ بالمعروف
فاذا كان الجماع حق الزوّج عليها فهو حق لها على الزوج بنصّ القرآن
وقال الله تعالى وعاشروهنّ بالمعروف ومن ضدّ المعروف
ان يكون عنده شابة شهوتها تعدل شهوته أو تزيد عليها بأضعاف
مضاعفة ولا يذيقها لذة الوطء مرّة واحدة ومن زعم انّ هذا
من المعروف كفاه طبعه في الردّ عليه وقالت طائفة يجب عليه
ان يطاها في كل اربعة اشهر وتخيّر المرأة بعد ذلك ان شاءت
تقيم معه وان شاءت تفارقه فلوكان لها حق في الوطء اكثر من
ذلك لم يجعل للزوج تركه في تلك المدة وهو امثل من القولين

الأولين مع ما فيه وقالت طائفة يجب عليه ان يطأها بالمعروف كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف قالوا وعليه ان يشبعها وطأ اذا امكنه كما عليه ان يشبعها قوتاً وكان بن تيمية يرجح هذا القول ويختاره قال تلميذه بن قيم الجوزية وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا ورغب فيه وعلق عليه الأجر وجعله صدقة لفاعله فقال وفي بضع احدكم صدقة ففي هذا كمال اللذة وكمال الأحسان وحصول الأجر وفرح النفس وذهاب افكارها الرديئة عنها وخفة الروح وذهاب كثافتها وغلظها وخفة الجسم واعتدال المزاج وجلب الصحة ودفع المواد الرديئة فأن صادف ذلك وجهاً حسناً وخلقاً دمثاً اى سهلاً وعشقاً وافراً ورغبة تامة واحتساباً للثواب فذلك اللذة التي لا يعادلها شئ ولا سيما اذا وافقت كمالها فأنها لا تكمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة فتلتذ العين بالنظر الى المحبوب والاذن بسماع كلامه والانف بشم رائحته والفم بتقبيله واليد بلمسه وتنعكف كل جارحة على ما تطلبه من لذاتها ويقابله المحبوب بنظير ذلك فان فقد من ذلك شئ لم تزل النفس متطلعة اليه متقاضية له فلا تسكن كل السكون ولذلك تسمى المرأة سكناً لسكون النفس اليها ولذلك فضل جماع النهار على جماع الليل وله سبب آخر طبيعي وهو ان الليل وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون والنهار محل انتشار الحركات فذلك قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً * وكان محمد بن المنكدر يدعوا في صلاته ويقول اللهم قوّم لي ذكري فان فيه صلاح لأهلي وقال عبد الله بن صالح كان الليث بن سعد اذا غشى اهله يقول اللهم شدّ لي اصله وارفع لي صدره وسهّل عليّ

مدخله ومخرجه وارزقني لذة وهب لي ذرية صالحة تقاتل في سبيلك
قال وكان جهوريا فكان يسمع ذلك منه وقال علي بن عاصم حدثنا
خالد الحذّاء قال لما خلق الله آدم وخلق حوّاء قال يا آدم اسكن
الى زوجك فقالت حوّاء يا آدم ما اطيب هذا زدنا منه انتهى

الباب الثامن عشر في تعنت المعشوق * على الصب المشوق * وغير ذلك من اقسام الهجر * وصبر القابض فيه على الجمر * اقول هذا باب عقدناه لذكر التجني * وقول المحبوب اليك عني * فهو باب لمن مرّ به حلو المذاق * عطر الخلاق بالاتفاق * لا يعرف طعمه الا من ذاقه * وعرف وصل الحبيب وفراقه * ولم تزل العشاق تستحلي تجني الحبيب * وتقول ضرب الحبيب زبيب

شرط المحبة عند ارباب الهوى * ان المليح على التجني يعشق
لا يصدهم صدّ * ولا يقفون من سيوف اللحاظ عند حدّ * فكم رأوا جور الحبيب عدلا * وقالوا الجذه اذا اقبل اهلا وسهلا * لا يأخذهم فيه لومة لائم * ولا يعدّون جور بارد الظلم من المظالم

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه * حلوا فقد جهل المحبة وادّعى

والعلم المشهور في هذا الباب قول علية بنت المهدي

جبل الحبّ على الجور فلو * انصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن في شرع الهوى * عاشق يحسن تأليف الحجج

كانها ذهبت في البيت الاول الى قول العباس بن الاحنف

واحسن ايام الهوى يومك الذي * تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحبّ سخط ولا رضى * فاين حلاوات الرسائل والكتب

وقد زاد النميري على هذا فقال

راحتي في مقالة العذال * وشفائي في قولهم لا تغال

لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب * لصب الا بخمس خصال
بسماع الاذى وعذل نصيح * وعتاب وكاشح ومطال

وقال جميل بن معمر

لا خير في الحب وقفا لا تحركه * عوارض اليأس او يرتاحه الطمع
لو كان لي صبرها او عندها جزعي * لكنت املك ما آتي وما أدع

ومن ابلغ ما قيل في عتب الاحباب * قول بعض الأعراب في محبوبته
شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي اراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الوجد قالت تعنتا * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وادنوا فتقصيني فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * اشيروا بها واستوجبوا الأجر من ربي

وقد قسموا الهجر على اربعة اقسام فقالوا هجر دلال * وهجر ملال * وهجر مكافاة على الذنب * وهجر يوجبه البغض المتمكن في الصدور * فأما هجر الدلال * فهو الذ من كثير من الوصال وعليه عقدت هذا الباب قال كشاجم

لولا اطراد الصيد لم تك لذة * فتطاردي لي بالوصال قليلا
هذا الشراب اخو الحياة وما له * من لذة حتى تصيب غليلا

وقال المتنبي

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه * وفي الهجر فهو الدهر يخشى ويتقى

وقال ايضا

زيدي اذى مهجتي أزدك هوى * فأجهل الناس عاشق حاقد

وقال آخر

لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال واخذ بقلوب النساء والرجال ان يكون كثير التذلل * قليل التبذل * فقد قال بن وكيع

فلولا

قالوا عشقت كثيرا لتيه ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب اطيبه
لو جادها ن وقلت الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه
فاذا ابتذل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون لأن النفس
الحرة * لا تنفك عن غيره * وقد قال العباس بن الاحنف
ياقوم لم اهجركم لملالة * مني ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد
واما هجر الملال * فيثبطه مرور الايام والليالي * اما بتناءى
الدار * او بطول الاختبار * حكي ان متيم الهاشمية لما
اشتراها علي بن هشام حظيت عنده وأحبها حبا شديدا فاتفق
انها غضبت عليه في وقت من الأوقات وتمادت في غضبها
فترضاها فلم ترض فكتب اليها الأدلال يدعو الى الملال
ورب هجر دعا الى الصبر وانما سمي القلب قلبا لتقلبه وقد صدق
عندي قول العباس بن الاحنف
ما أراني الا سا هجر من ليس يراني اقوى على الهجران
ملني واثقا بحسن إخاء * ما أضر الاخاء بالأنسان
فلما قرأت الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت وأما الهجر
الذي يتولد عن الذنب * فالتوبة تزيله من القلب * عند الاعتراف
بالذنب * ولا سيما اذا كان المحبوب
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء
يتقي الله في المحب وقد اف * لح من كان همه الاتقاء
واما الهجر الذي يوجبه البغض الطبيعي فهو الذي لا دواء
له قال الحصري وهذا لا يصح بين ذوي الاخلاص * وذوي
الاختصاص * اذ حقيقة المشاكلة تمنعه * وصحة المناسبة
تدفعه * والذي اقوله انا ايضا ان هذا القسم مرضه مما
لا يمكن علاجه * ولا يعذب أجاجه * فالمحبوب فيه لا يلام

* ومحبته كمن يرقص في الظلام * ويسلّم على من لا يرد عليه السلام
احبابه كم يفعلون بقلبه * ما ليس يفعله به اعداؤه
اخذه الارّجاني فقال

أأحبابنا لم تجرحون بهجركم * فؤادا يبيت الدهر بالهم مكمدا
اذا رمتموا قتلي وانتم أحبّة * فلا فرق ما بين الاحبة والعدا

وقال آخر

يطالبني قلبي بكم كل ساعة * اذا أفلس المديون لجّ المطالب
ويشتاقكم شوق الذي مسه الظما * وقد منعت ظلما عليه المشارب
اذا رمتم قتلي وانتم أحبّة * اذا فالأعادي واحد والحبائب

الباب التاسع عشر في الدعاء على المحبوب * وما فيه
من الفقه المقلوب * كقولي

دعوت على الحبيب بعشق ظبي * يقاسي منه انواع الجفاء
فلو صله وبالغ في صدودي * فكان اذا على نفسي دعاءي

اقول هذا باب عقدناه لذكر من قارب حلول رمسه
واراد ان يدعو على روحه فدعا على نفسه * فهو يتشهى ويشتكى
* ويتشفى وينتكى * لا يثبت على حال * ولا يفرق بسيف اللحظ
بين الماضي والحال * فبينا هو يشكو من محبوبه اذا هو يشكو
اليه * وبينا هو يدعو له اذا هو يدعو عليه * فمن احسن ما قيل
في الدعاء للمحبوب قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله تعالى
* وجعل من الرحيق المختوم شرابه *

اعز الله انصار العيون * وخلّد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك ضعّفت عقلي وديني
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
واسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قدّ به هيف الغصون
وخلّد دولة الأعطاف فينا * وان جارت على القلب الطعين

وقوله

وقوله ايضا

ادام الله ايام الوصال * وخلّد عمرها تيك الليالي
واسبغ ظل أغصان التداني * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الانس فيها * تزيد لطافة في كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتي خشف الغزال

وقال علاء الدين علي بن المظفر الكندي

ادام الله ايام العذار * وبارك في لياليه القصار
واغنى الله روضة كل خد * اذا استحيت عن الديم الغزار
ولا زالت مباسم كل ثغر * لشائم برقها ذات افترار
ولا برحت على العشاق تضفو * ثياب العار في خلع العذار

وقال ابن ابي الحديد

لا عانقتك من البرية كلها * الا الايدي اليمنى وبند قباكا
كلا ولا رشفت رضابك بعد ما * قد ذقته من فيك الا فاكا

وقال آخر

يا رب ان قدرته لمقبل * غيري فللمسواك او للأكؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يا رب فلتك شمعة في مجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يا رب فليك من عيون النرجس

ومن احسن ما قيل في الدعاء على المحبوب قول شهاب الدين بن غانم

والله ما ادعو على هاجري * الا بان يمحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قد تم في حقي

وقال الآخر

يا ذا الذي كل يوم * يزيد عقلي خبالا
وهمتني فيه حتى * اعاد رشدي ضلالا
ادعو عليك وقلبي * يقول يا رب لا لا

وقال الآخر واحسن ما شاء

يارب لا تجعل عفوه في هاجرى .. غير الصدود منه الحجارة الحجر
حتى يرى ما حل بى من هجره .. ويذوق ما قد ذقت منه ويبق
قال ذلك هذا الكاتب ! عبد الله العتر الحلبي

قد قلت لا مت حتى * اراك فى العشق مثلى
وقلت فى السر منى * يارب لا تستجب لى

وقال الآخر

ايها المعرض صفحا * عن خطابى وجوابى
لا ازال الله عمرى * او يرينى بك مابى
رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبى ان يرى قد * بك فى مثل عذابى

وقال الآخر

يارب ان لم يكن فى وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذى فى طرف مقلته واستر ملاحة خديه بلحيته

وقال الآخر

كم جفانى فرمت ادعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذاهل
لا شفى الله طرفه من سقام * واراني عذاره وهو سائل

وقال بن سنا الملك

أسر لطول اسرى فى يديه * فيغضب اذ أسر لطول أسرى
سالت الله ان يبلى بعشق * فيصبح عاشقا لكن لهجرى

وقال ابن وكيع

ان كنت تعلم مابى * وانت بى لا تبالى
فصار قلبك قلبى * وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش * تفديك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى * عليك ثم بدا لى

وقوله ايضا

فهم غالط منى فهما * جاءنى يسأل عما علما
مقسما مابلغته علتى * كاذب والله فيما زعما
رق للمظلوم منا رحمة * ثم لا ادعو على من ظلما

وقال منقذ

وقال بن منقذ

يا ظالماً يعرض عني اذا * دعوت غضبان على ظالمي
اظنه انت والا فلم * تخشى دعاءى دون ذا العالم
يارب لا تسمعه فيه وان * كان دعاء المغرم الهائم

وقال الآخر

قلت لمحبوبي وقد مر بي * محبوبه كالقمر السارى
هذا الذى يأخذ لى طرفه * من طرفك الوسنان بالثار

وقال الآخر

ولما بدا لى انه غير زائري * وان هواه ليس عنى بمنجلى
تمنيت ان يهوى سوای لعله * يقاسى مرارات الهوى فيرق لى

الباب العشرون فى الخضوع * وانسكاب الدموع

اقول هذا باب عقدناه لذكر من اصبح دمعه مسكوباً على مسكوب * فبات وهو من جريانه كالرمح كما قيل انبوب على انبوب * ولا سيما اذا تمادى الهجر * او كان عليه بعض حجر * هنالك يرى من انسكاب عبرته العبر * وينشد اذا عزم الخليط على السفر

ومفارق سكن القلو * ب فلا خلت منه الربوع
بعث الرسول وقال لى * وانا السميع له المطيع
بالله قل لى ما جرى * بعدى فقلت له الدموع

وقال الآخر

قال لى من احببت والبين قد جد * وفى مهجتى لهيب الحريق
ما الذى فى الطريق تصنع بعدى * قلت ابكى عليك طول الطريق

وما احسن قول القاضى الفاضل رحمه الله

قد استخدمت بالافكار سرى * وما اطلقت لى بالوصل اجره
ولم ار نى على الايام الا * عقدت مودة وحللت صره

ولا استمطرت سحب العين الا * وصرت بادمعى فى الشمس عصره
وقوله ايضا وهو من نثره الذى اصبح بين النجوم نثره * فيصبر حتى تنجلى هذه الغمره * وتقلع سحائب هذه السكره * وتجف مناديل الجفون فانها صارت بالدموع عصره * فقاتل الله البين * ما اكثر فضوله بدخوله بين المحبين * وفى هذا المعنى الباهر * يقول ابن عبد الظاهر *

لا تسلنى عن اول العشق انى * انا فيه قدم هجر وهجره
من دموعى ومن جبينك ارّخ * ت غرامى تمستهل وغره

ومن معانى المتنبى الغريبة قوله

اتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى الاماق

وقوله ايضا

لا تعذل المشتاق فى اشواقه * حتى يكون حشاك فى احشائه
ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه

وقوله ايضا

وهبت السلو لمن لامنى * وبت من الشوق فى شاغل
كان الجفون على مقلتى * ثياب شققن على ثاكل

وقول الاخر

شقت عليه يد الاسى * ثوب الدموع الى الذيول

وقال الاخر فى الخضوع * وانسكاب الدموع *

ولم انس لا انس ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد
وخدى مضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

وقال ابراهيم بن المعمار

وبى غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل * وفى عينى بعد الهجر قطره

وقال الاخر

وقائلة ما بال عينك مذ رأت * محاسن هذا الشخص ادمعها هطل
فقلت زنت عيني بنظرة طلعة * فحق لها من فيض ادمعها غسل

وقال السرى الرفاء

بروحى من ردّ التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعى
وحالت دموع العين بيني وبينه * كأنّ دموع العين تعشقه معى

وقال بن وكيع

وسحاب اذا همى الماء فيه * ألهب الرعد فى حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر الا * ظل يذكى على القلوب الحريقا

وقلت من قصيدة حجازية

خليلىّ روض الرقمتين طرازه * اذا لمع البرق الحجازىّ مُذهب
فلا تعجبا من سحب دمعى اذا همت * فما كل برق لاح للعين خُلّب

وقلت من اخرى حجازيه

جفنى القريح على الخدين قد وكفا * فحسبه ما جرى من ادمعى وكفا
ان عزّ نظم دموعى حين انثره * فالدرّ ما عزّ حتى جاوز الصدفا
لا تعجبوا من وفا دمعى غداة جرى * من عينه ما جرى فالبحر فيه وفا
ما زلت ابكى على وادى العقيق الى * ان قيل هذاك من عينيه قد رعفا

وقلت ايضا من قصيده

بكيت على ارض بها كنت ماشيا * فاشبهت فى دمعى على صخرها الخنسا
تجرّأت يا دمعى فلم تجر دائما * فيا دمع ما اجرى ويا قلب ما اقسى

وقلت ايضا من قصيدة

انّ عينى على العقيق اذا لم * يحك دمعى بلونه حمراء
منذ أمسى لجين دمعى نضارا * صحّ عندى لعينى الكيمياء
لا تسل ما جرى من الدمع لما * صار من عاذلى على اجتراء
اطلع الليل ادمعى فوق خدى * مثلما تطلع النجوم السماء

وقلت من قصيده

لئن فترت عيني بجري دموعها * فثغر الذي اهوى كما قيل بارد
وان حل طرفي بالدموع وكاءه * فنهد الذي حلت بطرفي عاقد
وقلت من قصيد
سقيت بحر الدمع بار رياضها * وارسلته فيها على حين فترة
فيا طرف ان لم تسعف الصب بالبكى * قطعت حبال الدمع من حيث رقت
وقلت من قصيدة
خالفت فيك معنفا ونصيحا * واطعت جفنا بالدموع قريحا
فاعمل لقتلي محضرا فمدامعي * كتبت لقلبي بالدما مشروحا
صب على سفح المقطم دمعه * تجري العيون به دما مسفوحا
لو شاهدت عيناك احمر دمعه * زكيت شاهد قلبه المجروحا
وقلت ايضا
الطرف من فقد الكرى * يشكو الأسى اليه
والخد من فرط البكى * يا ما جرى عليه
وقلت ايضا
ارحم رحمت لوعتي * وابعث خيالا في الكرى
ودمع عيني لا تسل * عن حاله يا ما جرى
كان المسعودي شارح المقامات رحمه الله تعالى كثيرا ما ينشد
قالت عهدتك تبكي * دما حذار التناءي
فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء
فقلت ما ذاك مني * لسلوة وعزاء
لكن دموعي شابت * من طول عمر بكاءي
وقال الاخر
وقائلة ما بال دمعك ابيضا * فقلت لها يا علو هذا الذي بقي
الم تعلمي ان البكى طال عمره * فشابت دموعي مثل ما شاب مفرقي
وعما قليل لا دموعي ولا دمي * يبين ولكن لوعتي وتحرقي

وقال آخر

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك اسودا * وقد كان مبيضا وانت نحيل
فقلت لها جفت دموعي من البكى * وهذا سواد العين فهو يسيل

وقال آخر

كانت دموعي حمرا يوم بينهم * فمذ نأوا اقصرتها بعدهم حرقي
قطفت باللحظ وردا من خدودهم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقي

وقال الناشئ الاكبر

بكت للفراق وقد راعني * بكاء الحبيب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

الباب الحادي والعشرون في الوعد والاماني * وما فيهما من راحة المعاني * اقول هذا باب عقدناه لذكر الاماني التي لا بد منها * ولا غناء عنها فلا اقل منها *

اعلل بالمنى قلبي لعلي * أروح بالأماني الهم عني
واعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا اقل من التمني

ولم يزل المحبون يعللون بالاماني نفوسهم * ويترعون براح راحتها كؤوسهم * فمنهم من فاز بالامنيه * قبل حلول المنيه * ومنهم من مات باعظم غصه * وما وقع له الحبيب على قصه

من نال من دنياه أمنية * اسقطت الايام منها الالف

وهذا النوع الاخير كثير * والسقيم به من المحبين جم غفير

من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الاماني لم يزل مهزولا

نعم منهم من بات من وعد الحبيب مسلوب الرقاد * بعيدا من لقاء الردا على ميعاد * يصدق قول الحبيب ويكذبه * ويمتحنه ويجربه * ويقول

مازلت منتظرا لوعد سيدي * في البيت ملتفتا لقرع الباب

يا كاذبا في وعده بلسانه * من لي ببعض لسانك الكذاب
طالما آيس من وعد المحبوب * وتمسك من رؤية ساقه بمواعيد
عرقوب * كما قيل

وما بلوغ الاماني في مواعدها * الا كاشعب يرجو وعد عرقوب

تنبيه قولهم في المثل مواعيد عرقوب يقال لمن وعد وعداً واخلف واصل المثل المذكور ان عرقوباً كان له اخ فسأله شيئاً فقال له عرقوب اذا أطلع نخلي فلما أطلع قال اذا أبلح فلما أبلح قال اذا أزهى فلما أزهى قال اذا أرطب فلما أرطب قال اذا اصار تمراً فلما اصار تمراً اخذه من الليل ولم يعط اخاه شيئاً فضرب به المثل في خلف الوعد فقيل مواعيد عرقوب قال الشماخ

وواعدتني ما لا احاول نفعه * مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

وقال بن حجاج

فديت من لقيني مثلما * لقيته والحق لا يصعب
فقلت يا عرقوب اطمعتني * فقال لم نفسك يا اشعب

وقلت انا من قصيدة حجازية

يهددني بالهجر في كل ليلة * اصدق فيها وصله واكذب
ولما وردنا ماء مدين قال لي * وحق شعيب انت في الحب اشعب

والناس في الأماني على قولين فمنهم من يرى فيها راحة قلبه وتنفيس كربه * فيريح بها النفس * ويتعلق من ضيائها بحبال الشمس * ومنهم من يقول ليس الترجي مما ينجي فيرى الاماني من الخداع * والوقوع في النزاع * ولكل من القولين حجه * ومذهب مسلوك المحجه * ومن احسن ما سمعته في القول الاول قول بعض بني الحارث

أماني من سعدى حسان كانما * سقتنا بها سعدى على ظماء بردا

منى ان يكن حقا يكن احسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا
وقول الآخر
ولما حللنا منزلا طله الندى * انيقا وبستانا من النور خاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الامانيا
وقال افلاطون الأماني حلم المستيقظ وسلوة المحزون
وقال غيره الأماني رفيق مونس ان لم ينفعك فقد الهاك
وقيل لاعرابي ما امتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق واماني تقطع بها ايامك وقال القاضي الفاضل واحسن ما شاء وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة
وعادت ايامنا * وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا * وعاودتنا
المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلامنا *
اتمنى تلك الليالى المنيرا * ت وجهد المحب ان يتمنى
وقال ياقوت الرومي
لله ايام تقضت بكم * ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها * شئ سوى ان نتمناها
وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس
أصبو الى اللباب بانت عنه هاجرتي * تعللا بليالى وصلها فيه
عصر مضى وجلا بيب الصبى قشب * لم يبق من طيبه الا تمنيه
وقال العفيف اسحاق كاتب الانشاء للناصر داود
لولا مواعيد آمال اعيش بها * لمت يا أهل هذا الحي من زمني
وانما طرف آمالي به مرح * يجري بوعد الاماني مطلق الرسن
وقال ابن خفاجه
وليل اذا ما قلت قد بان وانقضى * تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا انس الا ان اضاحك ساعة * ثغور الأماني في وجوه المطالب
حسبت الديا جي فيه سود ذوائب * لها عنق الأمال بيض الترائب

وقال آخر

في المنى راحة وان عللتنا * من هواها ببعض ما لا يكون

وقلت انا

رق للصب غدا مما يكابده * من دمعه الصب يجري في مجاريه
لم يبق فيه سوى روح يرددها * لولا المنى مات يا اقصى امانيه

وقلت ايضا

يا طيب ريح سرى من نحوهم سحرا * لولا التلافي فيه قلبي في الهوى تلفا
كم ذا اعلل قلبي بالنسيم وما * ارى لداء غرامي في هواه شفا

وقال بن زيدون

لا يسرحن نواظري * في ذلك الروض النضير
ولا كلمنك بالمنى * ولا شربنك بالضمير

وقال آخر

عللينى بوعد * وامطلي ما حييت به
ودعيني افوز منـ * ـك بنجوى تطلبه
فعسى يعثر الزما * ن بحظي فينتبه

وقال آخر

وشادن قلت له * هل لك في المنادمه
فقال كم من عاشق * سفكت في المنى دمه

وقال ابو بكر الحاتمي

لي حبيب لو قيل لي ما تمنى * ما تعديته ولو بالمنون
اشتهي ان احل في كل طرف * لاراه بلحظ كل العيون

وقال ايضا

يا مامنى قلبي فانت جميعه * يا ليتني اصبحت بعض مناك
يدني مزارك حين شط به النوى * وهم اكاد به اقبل فاك

وقال الحسين بن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت انّى وما أراك أراكا
واذا ما تنفس النرجس الغضّ توهمته نسيم شذاكا
خُدَعٌ للمنى تعللنى فيـ * ـك باشراق ذا وبهجة ذاكا

ومما احتج به ارباب القول الثانى

واكثر افعال الغوانى اساءة * واكثر ما تلقى الأمانى لكواذبا

وقال الخالدى

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس اموال المفاليس

وقال بن شرف القيروانى

غُلفٌ تمنوا فى البيوت امانيا * وجميع اعمار اللئام امانى

وقال بن المعتز

لا تأسفنّ من الدنيا على امل * فليس باقيه الّا مثل ماضيه

وقال على بن ابى طالب كرّم الله وجهه تجنّبوا المنى فانها تذهب بهجة ما خُوّلتمُ وتصغّر المواهب التى رُزقتمُ وقال رجل لابن سيرين رأيت كأنّى اسبح فى غير ماء واطير بغير جناح فقال انت رجل تكثر الامانى * وحكى انّ الحجاج مرّ ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقه فيها لبن وهو يقول متمنيًّا انا ابيع هذا اللبن بكذا وكذا واشترى كذا ثم ابيعه فاكسب فيه كذا وكذا فيكثر مالى ويحسن حالى واخطب بنت الحجاج واتزوجها فتلد لى ابنا وادخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ورفس برجله فكسر البستوقه وتبدد اللبن فقرع الحجاج الباب ففتح له فضربه خمسين سوطا وقال اليس لو رفست ابنتى هكذا لجعتنى فيها وقال على بن عبيدة الامانى مخايل الجهل وقال غيره الأمانى تخدعك وعند الحقايق تدعك * اتفق ان الزكى عبد الرحمن القوصى حضر عند الملك المظفر قبل ان يلى حماة وانشده

متى اراك ومن تهوى وانت كما * تهوى على رغمهم روحين في بدن
هناك انشد والامال حاضرة * هنيت بالملك والاحباب والوطن

فوعده الملك المظفر اذا تملك حماه ان يعطيه الف دينار فلما ملكها انشده

مولاى هذا الملك قد نلته * برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته * فذا أوان الموعد الصادق

فوقع له بالف دينار واقام معه ولزمته اسفار فأتفق فيها المال الذى اعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال

ذاك الذى اعطوه لى جملة * قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا * وحسبنا الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من دار كان قد انزله بها فقال

اتخرجنى من كسر بيت مهدم * ولى فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم اعدم مكانا يضمنى * وان مت تدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ما ذنبى اليك قال قولك حسبى الله ونعم الوكيل فأمر بخنقه فلما احس بذلك قال

اعطيتنى الالف تعظيما وتكرمة * ياليت شعرى أم أعطيتنى ديتى

قلت وقد عيب على السلطان حقده عليه لأجل قوله حسبى الله ونعم الوكيل حتى قتله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فكان حاله معه كما قيل

فكنت كالمتمنى أن يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمى

ولله القائل

ربما يرجو الفتى نفع فتى * خوفه أولى به من أمله
رب من ترجو به دفع اذى * سوف يأتيك الأذى من قبله

ذكرت هنا قول الأخر

لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاءنى فيه العذاب الأليم

وقال ابن سنا الملك من رسالة الى المحبوب وانت الذى نفضنى من يده ورفضنى من باله * وانت الذى فصلنى قبل ان يستكمل الوصل مدة حمله وفصاله *

وانت الذى أخلفتنى ما وعدتنى * وأشمت بى من كان فيك يلوم
لعلّ عينا أصابتنا فلا نظرت * أو واشيا قال فيما بيننا كذبا
لعلّ عتبك محمود عواقبه * وربما صحت الأجسام بالعلل
لعلّ الرضى منكم وكيف منالهُ * يسرّ فؤاداً ساءه منكم الهجر
لعلّ صدى فى النفس يروى أوامه * وجمر جوى فى القلب تخمد ناره
لعلّ عاطفة تدنى الى امل * قلباً تحيّر بين اليأس والطمع
لعلّ عين الرضى ممّن كلفت به * يوماً تبهرج ما قالته حسّادى
لعلّ زمانا قد تولى سيثنى * الينا وقلبا قد قسا سيلين
لعلّ ذيول العفو والعفو واسع * يجرّرها الجانى على مفرق الذنب
لعلّ سلوّاً للفؤاد يعوده * وذا غلط حاشى فؤادى ان يسلو
لعلّ وما تغنى لعلّ وأنها * علالة صبّ واستراحة هائم
ولا أقلّ من التعلل بلعل * وما أقل غناها وأكثر عناها

الباب الثانى والعشرون فى الرضى من المحبوب * بأيسر مطلوب * اقول هذا باب عقدناه لذكر المحبّ المطبوع * والعاشق القنوع * ممن يقنع من الحبيب بالنظر * اذا حضر * ويرضى منه بالسلام * ولو مرّة فى العام * فهو فى الرضى منه بالنزر اليسير كما قيل (قليلك لا يقال له قليل

انا راض منكم بأيسر شئ * يرتضيه من عاشق معشوق
بسلام على الطريق اذا ما * جمعتنا بالاتفاق الطريق

وقال المعرّى

لأقاك فى العام الذى ولّى ولم * يسألك الا قبلة فى القابل
ان البخيل اذا تمدّ له المدى * فى الجود هان عليه بذل الباذل

وقال جميل

اقلب طرفى فى السماء لعله * يوافق طرفى طرفه حين ينظر

وقال ايضا

وانى لأرضى من بثينة بالذى * لو استيقن الواشى لقرت بلابله
بلا وبأن لا استطيع وبالمنى * وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى * أواخره لا تلتقى وأوائله

قلت انظر الى هذا الشاعر الظريف * والعاشق العفيف قد قنع من مناهل أحبابه بالوشل * واكتفى باللمح من خلل الاستار والكلل * ومن هذا المعنى المبتز * قول بن المعتز

الست أرى النجم الذى هو طالع * عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقى فى الأفق لحظى ولحظها * فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

والعلم المشهور فى هذا الباب * قول بعض الاعراب *

اليس الليل يجمع ام عمرو * وايانا فذاك بنا تدانى
نعم وأرى الهلال كما تراه * ويعلوها النهار كما علانى

كان الشيخ اثير الدين ابو حيان يقول عن صاحب هذه البيتين هذا العاشق القنوع * وقال الآخر

الى الطائر النسر نظرى كل ليلة * فأنى اليه بالعشية ناظر
عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده * فنشكوا جميعا ما تجن الضمائر

وقال بعض الأعراب

وما نلت منها وصلها غير اننى * اذا هى بالت بلت حيث تبول

ذكرت هنا ما حكى عن بعضهم انه رأى امرأة حسناء فى طاقة فأحبها ولازم المقام على بابها والمرور تحت الطاقة الى ان اعيا وقل صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحفة وقال دعى سيدتك تبول فى هذه فبالت له فى الصحفة وقالت للجارية اتبعيه

وانظري ما يصنع بذلك فلم تزل الى ان دخل بعض الخربات فوضع
ايره فى ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق
وحكى ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء ان الهدهد قال
لسليمان عليه الصلاة والسلام اريد ان تكون فى ضيافتى
فقال له سليمان انا وحدى فقال له بل والعسكر فى جزيرة
كذا فى يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هناك فصعد الهدهد
الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها فى البحر وقال يا نبى
الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده
من ذلك حولا كاملا اخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثل * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

الباب الثالث والعشرون فى اختلاط الاشباح

اختلاط الماء بالراح * اقول هذا باب عقدناه لذكر من
افرط فى العناق * اذا التفت الساق بالساق * فأصبح هو
ومحبوبه كالشئ الواحد فى رأى العين * حتى عند الأحول الذى
يرى الشئ شيئين * وذلك لفرط المحبة التى لا يشتفى
قلب صاحبها بالوصال * ولا تنقطع حبال دموعه
بالاتصال * كما قيل

وكدت وهو ضجيعى ان اقول له * من شدة الحب قد بعدت فاقترب

وقال ابن الرومى

اعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تدانى
والثم فاه كى تزول حرارتى * فيشتد ما القى من الهيمان
ولم يك مقدار الذى بى من الجوى * ليشفيه رشف ما حوى الشفتان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

وقال آخر

سريت اليه والظلام كأنه * صريع كرى والنجم فى الافق شاهد

فلو انّ روحى مازجت ثمّ روحه * لقلت ادن منى ايّها المتباعد
وقال ابو الحسين التونسى
ثم اعتنقنا فترانا معا * فى ظلمة الليل ونور العتاب
جسمين صارا فى الهوى واحدا * كشكلتين اختلطا فى كتاب
وقال خالد الكاتب
كأنّنى عانقت ريحانة * تنفّست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى * حسبتنا فى جسد واحد
وقال نفطويه النحوى
ولما التقينا بعد بُعْد بمجلس * تغازل فيه اعين النرجس الغضّ
جعلت اعتمادى ضمّه وعناقه * فلم يفترق حتى توهّمته بعضى
وما احسن قول ابى بكر الاربلى
هم الرقيب ليسعى فى تفرّقنا * ليلا وقد بات من اهواه معتنقى
عانقته فاتحدنا والرقيب اتى * فمذ رأى واحدا ولّى على حنق
وقال سيف الدين المشد
ولما زار من اهواه ليلا * وخفنا ان يلم بنا مراقب
تعانقنا لاخفيه فصرنا * كأنا واحدا فى عقد كاتب
وقال آخر
توهّم واشينا بليل مزاره * فهمّ ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا فلما اتانا ما رأى غير واحد
قال قاضى القضاة كمال الدين بن العديم لمّا سمع هذين
البيتين امسكه امساك أعمى وقال ابو الفضل
سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا * ونحن نحكى عناقا شكل تنوين
فصرت اذ علقت كفّى حبائلكم * بسهم هجرك ترمى ثمّ تنوينى
ومثل هذا القول فى عدم السّلامة * وتوجيه الملامه *
قول بن سنا الملك

وليلة بتنا بعد سكري وسكره * نبذت وسادي ثم وسدته يدي
وبتنا كجسم واحد من عناقنا * والا كحرف في الكلام مشدد
لو قال كحرف في النظام ما وقع في الملام لان الحرف المشدد في اللفظ
معدود عند العروضيين بحرفين واما في الخط فلا فعلى هذا
لا يتم له ما اراد * ولو جعل ساعده للحبيب كالوساد * ولا
عذر له لان الوزن ساعده واعانه على تحصيل هذه الفائده
وقال بعض شعراء الذخيره

بتنا وراء الحجاب يلحفنا * برد وقار والشمل مشتمل
اثنان من شدة التعانق قد * صار اكفرد بالروح يتصل
لوان غيث السماء امطرنا * لم يصب الارض تحتنا بلل

قال محمد بن عروس اجتمعت انا وعلي بن الجهم في سفينة ونحن
غير متعارفين فتذاكرنا ووجدته حلو المذاكره فكان في بعض
ما قاله انا اشعر الناس فقلت له بماذا قال قال بقولي

الا رب ليل ضمنا بعد هجعة * وادنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

فقلت له والله لقد احسنت ولكني اشعر منك قال باى
شئ قلت بقولي

الا والمنازل من نجد وليلتنا * بفيد اذ جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه يوما فما انفك لا اخذ ولا عضد

والاصل في هذا قول بشار بن برد وهو من الشعر الملوكي

ومرتجة الارداف مهضومة الحشا * تموت بسحر عينيها وتدور
اذا نظرت صبت عليك صبابة * وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا * الى الصبح دوني حاجب وستور

ذكرت بقولي في اول الباب الاحول الذي يرى الشئ شيئين
قول بعض المغاربه في مليح له رقيب احول

بأبي رشا يحوي مع الاحسان * ملكية موضوعها انساني
احوى الجفون له رقيب احول * الشئ في ادراكه شيئان
ياليته ترك الذى انا مبصر * وهو المخير في الغزال الثاني

وقال بن اسرائيل من دوبيت

قد بالغ في حديثه بالمين * من قال رأيت مثله بالعين
ما يبصر مثله سوى ذى حول * من حيث يرى الواحد كالاثنين

وقول صدر الدين بن الوكيل

يقولون لي لم ذا كلفت باحول * يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا
رأت كل عين حسن اوصاف اختها * فعادت بطول الدهر تنظرها شذرا

الباب الرابع والعشرون في عود المحب كالخلال * وطيف الخيال * وما في معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب * اقول هذا باب عقدناه لذكر من ادى به النحول * الى الذبول * واصبح كالطلل بين الطلول * فهو من شدة الضر * كما قال صر در

وكم ناحل بين تلك الخيا * م تحسبه بين اطنابها

فمحبوبه في الجفاء واحد كالألف * وهو في رقته كالخيال يمشي الى خلف * ولما رأتني كعود الخلال * وجسمي كما ينسج العنكبوت
فقالت عموت الى كم تنيك * فقلت انيك الى ان اموت

والعلم المشهور في هذا الباب قول المتنبي

أبلى الهوى اسفا يوم النوى بدني * وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد في مثل الخلال اذا * اطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا انني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقال ايضا

ولو قلم القيت في شق رأسه * من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقال ايضا

الا م طماعية العاذل * ولا رأى فى الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
وانى لاعشق من عشقكم * نحولى وكل فتى ناحل
ولو زلتم ثم لم ابككم * بكيت على حبى الزائل

وقال المعمار

ترك اصفرارا والنحول كلاهما * فى العشق جسمي ينذر العشاقا
فكأنه الف بخط مذهب * جعل الدجى ارقى له اوراقا

وقلت انا من قصيدة

كأن ضباب الافق نذ سرت به * نسيم الصبا من نحو روض الاحبة
كأن الصدا بين الجبال متيم * ولم يبق منه غير صوت وأنة

وقال المتنفل

ان جفانى الكرى وواصل قوما * فله العذر فى التخلف عنى
لم يخلى الهوى بجسمي شخصا * فاذا جاءنى الكرى لم يجدنى

وقال بن لؤلؤ

وأرقنى خيال من حبيب * تناءت داره لما رآنى
فمن سهرى يلم فما أراه * ومن سقمى يطوف فما يرانى

وقال محيى الدين بن عبد الظاهر

ايها الصائد باللحظ ومن * هو من دون الورى مقتنصى
لا تسم طائر قلبى هربا * انه من اضلعى فى قفصى

وقال مضر المغربى

اذا به الحب حتى لو توهمه * بالوهم خلق لأعياهم توهمه
لولا الانين ولوعات تحركه * لم يدره بعيان من يكلمه

وقال محاسن الشواء

ضنيت وضن من اهوى بوصلى * وعادانى الخيال وكان عائد
فاشبهت الذى للسقم نقصا * وان خالفته صلة وعائد

وقال الأرجاني

ولولا اسناها لم يروني من الضنى * ولا اصبحوا من اجلها خصمائي
ولكن تجلت مثل شمس منيرة * فلحت خلال الضوء مثل هباء

وقال آخر

قدكان لي فيما مضى خاتم * فدق جسمي فتمنطقت به
وزادني السقم فلو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

وقال ابو العتاهيه

لم يبق الا القليل في وما * احسبها تترك الذى بقيا

وقال بن عبد ربه

رايت العاشقين لهم جسوم * براها الشوق لو نفخوا لطاروا

وقال آخر

ولما ان راى اهلي سقامي * تجاوز حده حد السقيم
سددت منافس النسمات عني * مخافة ان أطير مع النسيم

وقال آخر

واذا عائد دنا للكلام * لعبت بي انفاسه في الفراش

وقال آخر

عبثت بي ايدي الضنى فكأنني * سر خفي في ضمير كتوم

وقال ظافر الحداد

انحلني حبك يا متلفي * وزادني الشوق فلم أعرف
وذبت حتى لو رمى بي الهوى * في ناظر الناظر لم يطرف

وقال ناصر الدين القفقسي

يقول جسمي لنحولي وقد * أفرط بي فرط ضنى واكتئاب
فعلت بي يا سقم ما لم يكن * يلبس والله عليه الثياب

ومما ينخرط في هذا السلك ما وصفت به الشعراء الخصر من النحول وقد بالغ ابن اسرائيل فيه حيث قال * واحسن في المقال

واها على الخصر الرقيق وانما * قطع الطريق حديثه الموثوق
خصر اديرَ عليه معصم قبلة * فكأنّ تقبيلى له تعنيق
وقال الشيخ صفى الدّين الحلّى
مليحٌ يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه
قلت اخذه من قول بلدينا محمّد بن العفيف التلمسانى واراد قصره على الحسن فقصر * وجرى خلفه ليعثر على المعنى فما عثر عليه بل تعثر * والفرق بينهما كما بين الاجاج والكوثر * والخصر والخنصر * الا ترى قول ابن العفيف * وحلاوة منطقه الظريف
فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد
وكم يدعى صونا وهذى جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد
وقال ايضا
شكوت الى ذاك الجمال صبابتى * تكلّف جفنى انه قط لا يعفو
فلانت لى الأعطاف والخصر رقّ لى * ولكن تجافى الشعر واثاقل الردف
وقال ايضا
تلاعب الشعر على ردفه * اوقع قلبى فى العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما انت الا ثقيل
وعلى ذكر الرّدف ما احسن قول الآخر
للبدر من وجنته نكتة * وفترة فى الظبى من طرفه
اذا مشى جاذبه ردفه * كأنّه يمشى الى خلفه
وقال الشيخ صفى الدّين الحلّى فى مليح راقص
جاء وفى قدّه اعتدال * مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال * وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقدّ * تشى الى نحوه العقول

يجول ما بيننا بوجه * فيه مياه الحيا تجول
ورنّح الرقص منه عطفا * خفّ به اللطف والدخول
فعطفه داخل خفيفٌ * وردفه خارجٌ ثقيل

وقال بن رشيق

أحمل اثقالي على ردفه * وامسك الخصر لئلا يضيع

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

سالت النقا والبان يحكي لناظري * روادفا واعطافا من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما انا حملها * وقال قضيب البان ما انا قدها

الباب الخامس والعشرون في ذكر ما يكابده الاحباب * من الامور الصّعاب * وغير ذلك ممّا يقاسوه من تحمل المشاق * والم الفراق كقوله

شكى الم الفراق النّاس قبلي * وروّع بالنوى حيٌّ وميتُ
واما مثل ما ضمّت ضلوعي * فأني ما سمعتُ ولا رأيت

اقول هذا باب عقدناه لذكر ما يقاسيه المحب من ركوب الاخطار * في طلب الاوطار * فهو لا يزال مشغولا بحاله * متقلبا تحت أحماله * يقاسي في طلب الحبيب من الاهوال * ما هو اثقل من الجبال * ويسمح في مقابلة اللمحة اليسيرة منه بالنفس والمال * قال الطغراءى

ومن طلب الاحبّة كان اسخى * ببذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من * نضى من دون مطلبه حسامه

وقال ايضا

لا اكره الطّعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الأعين النجل
ولا اهاب الصّفاح البيض تسعدني * باللمح من خلل الاستار والكلل

وقال الامام محمّد بن داود الظاهري

حملت جبال الحبّ فيك وانني * لا عجز عن حمل القميص واضعف

وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شئ به الروح تكلف
وهذا البيت الاخير مثل قول الآخر
وكم في الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتي وقع اختياري
وقد انصف هذا العاشق لاعترافه بان ثم من هو احسن من محبوبه
ولكن غلبة الهوى وميل النفس اوقعاه في هواه ومن احسن ما سمعته
في طلب الاوطار * وركوب الأخطار * قول ابن خفاجه
لقد جبت دون الحي كل تنوفة * يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمه * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحي والليل مطبق * منمنم ثوب الافق بالانجم الزهر
اشيم بها برق الحديد وربما * عثرت باطراف المثقفة السمر
فلم ألق الا صعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد اطل على نهر
ولا شمت الا غرة فوق اشقر * فقلت حباب يستدير على خمر
فسرت وقلب البرق يخفق غيرة * هناك وعين النجم تنظر عن شزر
قلت انظر الى هذه الابيات التي افرغت في قالب عجيب * واسلوب
غريب * فبينا صاحبها يصف ادهم الليل * اذ مالت عليه الخيل
كل الميل * وبينا هو يكافح الاسود * اذا به يتنهد على النهود
وبينا هو يقيم قدود الملاح * مقام الرماح * اذا به يقول
لخدودها * من صد عن نيرانها * فانا ابن قيس لا براح *
قد احسن فيها الاستعاره * وساير بنظمها العالي وعددها
السبعة السياره * فنظمه في النجوم * ودمع المتلبس بحالته
كالرجوم * ومن شعره في هذا النمط * ودره الداخل في هذا
السفط * قوله ايضا
وليل طرقت المالكية تحته * أحد على حكم الشباب مزارا
فخالطت اطراف الاسنة انجما * ودست بهالات البدور ديارا
وقال ايضا

يعللني منه بموعد رشفة * خيال له يغري بمطل وليان
شققت عليه لجة من صوارم * عليها حباب من اسنة مران

وقال ابن بسام

لقد صبرت على المكروه سمعه * من معشر فيك لولا انت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا اخلاق لهم * لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا

وقال الآخر

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن يطلب العلياء لم يغله المهر

وقال آخر

يغوص البحر من طلب اللآلي * ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم المجد ثم تنام ليلا * لقد اطمعت نفسك بالمحال

وقال المتنبي

تريدين ادراك المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

(الباب السادس والعشرون في طيب ذكر الحبيب)

*(اقول) * هذا باب عقدناه لذكر من صال وجال * وذكر محبوبه حين تكسرت النصال * في كل موقف الوقوف فيه هزيمة * والموت غنيمة * ولا سيما اذا اقيمت القسي مقام الحواجب * والتبست الخود بنهود الكواعب * واشتبهت الرماح بالقدود * والبيض بحمرة الخدود * هنالك يجعل حبيبه المشار اليه * نصب عينيه لا يلهيه عنه ضرب الحسام * ولا جعله غرضا للسهام * وعلى هذا حكاية الطغرائي التي اربى فيها على عنترة العبسي * وزاد بها في الوفاء بشرط المحبة على كل جني وانسي * وهي ما حكاه غير واحد من ارباب التاريخ ممن خبر وختر * ونصدي وتصدر * وذلك ان مؤيد الدين فخر الكتاب ابا اسماعيل

الحسين الاصبهاني المنشئ المعروف بالطغرائي كاتب الانشاء للملك مسعود لما كانت الوقعة بين الملك مسعود وبين اخيه السلطان محمود بالقرب من همذان والري وانهزم الملك مسعود كان اول من اخذ الطغرائي فلما عزم السلطان اخو مخدومه على قتله بعد ان قيل له عنه اشياء من جملتها انه ملحد وانه يحب المملوك الفلاني من مماليك السلطان ممن كان السلطان يحبه ويميل اليه فاغروه عليه الى ان امر بقتله وان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهام ففعل ذلك واوقفوا انسانا خلف الشجرة من غير ان يشعر به الطغرائي وامروه ان يسمع ما يقول وقال لارباب السهام لا ترموه الا اذا اشرت اليكم فوقفوا والسهام في ايديهم مفوقة لرميه * (واخبرني) * بعض من حكى لي هذه الحكاية من اهل الادب ان اول من فوق اليه السهم المملوك المتيم هو بحبه فانشد الطغرائي في تلك الحالة يقول

ولقد اقول لمن يسدد سهمه * نحوى واطراف المنية شرع
والموت في لحظات احور طرفه * دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل ترى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
اهون به لو لم يكن في طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فامر السلطان باطلاقه * وحل وثاقه * لما رآه من ثبات جنانه * وسحر بيانه * وقد زاد هذا العاشق على من تقدمه من المتصفين بهذا الوصف كابن عطاء السندي حيث يقول

ذكرتك والخطي يخطر بيننا * وقد نهلت مني المثقفة السمر
فوالله ما ادري واني لصادق * اداء عراني من خيالك ام سحر

وقال عنترة

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وما ارق قول الطغرآءى ايضًا

اني لاذكركم وقد بلغ الظما * مني فاشرق بالزلال البارد
واقول ليت احبتي عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

وقال آخر

ذكرت سليمى وحر الوغا * كقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها * وقد ملن نحوي فعانقتها

وقال ابن تميم

الا من يبلغ المحبوب اني * وقفت وللظبى حولي صليل
واني جلت في جيش الاعادي * برمحي وهو في فكري يجول

وقال ايضًا

ولقد ذكرتك والصوارم لمع * من حولنا والسمهرية شرع
وعلى مكافحة العدو ففي الحشا * شوق اليك تضيق عنه الاضلع
ومن الصبي وهلم جرا شيمتي * حفظ الوداد فكيف عنه ارجع

وقال الشريف البياضي

ولقد ذكرتك والطبيب معبس * والجرح منغمس به المسبار
واديم وجهي قد فراه حديدة * ويمينه حذرًا على يسار
فشغلتني عما لقيت وانه * لتضيق منه برحبها الاقطار

وقال ابن رشيق

ولقد ذكرتك في السفينة والردى * متلاطم متوقع الامواج
والجو يهطل والرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجي
وعلى السواحل للاعادي عسكر * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة * وانا وذكرك في الذ تناجي

وقال ابو الثناء محمود

ولقد

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن في شفق الدروع تخاله * حسناء ترفل في رداء مذهب
والموت يلعب بالنفوس وخاطري * يلهو بطيب ذكرك المستعذب
وقال صفي الدين الحلي
ولقد ذكرتك والعجاج كأنه * مطل الغني وسوء عيش المعسر
والسوس بين مجندل في جندل * منا وبين معفر في مغفر
فظننت اني في صباح مسفر * بضياء وجهك او مساء مقمر
وتعطرت ارض الكفاح كأنما * فتقت لنا ارض الجلاد بعنبر
وقال ايضا
ولقد ذكرتك والجماجم وقع * تحت السنابك والاكف تطير
والهام في افق العجاجة حوم * فكأنها فوق النسور نسور
فاعتادني من طيب ذكرك نشوة * وبدت على بشاشة وسرور
فظننت اني في مجالس لذتي * والراح تجلى والكؤس تدور
*(وقال آخر) * وله حكاية مثل حكاية الطغرائي المتقدم مذكورة في منازل الاحباب
ولقد ذكرتك والرماح تنوشني * عند الامام وساعدي مغلول
ولقد ذكرتك والذي انا عبده * والسيف فوق ذؤابتي مسلول
وقال ابو طالب الرفاء
ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
وللناس في هذا البيت كلام وقال الشيخ اثير الدين ابو حيان
ولقد ذكرتك والبحر الخضم طغت * امواجه والورى عنه على سفر
في ليلة اسدلت جلبابا بظلمتها * وغار كوكبها عن اعين البشر
والفلك في وسط الامواه تحسبها * عينا وقد طبقت شفرا على شفر
والروح من حزن راحت وقد وردت * صدري فيا لك من ورد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك في خلدي * وفي فؤادي وفي سمعي وفي بصري

وقلت انا في رمل طريق مصر الى الشام من مقامة

ولقد ذكرتكم برمل روعه * في قلب كل مشرق ومغرب
وبنو بياضة كالدبى من حولنا * بسوادهم سدّوا فسيح السبسب
والقضب تبرى هام كل مدجج * من كف اشوس بالحروب مهذب
واسنة الارماح تلمع في الدجا * كوميض برق في الدجا متلهب
وعلى العوالي كل نسر واقع * يفري اديم الليث منه بمخلب
والرعد للارماح رعد قاصف * والمجر يهدر كالهزبر الاغلب
والترب بالدما والبحر بر * بالفريخ وكل كلب اجرب
وعلى السواحل غارة شعواء ما * فيها لمن يرجو النجا من مهرب
وانا باوتار القسي كانني * فيه أغنى بالرباب وزينب
واقول ليتا حبتي يدرون ما * انا فيه من لهو وعيش طيب

وقال مجنون ليلى

ذكرتك والحجيج له ضجيج * بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن في بلد حرام * به لله اخلصت القلوب
اتوب اليك يا رحمن مما * جنيت فقد تكاثرت الذنوب
فأمّا عن هوى ليلى وتركي * زيارتها فاني لا اتوب

وللناس على هذا البيت الاخير كلام *(وحكى)* عن ليلى الاخيلية انها مرت مع زوجها بقبر توبة بن الحمير فقال لها هذا قبر الكذاب الذي قال

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت * علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

فقالت دعه فقال اقسمت عليك الا ما دنوت منه فسلمت عليه فابت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هناك وزقا ونفر منه جمل ليلى فوقعت من اعلاه فاندقت عنقها وماتت

من وقتها ودفنت الى جانب توبه وهذا من العجائب لانه وفى لها بما التزمه بعد الموت وقد بالغ الاخر حيث قال

لو حُزَّ بالسيف رأسي في مودتها * لمر يهوى سريعاً نحوها راسي
ولو بلي تحت اطباق الثرى جسدي * لكنت ابلي وما قلبي لكم ناسي
لو يقبض الله روحي صار ذكركم * روحاً اعيش به ما دمت في الناس

وقال آخر

ولقد ذكرتك والظلام معتس * وانا قعيد في البيوت وحيدتي
والجو يصفر من قعودي في الهوى * ما فيه من خل يكون عنيدتي
والبق والناموس حولي عسكر * يتقاتلون على شريب مميتي
والفار يلعب في الزوايا دائما * وينط كالقعقاع فوق كويرتي
والعنكبوت يحوك حلة خيمة * يصطاد ذبابا تجوز كويتي
والاكل خبز مثل راسي يابس * والشرب مر من دخين لبيدي
وسماع نغماتي طنين بعوضة * وصرير صرصرة وصفر بويمة
فوددت تعنيق الفويرة كلما * نطت لانك مثلها في الخفة
وحسدت ايدي العنكبوت لشبهها * باصابع لك شبهها في الرقة
وطربت من صوت الصراصر نغمة * اذا شبهت نغماتُ صوت حبيبتي
فبكيت شوقاً حيث لا انتِ معي * تتنعمين تنعمي في غرفتي

(الباب السابع والعشرون)

في طرف يسير من المقاطيع الرائقه * والاغزال الفائقه * مما اشتمل على ورد الخدود * ورمان النهود * وغير ذلك *(اقول)* هذا باب عقدناه لذكر طرف يسير من الغزل والنسيب * ومحاسن التشبيب * مما يطرب سماعه * ويؤخذ لطالع الحسن ارتفاعه * كقول بلدينا الشاعر الظريف محمد بن العفيف

أيسعد لي يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخديك نازل

نعم قد تناها في الجفاء تطاولا * وعند التناهي يقصر المتطاول
وما كنت مجنون للهوى قبل ان يرى * لقلبي من صدغيك في الاسر عاقل
ولولا سنان من لحاظك قاتل * لما كنت ادري ان طرفك ذابل
ولم لا يصح الوجد فيك وناظري * لنسخة حسن من سناك يقابل
ولو ان قيسا واصفا منك وجنة * لا عجزه نبت بها وهو باقل
* (نعم) * هذا الباب من اوسع هذه الابواب مجالا *
واجراها جريالا * واحسنها خطايا * واعذبها نضايا *
فيه يتميز سمين الشعر من غثه * وجديده من رثه * ولا
يكاد يجود فيه الاذاك * ولا يدركه الاكثير الدرايه وما
ادراك * وقد تقدم ان اغزل بيت قالته العرب قول بشار
انا والله اشتهي سحر عينيـ * ـك واخشى مصارع العشاق
وقال محمد بن العفيف واحسن ماشاء
وعيون امرضن جسمي واضرمـ * ـن لقلبي لواعج البلبال
وخدود مثل الرياض زواهـ * ـر ما لايام وردها من زوال
لم اكن من جناتها علم الله * وانى بجمرها اليوم صالى
وقال ايضا
يحكي الغزال نظرة ولفتة * من ذا رآه مقبلا ولا افتتن
احسن خلق الله لفظا وفما * ان لم يكن احق بالحسن فمن
في ثغره وخده وشكله * الماء والخضرة والوجه الحسن
ولهذه الابيات حكاية اتفقت لابن تقي المقتول بالقاهرة
وقال ايضا
اذا ما رمت حل البند * قالت معاطفه حمانا لا يحل
وان حلت بوجنته مدام * يرى لعذاره دور ونزل
وقال ايضا
بدا وجهه من فوق اسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب في فحم

فقلت

فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح
وقال ايضا
احلى من الشهد من هويت وكم * فتنت به فى الهوى مرارات
وكيف لا تستطاب ريقته * وثغره سكر سنينات
وقال آخر
ومليح قال صفنى * انت فى القول فصيح
قلت قولا باختصار * كل ما فيك مليح
وقال ابراهيم المعمار
ومليح قال صف حسنى ازداد سرورا
كم حوى جفنى معنى * قلت الفا وكسورا
وقال ايضا
حاكمت فى شرع الهوى قاتلى * ولى دم طل على خده
فاتهم الحاكم لحظا له * يحقق الفتنة من عنده
ومال للحق فلما راى * قد غريمى ما لمع قده
وقال خطيب سمهود
قال لى من هويت شبه قوامى * وقد اهتز بالجمال دلالا
قلت غصن على كثيب مهيل * صافحته يد النسيم فمالا
وقال السراج الوراق
قلت للاهيف الذى فضح الغصن كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح * قلت اخشى يا غصن ان يستميلك
وقال آخر
قال لى اهيف المعاطف صف لى * هيفى قلت يا رشيق القوام
لك قد لولا جوارح لحظيك لغنت عليه ورق الحمام
وقال النور الاسعردى
قد قنعنا بالخمر والماء والخضرة * والاهيف الرشيق القوام

وتركنا مناصب الناس زهدا * فلماذا يؤذوننا بالكلام

وقال بن خفاجة

ومهفهف طاوى الحشا * كالغصن يخطر ان خطر
فاذا رنا واذا انشدا * واذا سقى واذا سفر
فضح الغزالة والحما * مة والغمامة والقمر

وقال كثير عزة

الله اعلم لو اردت زيادة * فى حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا لعزة ركعا وسجودا

* (وقال ايضا) * من ابيات وهو احسن ما قيل فى حسن الحديث ولها حكاية حكاها المبرد فى الكامل

من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

وقال ابن الرومى

وحديثها السحر الحلال لو انه * لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هى اوجزت * ود المحدث انها لم توجز

وقال ابن حمديس

لا يملّ الحديث منها معادا * كانتشاق الهواء ليس يملّ

وقال ابن ابى الحديد

بالله ضع قدميك فوق محاجرى * فلقد قنعت من الوصال بذاكا
واطل محادثتى فان مسامعى * تهوى حديثك مثلما اهواكا

وقال آخر

ومليح قلت ما الاسـ * ـم حبيبى قال مالك
قلت صف لى وجهك الزا * هى وصفا ليس اعدالك
قال كالبدر وكالغصن وما اشبه ذلك

وقال العطوى

ذات خدين ناعمين ضنينين * بما فيهما من التفاح
وثنايا وريقة كغدير * من عقار وروضة من اقاح

وقال امرؤ القيس

خليلي مرا بي على ام جندب * نقضي لبانات الفؤاد المعذب
الم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وقال النميري واحسن في الوصف

وبيضاء مكسال لكعوب خريدة * لذيذ لذى ليل التمام التزامها
كأن وميض البرق بيني وبينها * اذا حان من بعض البيوت ابتسامها

وقال ابن ابي ربيعة

طفلة باردة الصيف اذاما * معمعان القيظ اضحى يتقد
سخنة المشتى لحاف للفتى * تحت ليل حين يغشاه الصرد

وقال المتنبي

ارخت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت ليالي اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتني القمرين في وقت معا

وقال بن المستوفي الاربلي

رأت قمر السماء فاذكرتني * ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن * رايت بعينها ورأت بعيني

* (قلت) * وللناس عليه كلام * ولهم على فهمه زحام * حتى ان بعضهم وضع فيه كتابا وقال اخر

بروحي وجسمي ذلك العارض الذي * غدا مسكه فوق السوالف سايلا
درى خدها اني لجن من الهوى * فاظهر لي قبل الجنون سلاسلا

وقال سعد الدين محمد بن عربي

لما تبدا عارضاه في نمط * قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل نمل فوق عاج قد سقط * وقال قوم انها اللام فقط

وقال اخر

رأيت الهلال على وجه من * رأيت الهلال على وجهه
وقال آخر
برزت فقابل ناظري من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل
ابكي فأنظر ادمعي في خدها * تجري فأحسب انها تبكي لي
وقال بن قلاقس
فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار
ما اختفى الرمان الا * وتبدى الجلنار
وقال الخبزارزي
رايت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتي فيهما * هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد في الوجنتين * وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب * وكنت اظن الحبيب القمر
وقال محمد السلامي
بدايع الحسن فيه مفترقه * واعين الناس فيه متفقه
سهام الحاظه مفوقة * فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق وجنته * هذا مليح وحق من خلقه
وقال بن رشيق
معتدل القامة والقد * مورد الوجنة والخد
قل للذي يعجب من حسنه * اقرأ عليه سورة الحمد
وقال ايضاً
شكوت بالحب الى ظالمي * فقال لي مستهزئاً ما هو
قلت غرام ثابت قال لي * اقرأ عليه قل هو الله
وقال شيخ الشيوخ بحماة
سألته من ريقه شربة * اشفي بها من كبدي حره
فقال اخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجره

وقال يحيى الخباز

طلبت منه قبلة قال لى * اياك ان تطمع فى القرب
البوش شاليش وقد اختشى * ان يتبع الشاليش بالقلب

وقال بن اسد

اريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فلست من سكرى مفيقا
وللصهباء اسماء ولكن * جهلت بان فى الاسماء ريقا

وقال السراج الوراق

* قال من شبه ريقى * بالزلال العذب زلا *
* انما ريقى شهد * قلت ذا من فيك احلا *

وقال اخر

ظبى ترى وجهك فى وجهه * وتشرب الخمرة من فيه

وقال اخر

ما انصفوا اذ لقبوه شاربا * من بعدما امسى لقلبى آكلا

وقلت انا

ياصاح سكرى من هوى اغيد * قوامه كالغصن ان ماسا
ساق متى ما لاح لى كاسه * ذكرنى شاربه الآسا

وقلت ايضا

فتاة حين زارتنى عشاء * رأيت الشمس ليلا وسط دارى
فورد خدودها ما لاح الا * واحرق عاشقيه بجلنار
فصف لى شعرها ليلا وطول * وقل فى الخصر قولا باختصار
تدير لنا مراشفها عقارا * قريب العهد من كاس مدار

ومنها

عذمتك يا عذولى فيه قل لى * اذ الاح العذار فما اعتذارى
كانك ما شعرت بان حبى * غدا بعذاره حسن الشعار
غدوت مكاتبا فيه بخط * قريب الشكل من قلم الغبار

سقاني من مقبّله شرابا * طهورا المريد نش باعتصار
واعقب وصله هجرا فقلبي * على حرف من الهجران هار
اذا ما قادني يوما هواه * مشيت وقطر دمعي كالقطار
ايطمعني بخفض العيش دهري * وجرّ الدمع فيه على الجوار

وقلت ايضا من قصيدة امدح بها مولانا السلطان حسن

تراد فت التهاني والسرور * وبشرنا بوصلكم بشير
وبات بقلعة الجبل انشراح * وافراح ولحباب حضور
بروج الافق فيها فرد بدر * وافق بروجها فيه بدور
تغازل باللواحظ في دجاها * فما نامت ولا فتر الفتور

ومنها

اغار من النسيم بها اذا ما * تصافح كفه فيها الستور
اذا نشرت ذوائبها تبدّى * لميت الحب في الدنيا نشور
لها ثغر يصون الدرّ مجّا * يبيت عليه من خفر خفير
وفرق بين ضوء الصبح لما * يلوح وبينه فرق كبير

الباب الثامن والعشرون

في ذكر طرف يسير من اخبار المطربين المجيدين * من الرجال * وذوات الجمال * وما في معنى ذلك * من ذكر موالاتهم * ووصف آلاتهم * (اقول) * هذا باب عقدناه لذكر من استراح من العناء * بسماع الغناء * من كل محب يشبب بالشباب * ويغني بالرباب * فهو يضرب بالعود ويجمع من المذكر والمؤنث بين الشئ وضده لايلهيه غير ملاهيه ولا سيما اذا كان في الغناء ممن يعرف الصواب * ويقيم الاعراب * ويشبع الالحان * ويعدل الاوزان * ويصيب اجناس الايقاع * ويعطي النغم حقه من الاشباع *

ويختلس

ويختلس مواضع النبرات * ويستوفى ما شاكلها من النقرات
* ويحسن الاختلاس * ويملأ الانفاس * وغير ذلك
مما هو معروف عند ارباب هذا الشان من القيان * ممن جمع
فى ذلك بين الحسن والاحسان * (كما قيل
ما تفننت الا تفرج هم * عن فؤادي واقلعت احزان
يفضل المسمعين طيبا وحسنا * مثلما يفضل السماع العيان
والناس فى الغناء كلهم عبيد معبد واسحاق الموصلى الذين
هما اطبع المتقدمين فى الغناء فيما حكاه غير واحد من
ارباب التاريخ وفى معبد يقول حبيب
محاسن اوصاف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا لمعبد
* وقال * البحترى يصف صهيل فرس
هزج الصهيل كأن فى نغماته * نبرات معبد فى الصهيل الاول
* (ومعبد) * هذا كان منقطعا الى البرامكة ومات فى ايام
الرشيد واخباره اشهر من ان تذكر وقد ذكرها صاحب الاغانى
وغيره * (واما اسحاق الموصلى) * فانه كان من اهل العلم
والادب والرواية والتقدم فى الشعر وسائر المحاسن
اشهر من ان يوصف وهو الذي صحح اجناس الغناء وميز
طرائقها تمييزا لم يقدر عليه احد قبله ولا بعده من
تدقيق المجارى وتمييز الاصناف التى جعلوها صنفا
واحدا وهى فى نفسها كذلك ولكنها تغترف عند متيقظ
مثله ومن كلامه حدود الغناء اربعة النغم والتأليف والايقاع
والقسمة * (وكان) * قد سأل المأمون ان يكون دخوله مع
اهل العلم والادب لا مع المغنيين فاذا اراده للغناء دعاه فاجابه
الى ذلك * (وقال) * الواثق ما غنانى اسحاق قط الا ظننت
انه زيد فى ملكى وان اسحاق لنعمة من نعم الملك التى لم يحظ

احد بمثلها ولوان العمر والنشاط مما يشترى لشريته له بشطر ملكى وجلس عند ابراهيم ابن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحاق فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم الا تشرب فقال

أصبح نديمك اقداحا تسلسلها * من الشمول واتبعها باقداح
من كف ريم مليح الدل ريقته * بعد الهجوع كمسك او كتفاح
لا تشربنّ الراح الا من يدي رشا * تقبيل راحته اشهى من الراح

فدعا بوصيفة تامة الحسن فى زي غلام عليها اقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم امر بتوجيهها اليه بكل ما معها فى داره ومما لحنه اسحاق وله حكاية ظريفه

* قل لمن صد عاتبا * ونأى عنك جانبا *
* قد بلغت الذى اردت * وان كنت لاعبا *
* واعترفنا بما ادعيت * وان كنت كاذبا *

*(وقد تركت) * حكاية هذه الابيات خوف الاطالة وهذا القدر كاف فى اخبار اسحاق فى هذا الموضع وحكى ابو الفرج انه اهديت للرشيد جارية فى غاية الجمال فخلا معها فى قصره يوما واصطبح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة ما يزيد عن الفى جارية فى احسن زي من الثياب والجواهر فوصل الخبر الى ام جعفر فعظم ذلك عليها وارسلت الى علية اخت الرشيد تشكو اليها فارسلت اليها علية لا يغيظك هذا فوالله لاردنه اليك وقد عزمت ان اصنع شعرا واصوغ عليه لحنا واطرحه على جواري فابعثي الي كل جارية عندك والبسيهن انواع الثياب والجواهر حتى القى عليهن الصوت مع جواري ففعلت ام جعفر ما امرتها به علية فلما صلى الرشيد العصر لم يشعر الا وعلية قد خرجت

عليه من قصرها ومعها ما ينيف عن الفى جارية عليهن غرائب اللباس وكلهن فى نغمة واحدة يغنين بهذين البيتين

منفصل عنى وما * قلبى عنه منفصل
يا قاطعى قل لى لمن * نويت بعدى ان تصل

قال فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل ام جعفر ومعه علية وهو فى غاية السرور وقال لم اركاليوم سرورا قط وقال لمسرور الخادم لا تترك فى الخزانة مالا الا نثرته فكان مبلغ ما نثره فى ذلك اليوم ستة الاف الف درهم وما سمع بمثل ذلك قط * وحكى عن القاضى ابى عبد الله محمد بن عيسى انه خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بالقرب من مقبره فعزم عليه فى الميل اليه فنزل واحضر له طعاما فغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزها بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت ارواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس اسبلت ظلماءها * فضياء وجهك فى الدجا مصباح

فكتبها القاضى طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال راويه فلقد رايته يكبر على الجنازة وهذه الابيات على ظهر يده وما احسن قول ابن تميم فى عواده

وفتاة قد راضت العود حتى * راح بعد الجماح وهو ذليل
خاف من عرك اذنه اذ عصاها * فلهذا كما تقول يقول

وقال آخر

سقى الله ارضا انبتت عودك الذى * زكت منه اغصان وطابت مغارس
فغنى عليه الطير والعود اخضر * وغنت عليه الغيد والعود يابس

وقال ابن قاضى ميلة

جاءت بعود يناغيها ويسعدها * فانظر بدائع ما خصت به الشجر
غنت على عوده الاطيار مفصحة * غضا فلما ذوى غنى به البشر

فلا يزال عليه او به طرب * يهيجه الاعجمان الطير والوتر

وقال ابن حجاج

هذا ومحسنة بالعود عاشقها * بذلك الطيب في الاحسان مسرور
اذا انثنت وتغنت خلت قامتها * غصناً عليه قبيل الصبح شحرور

وقال آخر

وجارية اذا غنتك صوتاً * فما لك من فراق الحلم بد
كان يسارها في العود برق * ويمناها اذا ضربته رعد

وقال آخر

اشارت باطراف لطاف كأنها * انابيب در قمعت بعقيق
ودارت على الاوتار جساً كأنها * بنان طبيب في مجس عروق

وقال النور الاسعردي في جنكية

لبنت شعبا جنك حين تنطقه * يغدو باصناف الحان الورى هازي
لا غرو ان صاد البات الرجال لها * اما تراه يحاكي مخلب البازي

وقال الصلاح الاربلي واحسن ما شاء

الجنك مركب عقل في تشكله * والرق قلع له الاوتار اطناب
يجري بريح اشتياق في بحار هوى * يؤم ساحل وصل فيه احباب

وقال ابن دانيال في دفية

ذات القوام الذي يهتز غصن نقا * لو مر يوماً عليه طائر صدحا
تبدي على الدف كالجمار معصمها * لنقرة ببنان يشبه البلحا
غناؤها برقيق الريح ممتزجه * فما ينقط الاكل من رشحا

وقال ابن عديم في مغنية

والله لو انصف الاقوام انفسهم * اعطوك ما ادخروا فيها وما صانوا
ما انت حين تغني في مجالسهم * الا نسيم الصبا والقوم اغصان

وقلت انا

وغانية مكملة المعاني * بلطف ما عليه من مزيد

اذا ما اطربتنا بالمثانى * تثنت بين رمان النهود
تغار السمر منها حين تبدو * كغصن البان فى خضر البرود
باطراف من الحناء حمر * والحاظ كبيض الهند سود
سوالفها من الريحان اطرى * يواخيها الشقيق من الخدود

وقال آخر

بابى اغانى مطرب * ابدا وترضاه النفوس
ينشد وفنزنو بالكؤ * س له ونرقص بالرؤس

وقال آخر

وزامر يبعث فى زمره * الى قلوب الناس افراحا
كان اسرافيل فى نايه * ينفخ فى الاموات ارواحا

وقال آخر فى مشبب

ومطرب قد راينا فى انامله * شبابة للسرور والنفس اهلها
كانه عاشق وافى حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها

وقال ابن قرناص فى مليح مشبب

مشبب بجفاه راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ احيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين احيانا

وقلت انا

رعى الله ارباب اليراع فانهم * ازاحوا عنا ذا رغمهم باللهو العذرى
مواصيلهم من نغمهم كل ساعة * جلبنا اللهو من حيث ادرى ولا ادرى

وقلت ايضا ملغزا فى شبابه

وما خرساء ان نطقت رابينا * تناقض فعلها امرا عجيبا
منقبة وليس لها ازار * توافينا ولم تخش الرقيبا
فتاة ان خلوت بها وصحبى * رايتهم معى فيها نصيبا
ينازعنى هواها كل صب * وان لم تشبه الرشا الربيبا
فكم من عاشق فضحته فينا * وكم جمعت بمجلسها حبيبا

تجدد لى اذا نطقت سرورا * يعيد زمانى البالى قشيبا
ارق من النسيم الرطب صوتا * واسرع فى الورى منه هبوبا
تغازل دائما بعيونها من * يطارحها التغزل والنسيبا
فدع لومى اذا ما همت فيها * وانشدنى من الشعر الغريبا
وشبب لى بها ابدا وقل لى * ضروب الناس عشاق ضروبا
فاعذرهم محب ذو ملال * واعذرهم اشدهم حبيبا

وقال المصيص الخياط يهجو عوادا

واذا تربع لا تربع بعدها * وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكان جرذان المدينة كلها * فى عوده يقرضن خبزا يابسا

وقال آخر

غنى ابو الفضل فقلنا له * سبحان مخليه من الفضل
غناؤه حد على شربه * فاشرب فانت اليوم فى حل

وابلغ ما قيل فى ذم المغنى قول كشاجم

ومغن بارد النغمة * مختل اليدين
ما رآه احد فى * دار قوم مرتين

وقال آخر

ومغن بارد * اذهب اللذات عنا
فسألناه سكوتا * فابى يسكت عنا
فشتمناه فغنى * فاشتفى القواد منا

وقال آخر

مغنية سوء الفاظها * يميت السرور ويحيى الكرب
مقبحة الوجه مفلوجة * فلا للنكاح ولا للطرب

وقال آخر

ولرب زامرة يهيج زمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت انملها على اضرابها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر

بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر
هذا مثل قولهم فى المثل ابصر الحامل والمحمول ودار الوكالة
وقال آخر
كأنها فى حالة العيان * خنافس دبت على ثعبان
وما احسن قول الوجيه الدرى فيمن يغنى بالرباب
ويجمع بين الاحباب
لا تبعثوا بسوى المعذب جعفر * فالشيخ فى كل الامور مهذب
طورا يغنى بالرباب وتارة * يأتى على يده الرباب وزينب

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر من ابتلى من اهل الزمان * بحب النساء والغلمان * اقول هذا باب عقدناه لذكر عشاق زماننا هذا وهم ما هم * تعرفهم بسيماهم * فمنهم من اتصف بالانصاف * وسلك طريقة السلف فى العفاف * وهذا النوع فيما يظهر * اعز من الكبريت الاحمر * لم اره ولا رايت من رآه * وان وجد اسمه فاين مسماه

فاشهد بصدق مقالتى * او لا فكذبنى بواحد

هيهات بل قصارى اهل هذا العصر ان يعشق احدهم بكرة ويواصل الظهر ويسلو العصر وعلى هذا حكاية بعض العلماء من اهل المدينة فيما حكاه عمرو بن شيبة قال كان الرجل يحب الفتاة فيدور بدارها حولا يفرح ان رأى من رآها فاذا ظفر بها فى مجلس تشاكيا وانشدا الاشعار واليوم يشير اليها وتشير اليه فيعدها وتعده فاذا التقيا لم يتشكوا حبا ولم ينشدا شعرا وقام اليها كانه على نكاحها امين الامناء كما قيل

لم يخط من داخل الدهليز منصرفا * الا وخلخالها قد قارب الشنفا

وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدّون العشق فيكم قالت
العناق والضمّة والغمزة والمحادثة ثم قالت يا حضري فكيف
هو عندكم قلت يقعد ما بين رجلي عشيقته ثم يجهدها قالت
يا ابن اخي ما هذا عاشق هذا طالب ولد وسئل اعرابي عن ذلك
فقال هو مص الريقة ولثم الثغر والاخذ من اطايب الحديث
بنصيب فكيف هو عندكم ايها الحضري فقال العضّ
الشديد * والجمع بين الركبة والوريد * ورهز يوقظ
النيام * ويوجب الآثام * فقال تالله ما يفعل هذا
العدوّ فكيف الحبيب * قلت وقد تقدم ان الملوك
ليسوا كغيرهم في العشق وان الملك العظيم قد يعشق
ولا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه * وهنالك
طبقة اخرى دون الملوك اذا عشقوا لم يتفرّغوا لاشتغالهم
بصنائعهم وطبقة اخرى يبخلون باديانهم وعقولهم
عن شغل قلوبهم بما لا يحلّ لهم ويحرّم عليهم وما سوى
هولاء فان عشقهم عرض من الاعراض * بل مرض من الامراض * اذا وصلوا
اليه اسرعوا بانصرافهم عنه وربما صار هجرانا بل عداوة الى آخر
العمر وهذا هو الغالب على اهل زماننا هذا وهو افسد انواع الحبّ
اذ يوجد عند الفراغ ويذهب عند الشغل ويحدث عنه
غلبة الشهوة ويتلاشى بتلاشيها فهو اضعفها لا محالة
وامر صاحبه سهل اذ هو يسلو بالجفاء * ويحب بقليل
الوفاء ومن كانت هذه حاله سهل امره وانطفا بالبولة
جمره فمن اهل هذا العصر * من اقتصر على دمية القصر *
فهام بالحسناء من النساء ومنهم من خلع في الامرد العذار *
وقال للسلوّ عن وجنته الحمراء النار ولا العار *
ومنهم من قرن بين الفريقين * وجمع من المذكّر

والمؤنث بين الضدين * فتراه ياتي على ما حضر * ولا يتوقف
عند صورة من الصور * كما قيل

انا الرجل البصير بكل امر * دخلت من التصابي كل باب
فيهوى المرد والشبان قلبي * ولا يابى مواصله الكعاب

وقد زاد ذيك الجن على هذا حيث قال

أعشق المرد والنكار بيض والشيب * وعندي مثل البنين البنات
حد ما يشتهي ويعشق عندي * حيوان تحل فيه الحياة

وقال ايضًا

انا من قولي مليح * او قبيح مستريح
كل من يمشي على وجه الثرى عندي مليح
حد ما ينكح عندي * حيوان فيه روح

وقال بن تميم مضمنًا

ومعشر عذلوا اذ ما ركبت على * اخوي محاسنه قبحن فعلهم
دع يعذلوا ما استطاعوا انني رجل * لو استطعت ركبت الناس كلهم

وقال بعض مشايخ العصر

وعارض قد لام في عارض * وطاعن يطعن في سنه
وقال لي قد طلعت ذقنه * فقلت لا افكر في ذقنه

وقال ايضًا

شيب وجدي بشايب * من سنا البدر وجهه
كلما شاب يختني * بيض الله وجهه

وقال ايضا بعض مشايخ العصر

وقد عنفوني في هواه بقولهم * ستطلع منه الذقن فاصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فاني واقع * وحقكم بالوجد فيه الى الذقن

وقال ايضا بعض مشايخ العصر

وكامل العارض قبلته * فصد عني وازور من قبلتي

وقال كم انهاك عن فعل ذا * وانت ما تفكر في لحيتي
وكتبتا نا الى بعضهم
ليهن مولانا حبيب لم يزل * بوصله في كل حين محسنا
كم زينته لحية في وجهه * انبتها الله نباتا حسنا
فكتب الى الجواب عن ذلك
يا مادحا للحية سلوانها * عن روضها لما زها لن تحسنا
مذ نبتت فيه نباتا حسنا * قبلتها منه قبولا حسنا
فكان كما قيل
حاشا المثلى عن هواه يتوب * هو دون كل العالمين حبيب
اهواه طفلا في القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب
وقال ايضا بعض مشايخ العصر وقد عشق شيخا
كلفت به شيخا كان مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
اخو العقل يدري ما يراد من الفتى * امنت عليه من رقيب ومن ضد
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى * لسود اللحى ناس وناس الى المرد
فقلت لهم لو كنت اصبوا الامرد * صبوت الى هيفاء مياسة القد
وسود اللحى ابصرت فيهم مشاركا * فاثرت ان انفي بابيضهم وحدي
وقال آخر وقد عشق عجوزا
كلفت بها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب
قال ياقوت الحموي وقد ظلم اهل الموصل من خصهم
بالنسبة الى اللواط حتى ضرب بهم المثل وقال فيهم الشاعر
كتب العذار على صحيفة خده * سطرا يلوح لناظر المتامل
بالغت في استخراجه فوجدته * لا راي الا راي اهل الموصل
ولقد جبت البلاد ما بين جيحون والنيل فمن رايته لا يخرج
عن هذا المذهب فلا ادري لم يخص به اهل الموصل قيل
وليس الامر كذلك كما ادعى ياقوت من كل وجه لان مجرد

الميل الى الذكر لا تخلوا منه بقعة انما اهل الموصل يزيدون على ذلك
بانهم يميلون الى اصحاب الذقون وربما مالوا الى من فى عذاره شيب
ويقولون هنا شعرة وشعرة اى شعرة سوداء وشعرة بيضاء وبعضهم
يسميه زرزوريا وهذا قل ان يوجد فى غير بلدهم وقد ذموا بهذا من
بين اهل البلاد وهم واهل الاسكندرية لانهم يقولون ما نعطى
فلبستنا الا لمن ينفقها على عايلته ووليداته ما نعطيها لمن
ياكل بها حلاوة قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية
فى كتابه روضة المحبين بعد ذكر قصة عاد وما افضى
اليه بهم الهوى من الهلاك الفظيع والعقوبة المستمرة ثم قصة
قوم صالح كذلك ثم قصة العشاق * ائمة الفساق * ناكحى الذكران
وتاركى النسوان * وكيف اخذهم وهم فى خوضهم يلعبون *
وقطع دابرهم وهم فى سكرة عشقهم يعمهون * وكيف جمع
عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على امة من الامم اجمعين *
وجعلهم سلفا لاخوانهم اللوطية من المتقدمين والمتاخرين *
قال لما تجرأوا على هذه المعصية وتمردوا ونهجوا لاخوانهم
طريقا وقاموا بها وقعدوا وضجت الملائكة الى الله من ذلك
ضجيجا * وعجت الارض الى ربها من هذا الامر عجيجا * وهربت
الملائكة الى اقطار السموات * وشكتهم الى جميع المخلوقات *
وهو سبحانه قد حكم انه لا ياخذ الظالمين الا بعد اقامة الحجة
عليهم * والتقدم بالوعد والوعيد اليهم * فلما خالفوا الرسل
المرسل اليهم * ووقعت الحجة عليهم * فعل الله تعالى بهم
ما اخبر به فى كتابه العزيز فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما
هى من الظالمين ببعيد فهذه عاقبة اللوطية عشاق الصور *
وهم السلف واخوانهم بعدهم على الاثر

فان لم يكونوا قوم لوط بعينهم * فما قوم لوط منهم ببعيد
وانهم في الخسف ينتظرونهم * على مورد من مهلة وصديد
يقولون لا اهلا ولا مرحبا بكم * الم يتعدكم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم * صراطا لنا في العشق غير حميد
اتينا به الذكران من عشقنا لهم * فاوردنا ذا العشق شر ورود
فانتم بتضعيف العذاب احق من * متابعكم في ذاك غير رشيد
فقالوا وانتم رسلكم انذرتكم * بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا * نذوق عذاب الهون ذوق مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم * ويجمعنا في النار غير بعيد

حكى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان عن الاصمعي انه قال دخلت يوما انا وابو عبيدة المسجد فاذا على الاسطوانة التي يجلس اليها ابو عبيدة مكتوب على نحو سبعة اذرع

صلى الاله على لوط وشيعته * ابا عبيدة قل بالله آمينا
فانت عندي بلا شك بقيتهم * منذ احتملت وقد جاوزت سبعينا

قال لي يا اصمعي امح هذا فركبت ظهره ومحوته بعد ان اثقلته فقال اثقلتني وقطعت ظهري ازل فقلت له بقيت الطاء فقال هي شر حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب على ظهره واثقله قال له عجل فقال قد بقي لوط فقال من هذا يهرب وكان الذي كتب ذلك ابو نواس قلت وقد جاء في تفسير قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض ان فسادهم كان اللوط

* (فصل) * في النظر الى وجه الامرد ذكر الحافظ محمد ابن ناصر من حديث مجالد عن الشعبي قال قدم عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام امرد ظاهر الوضاءة فاجلسه عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال كانت خطيئة من مضى النظر وفي الكامل عن ابي هريرة نهى رسول

قوله مهلة
اي وايد
المهل وق
هو دردي
الزيت
وقيل
النحاس
المذاب
وقيل غير
ذلك
٥ مصـ

الله صلى الله عليه وسلم ان يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد وكان
سعيد بن المسيب يقول اذا رايتم الرجل يلح بالنظر الى غلام امرد
فاتهموه وصرح الشيخ محيي الدين النووي فى المنهاج بتحريم النظر الى
وجه الامرد بشهوة او بغير شهوة وذكر الخطيب من حديث عبد
الرحمن بن وافد عن عمرو بن ازهر عن ابان عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا اولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم
ما لا تشتاق الى الجواري العواتق وكان ابرهيم النخعي وسفيان الثوري
وغيرهم من السلف ينهون عن مجالسة الامرد وقال النخعي
مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء حكى عن ابي سعيد الخراز
وكان من المشايخ المعروفين بالزهد والعبادة انه قال رايت
ابليس فى منامى وهو يمر عني ناحية فقلت تعال فقال اى شئ اعمل
بكم انتم طرحتم عن نفوسكم ما اخادع به الناس قلت وما هو
قال الدنيا ثم قال غير ان لى فيكم لطيفة قلت وما هي قال صحبة
الاحداث فاخذت العصا لاضربه فقال انا ما اخاف من العصا انما
اخاف من نور القلب قال فتح الموصلي صحبت ثلاثين شيخا من الابدال
كلهم يقولون اياك ومعاشرة الاحداث وحكى ابو عبد الله احمد بن الجلاد
قال كنت امشي مع استاذي فرايت حدثا جميل الصورة فقلت اترى
يعذب الله هذه الصورة بالنار فقال او نظرت اليه سوف ترى
غبها قال فنسيت القرآن بعد عشرين سنة ومن المعلومات
النظر الى الامرد يوقع فى سكرة العشق كما قال تعالى عن عشاق
الصور لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فالنظر كاس من خمر
والعشق هو سكر ذلك الشراب وسكر العشق اعظم من سكر
الخمر فان سكران الخمر يفيق وسكران العشق لم يفق الا وهو من عسكر الاموات
سكران سكر هوى وسكر مدامة * ومتى يفيق فتى به سكران
انشدني بعض مشايخ العصر

يا من غدا بالمرد ذا الوعة * ما انت في حبهم بالمصيب
في الخرد العين التي تشتهي * منهم ويفضلن بحب الحبيب

وقال آخر

حبك الغلمان امر * كنك النسوان غبن
انما يفسق في الظهر * اذا اعوز بطن

على ان عشق النسوان ايضا والنظر الى من لا يجوز النظر اليها فيه ما فيه * مما لا يدرك تلافيه * وقد ثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء قلت ولا سيما نساء هذا الزمان * من كل شمس خدر تطلع من قوادها بين قرني شيطان وغيرها ممن اشتغلت بالسحاق والخروج بعد زوجها من الباب او الطاق كما قيل في معنى ذلك

شغل بالمرد بالبدال واضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفى * فعزاء يا معشر الفساق

وحكى عن بعضهم انه قال لجارية تساحق ارجعي الى الحق فقالت الحق بعض مرادي تريد ان السحق بعض حروفه الحق وهذا من الاجوبة اللطيفة فما احقها ان يقال في حقها

مغرمة بالسحاق اضحت * تبكي عليه بكل عين
فما تقت في الهتوك الا * تضيق اسحاق في حسين

حكى ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما في السحاق فجذب التي هي من فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الحبال ورجال وقال شيخنا زين الدين بن الوردي في نساء اهل العصر هذا الشعر فقال

قولوا لمن يهوى السحاق الذي * حرمه الله وما فيه خير
اخطأت يا كاملة الحسن اذ * اقمت اشتاق مقام الزبير

قال

وقال آخر

قل لمن تدعي السّحا * ق الى كم تساحقي

ليس يشفي غليلك * من جميع الخلايق

غير ذا الاصلع الفقيـر الحليق الجوالق

وقال ابن سناء الملك

يا هذه لا تستحي * مني قد انكشف المغطى

ان كان كسك قد تاب * ت ان ايري قد تمطى

وقال بعض مشايخ العصر

ايري اذا اندبته * لحاجة تختص بي

قام لها بنفسه * ما هو الا عصبي

وسألني بعض الاصحاب ان انظم له مثل هذا فقلت واستغفر الله واتوب اليه

تأخرت لحيضها * قلت لها تقدمي

ايري هذا عصبي * يدخل معك في الدم

وقال بعض مشايخ العصر

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا * يبادر بالقيام على الحراره

فاصبح لا يقوم لبدر تم * كان النحس قد ولي الوزاره

وقلت انا

يا ايراد من الحبيب مسلما * وانشار نحوك دون كل الناس

فانهض لخدمته ولا تك احمقا * ما في وقوفك ساعة من باس

وقلت ايضا واستغفر الله العظيم من كل ذنب

لما وفي في الصيام الحب تشكى * ايري وقال اشترطما شئت واحتكم

فالامر امرك ما عندي مخالفة * ان صمت صمنا وان افطرت لم نصم

وحكى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان بعد ان رد قول بعضهم

ولقد قال لى صديقى لما * ان رانى اضرنى الافلاس
قم تمسكم بذا العمود فهذا الـ * ـاير يرجى بمثله ويراس
قلت قد كان ذا ولكن دهرى * اهله كلهم لئام خساس
اين من كان عندهم يرفع الايـ * ـر على الراحتين ثم يباس
اين من كان عالما بمقاديـ * ـر الايور الكبار مات الناس

فقال قيل ان الامير فخر الدين بن الشيخ رآى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين بن قيم الشام فكتب تحتها من خلف مثلك مامات وقال آخر

زعموا اننى خسرت عليها * ليت شعرى من اين تلك الخساره
من مغل من ضيعتى من قماشى * من بقايا اموال تلك التجاره
حضرتنى فقام ايرى اذ ذا * ك يحاكى يقطينة او خياره

وقال آخر

ويحك يا ايرى اما تستحى * تخجلنى ما بين جلاسى
تطلع من طوقى كذا عامدا * تنكس العمة عن راسى

وقال بن مطروح

سألت من امرضنى * فى قبلة تشفى الالم
فقال لا لا ابدا * قلت له نعم نعم
فقال غضبا قلت لا * الا سماحا وكرم
قال فبشرا قلت لا * الا على راس علم
قال فخذها بالرضى * منى حلالا وابتسم
فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم

الباب الثلاثون

فى ذكر من اتصف بالعفاف * باحسن الاوصاف * اقول هذا باب عقدناه لذكر اكثر المحبين ميلا * واظهرهم دليلا * واحسنهم سيره * وازكاهم سريره * واعفهم

مع القدره * ولاسيما بنو عذره * الذين هم اشد الناس
غرامًا * واعظمهم هياما * فلذلك قلت واقول العشق
مع العفه في بني عذره كثير * والمقتول عنهم عشقا جم غفير *
فان ذكر احدهم بالعفة فجميل اجميل الصفات *
صادق العزمات * وسنورد من اخباره في هذا المقام
ما يصدق هذه الدعوى * ويحقق ان التسلي بالمحبوب
عن غيره ضرب من السلوى * فمن ذلك ما حكاه محمد بن
جعفر الاهوازي قال مرض جميل بمصر مرضه الذى مات فيه
فدخل عليه العباس بن سهل فقال له جميل ما تقول
في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق
يشهد ان لا اله الا الله قلت اظنه قد نجا وارجو
له الجنة فمن هذا الرجل قال انا فقلت له ما احسبك
سلمت وانت منذ عشرين سنة تشبب ببثينة فقال اني
لفي اول يوم من ايام الاخرة وآخر يوم من ايام الدنيا فلا نالتني
شفاعة محمد يوم القيامة ان كنت وضعت يدي عليها
لريبة قط فما قمنا حتى مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة
ومن غريب ما حكاه الزبير من اخبار جميل
ان بثينة المذكورة من بني عذره وبنو عذره قبيلة مشهورة
بالعشق في قبايل العرب واليهم ينسب الهوى العذرى
لانهم اشد شي خلق الله عشقا قال سعيد
ابن عقبة لاعرابي ممن انت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا
قال عذري ورب الكعبة ثم قال ولم ذلك قال لان في نسائنا
صباحة وفي فتياننا عفة وقال رجل لعروة بن حزام يا هذا
بالله اصحيح ما يقال عنكم انكم ارق الناس قلوبا قال نعم
والله لقد تركت ثلاثين شابا في الحي قد خامرهم الموت

ما لهم داء الا الحب وقال رجل من بني فزاره لرجل من بني عذرة تعدّون موتكم بالحب مزية وفضيلة وانما ذلك ضعف بنية وضيق روية ورق وخور تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال له والله لو رايتم النواظر الدعج * من فوقها الحواجب الزج * من تحتها المباسم الفلج * والشفاه السمر * تفترّ عن الثنايا الغر * لاتخذتموها اللات والعزى ثم انشد

تتبعت مرمى الوحش حتى رمينني * من النبل الا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فيا عجبا للقاتلات الضعائف

وقيل لبعضهم ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تحب فقال

احل الخمار * واحرّم ما وراء الازار * واظهر للحبّ * ما يرضي الرب *

وقال الحافظ ابو محمد الاموي ان امرأة يثق بها حدثته ان فتى علقها وعلقته وشاع امرهما فاجتمعا يوما خاليين فقال لها هلمي نحقق ما يقال فينا فقالت لا والله لا كان هذا ابدا وانا اقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل لبعضهم وقد طال عشقه لجارية من قومه ما انت صانع اذ ظفرت بها ولا يراكما الا الله قال والله لاجعلته اهون الناظرين لا افعل بها خاليا الا ما افعله بحضرة اهلها حنين طويل ولحظ من بعيد واترك ما يكره الرب ويفسد الحب وقيل لآخر ما كنت صانعا لو ظفرت بمحبوبتك فقال ضمها ولثمها وعصيان الشيطان في اثمها * ولا افسد عشق عشرين سنة بلذة ساعة تفني ويبقى حسابها اني اذ فعلت هذا للئيم * ولم يلدني كريم * قلت وممن اتصف من العفاف * باحسن الاوصاف * من الخلفاء هارون الرشيد وذلك انه عشق جارية فلما راودها عن نفسها قالت

ان اباك المربي فتركها وشغف بها حتى كاد يخرج على وجهه فكان ينشد

آرى ماءً وبي عطش شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

فقال له القاضي اوكلما قالت جارية شيئاً تصدق قولها فقال الرشيد ما فوق الخلافة مرتبة فانظر ما احسن عفة الجارية وامتناع هارون الرشيد مع شدة شغفه بها ودخل عليه منصور ابن عمار فاستدناه حتى الصق ركبتيه بركبتيه فقال له منصور يا امير المؤمنين تواضعك في شرفك * احب الينا من شرفك * فقال عظني فقال من عفّ في جماله * وواسى من ماله * وعدل في سلطانه كتبه الله من الابرار فبكى الرشيد وقال زدني فقال لو طلبت شربة ماء فلم تجدها الا بنصف الدنيا أكنت تشتريها به قال نعم فلو تعسرت عليك بعد شربها أكنت تشتري خروجها بالنصف الآخر قال نعم قال قبح الله دنيا تشترى بشربة ماء وبولة وحكى عن السلطان ملك شاه السلجوقي انه حضرت بين يديه مغنية فاعجب بها واستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان العالم اني اغار على هذا الوجه المليح الجميل ان يعذب بالنار وان الحلال ايسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى القاضي وتزوجها واقامت في عصمته حتى مات رحمه الله (وحكى) سهيل اكبر خدم السلطان نور الدين الشهيد ان السلطان المذكور اشترى مملوكاً بخمسمائة دينار وخلعة وبغلة وكان جميل الصورة وسلمه الي وكنت قد بقيت السلطان فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون هذا ما اشترى مملوكاً قط بخمسين ديناراً فلم اشترى هذا بخمسمائة دينار ثم تركني اياماً وقال احضره مع المماليك يقف في الخدمة كل يوم فلما كان بعد ايام قال احضره بعد العشاء الى الخيمة ونم انت واياه

على باب البرج فقلت في نفسي هذا الشيخ في زمان شبابه ما ارتكب كبيرة ولما كبر سنه يقع فيها والله لاقتلنه قبل ان يقع في المعصية فأخذت كتاره فاصلحتها وجئت بالمملوك وانا في قلق فسهرت عامة الليل ونور الدين في اعلى البرج ثم غلبتني عيني فنمت ثم استيقظت فوقعت يدي على وجه الغلام فاذا به مثل الجمره وعليه حمى شديدة فرجعت به الى خيمتي واحضرت الطبيب فمات وقت الظهر فغسلته وكفنته ودفنته فدعاني نور الدين في اليوم الثاني وقال يا سهيل ان بعض الظن اثم فاستحييت فقال قد عرفت حالي وانت ربيتني هل عثرت لي على زلة قلت حاشا لله قال فلم حملت الكتارة وحدثتك نفسك بالسوء ما انا معصوم لما رايت المملوك وقع في قلبي منه مثل النار فقلت اشتريه لعل الله يذهب عني ما انا فيه فلم يذهب فقالت لي نفسي اريد كل يوم ان اراه فأمرتك باحضاره فقالت اريد ان تحضره الى البرج بالليل فأمرتك باحضاره فلما حضر ما تركتني النفس انام وبقينا في حرب الى السحر فهممت ان اصعده الى عندي فتداركني الله برحمته فكشفت رأسي وقلت الهي عندك محمود المجاهد في سبيلك الذاب عن دين نبيك صلى الله عليه وسلم الذي عمر المساجد والمدارس والربط تختم اعماله بمثل هذا فسمعت هاتفا يقول قد كفيناك يا محمود فعلمت انه قد حدث به حدث واما انت فجزاك الله عني خيرا والله ان القتل عندي اهون من المعصية ثم احسن الي (وحكى) عن فاطمة بنت الخثعمي انها دعت عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم الى نفسها للنور الذي رأته بين عينيه فابى وقال

اما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

قلت

فخ كجارة وفي نسخة كجادة والمراد آلة كالمدية

قلت اقصة عبد الله مع فاطمة هذه مثل قولهم في المثل
واحد يشتهي التين وآخر يقطفه فحاله معها كحال توبة مع ليلى الاخيلية وهو
حكى انه راودها عن نفسها فنفرت منه وانشدت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه * وانت لاخرى صاحب وخليل

فكانت كما قيل

جُنِنّا بليلى وهي جُنّت بغيرنا * واخرى بنا مجنونة ما نريدها

ومثل قول الاخر

عَلّقتها عَرَضاً وعَلّقت رجلاً * غيري وعلق اخرى غيرها الرجل

(وممن) اتصف بالعفاف من ذوي الغرام الامام بن الامام محمد
ابن داود الظاهري وله في ذلك حكايات مشهوره وهذا موضع
ايرادها * ونشر ابرادها * فمن ذلك قوله لكل شيء زكاة وزكاة
الوجه الحسن امكان اهل العفة من النظر اليه وحكى محبوبه
محمد وقيل اسمه وهب بن جامع الصيدلاني انه دخل على امير
المؤمنين فسأله عن ابن داود هل رايت منه ما تكرهه فقال
لا يا امير المؤمنين الا اني بت عنده ليلة فكان يكشف عن
وجهي ثم يقول اللهم انت تعلم اني احبه واني اراقبك فيه قال
فما بلغ من رعايتك له فقلت دخلت الحمام فلما خرجت نظرت
في المرآة فاستحسنت صورتي فوق ما عهدت فغطيت وجهي
وآليت ان لا ينظر احد الى وجهي قبله وبادرت اليه فلما رآني
مغطى الوجه خاف ان يكون لحقني آفة فقال ما الخبر فقلت
رايت الساعة وجهي في المرآة فاحببت ان لا يراه احد قبلك
فغشي عليه قال الليث بن سكرة كان محمد بن واسع ينفق على
محمد بن داود وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على
عاشقه ويتقرب الى قلبه بانواع البر الا هذا مع ما هو

فيه من الصبيانه وحسن الديانه فالحمد لله الذي رأينا في زماننا من يتخلق باخلاق الناس ولهذا العاشق مع هذا المعشوق حكاية غريبة اضربت عنها خوف الاطالة وكان محمد بن داود قد وضع كتاب الزهرة لاجل محبوبه محمد بن جامع المذكور وهو مجموع ادب اتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر انيق وقال في اوله وكيف تنكرت من تغير الزمان وانت احد مغيريه * ومن جفاء الاخوان وانت المقدم فيه * ومن عجيب ما تأتي به الايام ظالم يتظلم * وغابن يتندم * ومطاع يستظهر * وغالب يستنصر * ومن كلامه ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتاب * وبدأت في كتاب الزهره وانا في الكتاب * ونظر ابي في اكثره ومن الطف ما حكي عنه انه التقى هو وابو العباس بن سريج في مجلس ابي الحسن بن عيسى الوزير فتناظرا في مسئلة من الايلاء فقال له ابن سريج انت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته احذق منك ان تتكلم في الفقه فقال له محمد بن داود ان قلت ذلك فاني اقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال محرما
واحمل من ثقل الهوى ما لو انه * يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاسي رده لتكلما
رايت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست ارى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن سريج فبم تفخر علي ولو شئت لقلت

ومساهر بالغنج من لحظاته * قد بت امنعه لذيذ سناته
شغفا بحسن حديثه وعتابه * واكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته

فقال محمد احفظ عليه ايها الوزير ما اقر به من الاجتماع حتى يقيم البينه بشاهدي عدل على البراءة فقال له ابن سريج يلزمني

فى هذا ما يلزمك فى قولك انزه فى روض المحاسن مقلتى * واممنع نفسي ان تنال محرما * قال فضحك الوزير وقال لقد جمعتما علما وفهما وظرفا ولطفا (ومن) لطيف ما يحكى عن محمد ايضا ما حكاه ابو القاسم الصائغ قال قال لى محمد بن داود ما دخلت جامع المدينة مما يلى باب خراسان منذ عشرين سنة قلت ولم قال لانى دخلت ذات يوم فرأيت غلامين من احسن الناس وجها يتبعان فلما رأيانى تفرقا فآليت ان لا ادخل من باب كنت فيه السبب فى الفرقة بين المتحابين فدخل على ثعلب فقال له اسمعنا شيأ من صبوتك فأنشد

سقى الله اياما لنا ولياليا * لهن باكناف الشباب ملاعب
اذ العيش غض والزمان بغرة * وشاهد آفات المحبين غايب

ومن شعره

لكل امرئ ضيف يسر بقربه * ومالى سوى الاحزان والهم من ضيف
يقول خليلى كيف صبرك بعدنا * فقلت وهل صبر فيسأل عن كيف

وقال بن السراج فى كتاب مصارع العشاق وعن ابى عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوى قال دخلت على محمد بن داود الظاهرى فى مرضه الذي مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم اورثنى ما ترى قلت له ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح والثانى اللذة المحظورة فانه منعنى منها ما حدثنى ابى قال حدثنى سويد بن سعيد قال حدثنا على بن مسهر عن ابى يحيى العقاف عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله ذنبه وادخله الجنة ثم انشد

انظر الى السحر يجرى فى لواحظه * وانظر الى عج فى ظرفه المساجى

وانظر الى شعرات فوق عارضه * كأنهن نمال دب فى عاج

وانشدنا لنفسه

ما لهم انكروا سواداً بخديـه ولم ينكروا سواد العيون
ان يكن عيب خده بذر الشعـر فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له نفيت القياس فى العفة واثبته فى الشعر فقال غلبة الهوى وملكة النفس دعوا اليه ومات فى ليلته رحمه الله قلت وقد اختلف الناس فى قوله عليه الصلاة والسلام من عشق وكتم وعف الحديث فقال بعضهم كتم عشقه عن الناس وقال بعضهم كتم اسم محبوبه وقال الحصرى لحب فكتم ووصل فعف وهجر فمات فهو شهيد وقال عثمان بن زكريا المؤدب احد رواة الحديث عن سويد كتم محبوبه انه يحبه قال الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاى فى كتابه الواضح المبين هذا حديث اسناده صحيح وان كان جماعة من العلماء اعلوه بما ليس بعلة يرد بها يعنى قوله صلى الله عليه وسلم من عشق فكتم الحديث ونقل فى كتابه المذكور ايضا ان هذا الحديث سنده كالشمس لا مرية فى صحته ولا لبس قلت ولهذا عد جماعة من الفقهاء ميت العشق من الشهداء اخذا بهذا الحديث منهم الرافعى وغيره فبعضهم اشترط الشروط المذكورة وبعضهم اطلق كالشيخ محيى الدين النووى فانه اطلق ولم يشترط شيأ فقال والميت عشقا والميتة طلقا يعنى من الشهداء هذا مع شدته فى الدين وعدم مساهلته فى هذه الاشياء وما احسن قول ابن الاثير دمع العاشق ودم القتيل متساويان فى التشبيه والتمثيل الا ان بينهما بونا لانهما يختلفان لونا وقال الامام العلامة ابو الوليد الباجى

اذا مات المحب جوى وعشقا * فتلك شهادة يا صاح حقا

رواه لنا ثقة عن ثقة * الى الحبر بن عباس نرقي

وقال عبد الكريم القشيري

ان المحب اذا توفي صابرا * كانت منازله مع الشهداء
يروية اقوام عدول في صدقهم * علما وناهيكم بهذا الداء

وقال الحسن بن هاني

ولقد كنا روينا * عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب * ان سعد بن عباده
قال من مات محبا * كان من اهل الشهاده

وقال بن رواحة الحموي واحسن ما شاء

لاموا عليك وما دروا * ان الهوى سبب السعاده
ان كان وصل فالمنى * او كان هجر فالشهاده

وانه عكس قوله هذا فقال

يا قلب دع عنك الهوى واسترح * ما انت فيه حامدا امرا
اضعت دنياي بهجرانه * ان قلت وصلا اضعت الاخرى

وقال آخر

خليلي هل خبرتما او سمعتما * بان قتيل الغانيات شهيد

وقلت كاني حاضر اخاطبه

نعم قد سمعنا ان من كتم الهوى * وعف الى ان مات فهو شهيد
فخذ عن مقال انت فيه مذبذب * فذلك ما قد كنت منه تحيد
سياق الذي يرويه ركب ذوي الهوى * به كل يوم سائق وشهيد
يطوفون بالاحباب خلف بيوتهم * فمنهم قيام حولها وقعود
يعومون في بحر المدامع عندما * تميل بهم سفن الهوى وتميد
اتبكي دوين الغام من عام منهم * وقد خد حولا للبكاء لبيد

قلت وقد انقضى الكلام على هذه الابواب المحكمة العقود * المنقية النقود * المجبورة الكسور * العالية

القصور * مشتملا كل باب منها على بيت قصيد * وبجد
مديد * يسقي ثمر غروسها * ويروي المجدب من طروسها *
بعينين نجلاوين لو رقرقتهما * لنوء الثريا لاستهل سحابها
وما بقي الا ذكر مصارع العشاق * واخبار من اصبح
من المحبين ميتا بالاشواق

ان لم امت في هوى الاجفان والمقل * فوا حيائي من العشاق وا خجلي
ما اطيب الموت في عشق الملاح كذا * لا سيما بسيوف الاعين النجل
يا صاحبيَّ اذا امامت بينكما * دون الشهيين ورد الخد والقبل
فاستغفرا لي وقولا عاشق غزل * قضى صريع القدود الهيف والمقل

وقال بلديّنا محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله

للعاشقين باحكام الغرام رضى * فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا
روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا * عهد الوفا للذي للعهد ما نقضا
قف واستمع راحما اخبار من قتلوا * فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا
راي فحب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

وقال جرير

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن اضعف خلق الله اركانا

وقال آخر

مازال يهوى المقلا * قلبي الى ان قتلا
الحمد لله الذي * مات وما قيل سلا

وقال آخر

ترى المحبين صرعى في ديارهم * كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا * ماتوا فان عاد من يهوونه بعثوا

وقال محمد الواعظ

دعا لومي فلومكما معاد * وقتل العاشقين له معاد

ولو قتل الهوى اهل التصابى * لما ماتوا ولو ردوا العبادوا

* (خاتمة الكتاب) *

فى ذكر من مات من حبه * وقدم على ربه * من صغير وكبير * وغنى وفقير * على اختلاف ضروبهم * وتباين مطلوبهم * ولاجل ذكرهم استسست قواعد هذا الكتاب * ودخلت فيه من باب وخرجت من باب * لاتوصل منه الى ذكر من ساقه الهجر الى السياق وتحمل من العشق ما لا طاقة له به من الباب الى الطاق ومن هنا اشرع فى ذكر مصارعهم * وعرض بضائعهم * اذ منهم الخاسر والرابح * والصالح والطالح *

* (فمنهم شقى وسعيد) *

* (ومنهم قتيل وشهيد) *

* (فمنهم شقى وسعيد) *

حكى ابو الفرج بن الجوزى قال ذكر لى شيخنا ابو الحسن على بن عبد الله ان رجلا عشق نصرانية حتى غلب على عقله فحمل الى البيمارستان وكان له صديق يترسل بينهما فلما زاد به الامر ونزل به الموت قال لصديقه قد قرب الاجل وما القى فلانة فى الدنيا وا خشى ان اموت على الاسلام ولا القاها فتنصر فمات فمضى صديقه الى النصرانية فوجدها عليلة فقالت انا ما لقيت صاحبى فى الدنيا واريد ان القاه فى الاخرى وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم ماتت قلت لم اسمع باغرب من هذه الحكاية * ولا اعظم من هذه النكاية قد سبق على صاحبها الكتاب * وضرب بينه وبين محبوبته بسور له باب * فابتلى من فراق محبوبته ودينه ببلاءين * ودارت عليه دائرة السوء فى الدارين * وكيف لا وقد ورد بكساده فى الحب دار البوار * واصبح بكفره واسلامها على شفى جرف هار *

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

ذكرت بهذه الحكاية قول عبد الوهاب الازدي يرثي حبيبا له نصرانيا واحسن ما شاء حيث قال

اخي بوداد لا اخي بديانة * ورب اخ في الود مثل نسيب
وقالوا اتبكي اليوم من ليس صاحبا * غدا انه هذا فعل غير لبيب
فقلت لهم هذا اوان تلهفي * وشدة اعوالي وفرط نحيبي
ومن اين لي ابكي حبيبا فقدته * اذا خاب منه في المعاد نصيبي

وكان هذا النصراني موسوما بالجمال الخمار فعلقه عبد الوهاب المذكور واشتهر به واقام بباتيته في الحانة ثلاث سنين ويدخل معه الكنيسة في الاعياد والحدود وطول هذه المدة حتى حفظ كثيرا من الانجيل وشرائع اهله وهجره مرة فلم يجد سبيلا اليه وزعم ان عليه قسما شديدا ان لا يكلمه الى مدة شهر فلما يئس دعا بالفاصد فافتصد في احدي يديه ودعا فاصدا آخر فافتصد في اليد الاخرى ودخل داره واغلق باب بيته وفجر الفصادين فما شعر اهله الا والدم يدفع من سدة باب المحل الذي هو فيه فادركوه وقد اشرف على الموت فصالحه محبوبه النصراني خوفا على نفسه ومن شعره فيه

انظر الى الشامة في خد من * الحاظه باللحظ جراحه
كأنها من حسنها اذ بدت * حبة مسك فوق تفاحه

* (ومنهم شهيد) *

ذكر التميمي في كتاب الامتزاج عن ابي زيد النحوي عن رجل من اصحاب الحديث قال دخلت ديرا في بعض المنازل ذكر لي ان فيه راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وايامهم فسرت اليه فوجدته في حجرة وعليه زي المسلمين فسألته عن سبب اسلامه فحدثني انه كان في هذا الدير جارية نصرانية من

بني تغلب كثيرة الاموال وانها هويت غلاماً مسلماً فكانت تبذل اليه الاموال والرغائب والغلام يأبى عليها فلما اعيتها الحيلة اعطت رجلاً مصوراً مائة دينار على ان يصور لها صورة الغلام كهيئته ففعل ذلك فما زالت تأتي كل يوم الى تلك الصورة فتلثم ما تحب منها ثم تجلس بازائها تبكي فاذا امست قبلتها وانصرفت فما زالت على ذلك مدة فتوفي الغلام فعلمت فلحقها عليه وله حتى صارت به مثلا ثم رجعت الى الصورة فلم تزل تلثمها وتقبلها وبكت الى ان امست فباتت الى جانبها فلما اصبحنا وجدناها ميتة ويدها ممدودة على الحائط وقد كتبت عليه

يا موت دونك روحي بعد سيدها * خذها اليك فقد اودت بما فيها
اسلمت روحي للرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها في جنان الخلد يجمعها * يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبة لم تزل تشقى محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاحتملوها ودفنوها الى جانبه واخذ واما لها فبت مغموماً بما آل اليه امرها فرأيتها في المنام فقلت فلانة ما فعل الله بك فقالت

اصبحت في لحة مما جنته يدي * وبت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبي كلها وغدا * قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلد
اثابني رحمة منه واسكنني * مع من هويت جنانا آخر الابد

فعلمت ان الذي صارت اليه خير من الذي انا عليه فاسلمت واسلم معي اهل الدير فكانت رحمها الله السبب

* (ومنهم شهيد) *

وهو ما اخبرنا به الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاي اجازة سنة سبع وخمسين وسبع مائة

بالقاهرة المحروسة قال رأيت في الكتبيين غير مرة شيخا مغربيا وله ولد يكنى ابا يزيد يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة فكان ياتي الكتبيين فيما يزعم ليستكتب شعرا يقوله ليس موزونا ولا معنى له ملخصه ان خاكما من حكامهم اخذ مالا كان والده خلفه وحصل من الاوراق المكتتب فيها هذا الشعر شيئا كثيرا جدا فيما يقال وانه جاء مرة والمحدث في الليل يقرأ سيرة البطال فاستمع اليه فذكر المحدث ان جماعة قتلوا في المعركة فقال له ابو يزيد يا مولاي كيف قتل هؤلاء قال له ماتوا في سبيل الله تعالى فقال مولاي وانا الآخر اموت في سبيل الله تعالى فقال له المحدث افعل قال فتمدد الجانب الحلقة على دكان فحسبوه يتوله فحركوه فاذا هو ميت واشتهر هذا وحكاه لي غير واحد ممن شاهده

* (ومنهم شهيد) *

ذكر بن داود في كتاب الزهرة ان فتى يقال له امرؤ القيس هوى فتاة من حيه فلما علمت محبته لها هجرته فزال عقله واشرف على التلف . وصار رحمة للناس فلما بلغها ذلك اتت فاخذت بعضادتي الباب وقالت كيف تجدك يا امرأ القيس فقال

ولما رأتني في السياق تعطفت * علي وعندي من تعطفها شغل
اتت وحياض الموت بيني وبينها * وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل

ثم اغمي عليه فمات

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر السراج بن العلاء بن عبد الرحمن التغلبي قال كان رجل من اهل الادب والطرب يقال له علي عشقته جارية من جواري القينات وواصلته فكان يظهر لها ما ليس في قلبه وكانت الجارية على غاية العشق له والميل اليه فلم يزل الامر على ذلك حتى ماتت الجارية عشقا ووجدا به فذكرها بعد ذلك واسف على ما كان من جفائه لها

واعاض

واعراضه عنها فرآها في المنام ليلة وهي تقول له

اتبكي بعد قتلك لي عليّ * فهلّا كان ذا اذ كنت حيّا
سكبت دموع عينك لي وفاء * ومن قبل الممات تسيء اليّا
فيا قمرا برى جسمي وروحي * واهلكني وما ابقا عليّا
اقل من النياحة والمراثي * فاني لا اراك صنعت شيّا

قال فزاد ما كان عليه من الاسف والغمّ والبكاء حتى فاضت نفسه فمات رحمه الله

* (ومنهم قتيل) *

اخبرنا الشيخ علاء الدين مغلطاي في التاريخ المذكور اجازة قال حدثني طقطاي مملوك نايب الكرك الساكن بالخرنفش ان اخاه تزوج امرأة اسمها قطلوملك وانها كانت تجد به وجدا شديدا وولدت له ولدا واقامت عنده مدّة سنين فحنث فيها يوما فلمّا بلغها ذلك القت نفسها من سطح دارها اسفا عليه وعشقا فلم تدرك الا وهي مادّة اصبعها بالتشهّد واستشهد بصهره علاء الدين استاذ دار نايب الكرك وغيره من الساكنين هناك فقالوا نعم هي قصة معروفة في تلك الحاره شهدها الرجال والنساء ومكثوا حينا يأسفون عليها ويبكون وكذلك زوجها اشتد حزنه واسفه لفقدها وندم على طلاقها ندما شديدا

* (ومنهم شهيد) *

ذكر ابو القاسم التنوخي انه كان ببغداد صوفي يعرف بابي الفتح الاعور يجلس في مجلس ابي عبد الله البهلول يقرأ بالالحان قراءة حسنة وصبي يقرأ ولم نعمّر كما يتذكر فيه من تذكر فزعق الصوفي بلي بلي دفعات واغمي عليه طول المجلس وتفرق الناس عن الموضع وكان الاجتماع في صحن دار كنت انزلها فلم يفق الصوفي الحان قرب العصر ثم قام فلمّا كان بعد ايام سألت عنه فعرفت

انه حضر عند جارية في الكرخ تقول في القضيب

وجهك المأمول حجتنا * يوم تأتي الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره الى ان أغمي عليه وسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا فغسلوه ودفنوه قال التنوخي واستفاض الخبر بهذا وشاع واخبر به جماعة من الناس والابيات لعبد الصمد بن المعذل وهي

يا بديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج

ان بيتا انت ساكنه * غير محتاج الى السرج

وجهك المأمول حجتنا * يوم تأتي الناس بالحجج

قال والصوفية اذا قالوا وجهك المأمول حجتنا نقلوه الى ما لهم في ذلك من المعاني وكانت قصة هذا الرجل وموته سنة خمسين وثلثمائة وامره من مفردات الاخبار

* (ومنهم قتيلان) *

قال الجاحظ طلب المتوكل رجلا للتأديب ولده فذكروني له فأحضرني بين يديه فلما رأى قبح صورتي كره النظر الي وامر لي بعشرة الاف درهم فأخذتها وخرجت من عنده فلقيت محمد بن اسحاق بن ابراهيم الموصلي وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض علي الخروج معه والانحدار في حراقته وكنا بسر من رأى فركبنا في الحراقة وكانت دجلة في غاية الزيادة والمد فدعا بالغدا فأكلنا ثم امر بالنبيذ والغناء فاشتدته ان لا يفعل فأبى ومد الستارة بيننا وبين جواريه فغنت جارية عواده ما سمعت احسن من صوتها ولا احذق منها بصناعة الغناء وطرائقه تقول برفيع صوتها

كل يوم قطيعة وعتاب * ينقضي دهرنا ونحن غضاب

ليت شعري انا خصصت بهذا * دون ذا الخلق ام كذا الاحباب

ثم سكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمة للعاشقينا * ما ان اری لهم معينا
كم يعذلون ويهجرو * ن ويبعدون فيصبرونا
وتراهم مما بهم * بين البرية خاضعينا
يتعذبون ويظهرون * تجلداً للعاشقينا

فقالت لها القوادة يا فاجره فيصنعون ماذا قالت يصنعون هكذا وضربت بيديها في الستارة فهتكتها وبدرت علينا كالقمر ثم القت نفسها في الماء وكان علی راس محمد غلام رومي الجنس يضاهيها في الحسن والجمال وبيده مذبة يذب بها فلما رای ما صنعت الجارية القی المذبة من يده واتی الی الموضع الذي طرحت نفسها منه ونظر اليها وهي تمر بين الماء فقال

انت التي عرفتني * كيف القضا لو تعلمينا
لا خير بعدك في البقاء * والموت ستر العاشقينا

ثم القی نفسه في اثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقان ثم غاصا فلم يرا احد منهما فاستعظم محمد ذلك وهاله الامر ثم قال يا عمرو لتحدثني حديثا تسليني به عن فعل هذين والا الحقتك بهما قال فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان راي امير المؤمنين ان يخرج الی جاريته فلانة تغني ثلاثة اصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وامر من يخرج اليه وياتيه براسه ثم اتبع الرسول برسول آخر يامره بان يدخل اليه الرجل فادخله فلما وقف بين يديه قال له ما الذي حملك علی هذا . قال الثقة بحلمك والاتكال علی عفوك قال فامره بالجلوس بعد ان لم يبق احد من بني امية حتی خرج ثم امر بها فخرجت ومعها عودها قال لها الفتی غني

افاطم مهلاً بعض هذا التذلل * وان كنت قد ازمعت هجرى فاجملى
قال فغنت قال له يزيد قل الثانى فقال لها غنى
تألق البرق نجديا فقلت له * يا برق انى بروحى عنك مشغول
قال فغنته فقال له يزيد قل الثالث قال تأمرلى برطل من شراب فأمرله به فلما شربه اشار اليها بأبيات فغنتها ثم انه وثب وصعد على قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون اكان الاحمق نظن انى اخرج اليه جاريتى تغنيه واردها الى ملكى يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى اهله ان كان له اهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى اهله فلما توسطت الدار ونظرت الى الحفرة فى وسط دار يزيد قد اعدت للمطر فجذبت نفسها من بين ايديهم وانشدت

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير فى عشق بلا موت

والقت نفسها فى الحفرة على دماغها فماتت

* (ومنهم قتيل) *

حكى ابن عبد ربه فى العقد الفريد عن محمد بن الحجاج وكان راوية بشار قال قال بشار ذات يوم وكان قد مات له حمار قبل ذلك رايت حمارى البارحة فى النوم فقلت له ويلك مالك مت قال لانك ركبتنى يوم كذا وكذا فمررنا على باب الاصبهانى فرايت اتانا عند بابه فعشقتها فمت وانشدنى

سيدى همت اتانا * عند باب الاصبهانى
تيمتنى يوم رحنا * بثناياها الحسان
وبغنج ودلال * سل جسمى وبرانى
ولها خد اسيل * مثل خد الشيقران
فبها مت ولو عشت * اذا طال هوانى

الشنفرانى

فقال له رجل من القوم يا ابا معاذ ما الشيقراني قال هذا من لغة الحمير فاذ القيتم حمارا فسلوه قلت وذكر جماعة من اهل السير من حديث عبد الله بن حبيب الهذلي عن ابي عبد الرحمن السلمي عن ابي منصور وكان له صحبة ان النبيّ صلى الله عليه وسلم لما فتح الله تعالى عليه خيبر اصاب حمارا اسود فكلم النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال النبي ما اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبهم الا نبيّ ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام غيرك وانا اتوقعك ان تركبني وكنت قبلك لرجل من اليهود فكنت اعثر به عمدًا فكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد سميتك يعفور تشتهي الاتان قال لا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يركبه في حوائجه واذا نزل عنه بعث به في حاجته فيأتي باب الرجل فيدفعه برأسه فاذا خرج صاحب الدار عرفه واتى به النبي صلى الله عليه وسلم فلما قبض عليه الصلاة والسلام جاء الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى فيها جزعًا على النبي صلى الله عليه وسلم فصارت قبره

* (ومنهم قتيل) *

قال محمد بن هارون حدثني فيما اذكره السراج قال اشتريت زوج بط فذبحت الذكر وتركت الانثى تحت المكبة فجعلت تضطرب تحت المكبة حتى كادت ان تقتل نفسها فقلت ارفعوا عنها المكبة فرفعت فجاءت فلم تزل تضطرب في دم الذكر حتى ماتت وقال ابو عبد الله محمد بن محمد التميمي في كتاب امتزاج النفوس ليس في جميع الطير اوفى من القمري والقمرية وذلك انه اذا مات احد الزوجين تعزب الآخر بعده ولا يأنس الى غيره ولا يألف رفيقا ولا يزال باكيا فردا الى ان يموت

* (ومنهم قتيل) *

ذكر الكيحى فى تاريخ القدس عن ابراهيم بن فاتك قال بينما سمنون يتكلم فى المحبة فى المسجد اذ جاء طائر صغير فقرب منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى علا على يده ثم ضرب بمنقاره الارض فسال منه الدم ثم مات

(ومنهم شهيد)

ذكر العتبى قال جلست يوما وعندى جماعة من اهل الادب فنزع بنا الحديث الى اخبار العشاق وفى الجماعة شيخ ساكت فسئل فقال كانت لى ابنة وكانت تهوى شابا ولا نعلم بذلك وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتى فحضرت فى بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكا

فقال لها احسنت يا سيدتى اتاذنين لى ان اموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فنام وغمض عينيه ومات فانصرفنا مهمومين الى منازلنا فاخبرت اهلى بما كان من شأن الفتى فلما سمعت ابنتى كلامى نهضت الى مجلس لنا مبادرة فانكرت ذلك منها فقمت فوجدتها توسدت كما كنت وصفته عن الفتى فحركتها فاذا هى ميتة فاخذنا فى جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة الشاب فاذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هى جنازة القينه بلغها قول ابنتى ففعلت مثل ما فعلت فماتت فدفنا الثلاثة فى يوم واحد

(ومنهم شهيدان)

ذكر الشيزرى فى روضة العشاق انه كان بعمورية راهب يسمى عبد المسيح اسلم فسئل عن اسلامه فقال كان عندنا شاب فهوى جارية نصرانية تبيع الخمر فكان لا يبرح ناظرا اليها فلما علمت به سلطت عليه الصغار يضربونه ويصيحون عليه فكانت تفعل به

ذلك كل يوم فلما علمت صدقه دعته الى نفسها حراما فابى
فعرضت عليه التنصر ويتزوجها فابى فسلطت عليه الصغا
فاثخنوه قتلا قال عبد المسيح فادركته وهو يقول اللهم اجمع
بيننا فى الجنة ومات فلما كان من الليل رأت الجارية الشاب
قالت فاخذ بيدي وانطلق بي الى الجنة فلما اردت ادخلها
منعت لاجل الكفر قالت فاسلمت ودخلت معه فرأيت شيئاً
عظيما ورأيت قصرا من الجوهر فقال هذا لي ولك وانا لا ادخله
الا بك والى خمس ليال تكونين عندي فلما استيقظت اسلمت
وجلست عند قبره وماتت فى الليلة الخامسة فكان ذلك
سبب اسلامي

* (ومنهم قتيـــل) *

ذكر ابو محمد عبد الحق ان رجلا كان واقفا بازاء داره وكان يشبه
الحمام فمرت به امرأة جميلة وهي تقول اين الطريق الي حمام منجاب
فاشار اليها به فلما دخلته دخل معها فلما رأت ذلك اظهرت له السرور
وقالت تشتهي ان تكون معنا ما يطيب به عيشنا فخرج مبادرا
ليأتيها بما سألت وغفل عن الباب فلما جاء وجدها قد خرجت
فكثر ولهه بها فكان يمشي في الطريق ويقول
يا رب قايلة يوما وقد جهدت * كيف الطريق الى حمام منجاب
وبقي على ذلك مدة حتى جاوبته امرأة من طاق
قرنان هلا جعلت اذ ظفرت بها * حرزا على الدار او قفلا على الباب
فزاد هيمانه * واشتد هيجانه * ولم يزل كذلك بالبصرة حتى
حضرته الوفاة فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول يا رب
قايلة يوما البيت حتى مات

* (ومنهم شهيـد) *

ذكر ابو القاسم الشروطي في كتاب التسلي عن ابي الفرج الصوفي

وغيره انه كان عندهم رجل صوفي يعرف بابي القاسم الشوآء وكانت له عنيزات يرعاهن وقال بعضهم انه لم يكن يحضر معهم مجالس السماع ويجذبونه الى ذلك ولم يكن له رغبة في ذلك قال فبينما هو يرعي يوماً عنيزاته اذ سمع صبيا من صبيات الصحرآء يغني في حقل

ان هواك الذى بقلبي * صيرني سامعاً مطيعا
اخذت قلبي وغمض طرفي * سلبتني العقل والهجوعا
فاردد فوآدي وخذ رقادي * فقال لا بل هما جميعا
فراح مني بجانبيه * وبت تحت الهوى صريعا

قال فاعتراه طرب شديد فقال الصبي واقبل نحوه كيف قلت فقال جيد وكان يقال له حميد الفاخوري فتردد اليه ثلاثة ايام وهو يردد عليه هذه الابيات ثم تخلف في منزله عليلا لا يصح فوآدي فوآدي الى ان قضى عليه

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر المفضل الضبي عن كامل انه عشق اسماء بنت عبد الله بن مسافر ابنة عمه فلم يزل به العشق الى ان صار كالشن البالي فشكا ابوه الى ابيها خالد فام يحمله الى داره ليزوجها به ولم يعلم كامل فلما علم قال وان اسماء لتسمع قيل نعم فشهق شهقة قضى مكانه فقيل لها مات بشجنه قالت والله لاموتن بعده بمثله ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني منها قبح ذكر الريبة ومرضت فلما اشتد مرضها قالت لا شفق نسائها عليها صوري لي مثاله فاني احب ان ازوره قبل موتي ففعلت فلما وصلت الصورة اليها اعتنقتها وشهقت فماتت فطلب ابو الفتاة الى ابيه ان يدفنها الى جانب قبر ابنه ففعل وكتب على قبريهما

بنفسي هما ما متعا بهواهما * على الدهر حتى غيبا في المقابر

اقاما على غير التزاور برهة * فلما اصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبر اُحبّه * ويا زورة جاءت بريب المقادر

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر مصعب بن الزبير ان مالك بن عمرو الغسّانى تزوّج بنت عم النعمان بن بشير وكلف كل واحد منهما بصاحبه وكان ملكا شجاعا فاشترطت عليه ان لا يقاتل شفقة عليه وضنّا به فباشر القتال فاصابته جراحة فقال وهو منقل منها

الا ليت شعرى عن غزال تركته * اذا ما اتاه مصرعى كيف يصنع
فلو انني كنت المؤخر بعده * لما برحت نفسى عليه تقطّع

ومكث يوما وليلة ومات فلما وصل خبره الى زوجته بكته سنة ثم اعتقل لسانها وامتنعت من الطعام والكلام وكثرت خطابها فقال من يلى امرها زوّجوها لعل لسانها ينطلق ويذهب حزنها فانما هى من النساء فزوجوها بعض ابناء الملوك فساق لها الف بعير فلما كانت الليلة التى اهديت اليه فيها قامت على باب القبة وقالت

يقول رجال زوجوها لعلها * تقرّ وترضى بعده بخليل
فاخفيت فى النفس التى ليس بعدها * رجاء لهم والصّدق افضل قيل
وحدّثنى اصحابه ان مالكا * صروم كماضى الشفرتين صقيل

فلما فرغت من انشاد الشعر شهقت شهقة فماتت

* (ومنهم شهيدان) *

قال احمد بن محمد الغنوى فيما ذكره فى ذم الهوى دخلت الكوفة فجاءنى ظرفاؤها فقالوا ههنا فتيان تحابا وقد اعتل احدهما فنريد ان نعوده فذهبت معهم ليعودوا العليل ونعود الصحيح فوجدنا فتى ملقى على سرير وآخر متكئا عليه يذب عنه وينظر فى وجهه فلما رآنا فرج لنا عن صاحبه فجلس اصحابى

حول العليل وجلست بازاء الصحيح فكان العليل اذا قال أوه
قال الصحيح أوه فاذا قال العليل أوه من فخذي قال الصحيح
أوه من فخذي واذا قال أوه من يدي قال الصحيح أوه من
يدي الى ان قالوا قد قضى رحمه الله فشد اصحابي لحيي العليل
وشددت لحيي الصحيح وما برحنا حتى دفناهما

(ومنهم شهيد)

قال ابو مسهر كان وضاح اليمن والمقنع الكندي وابو زبيد
الطائي يردون مواسم العرب متبرقعين يسترون وجوههم
خوفا من العين وحذرا على انفسهم من النساء لجمالهم وكان
وضاح اليمن هو وام البنين بنت عبد العزيز بن مروان صغيرين
فاحبها واحبته وكان لا يصبر عنها فلما تزوجت بالوليد بن
عبد الملك ذهب عقل وضاح فلما طال عليه البلاء خرج الى
الشام فجعل يطوف تحت قصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم
ولا يجد حيلة حتى رأى يوما جارية صفراء فلم يزل يكلمها
ويأنس بها الى ان قال لها هل تعرفين ام البنين قالت انك
لتسأل عن مولاتي فقال انها لابنة عمي وانها لتسر بموضعي لو
اخبرتها قالت نعم فاني لاخبرها فمضت الجارية فاخبرت ام البنين
فقالت ويلك هو حي قالت نعم قالت قولي له كن بمكانك حتى
يأتيك رسولي ثم انها ادخلته في صندوق فمكث عندها
حينا اذا امنت اخرجته فيقعد معها واذا عبر رقيب ادخلته
الصندوق واهدي يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه
خذ هذا الجوهر فامض به الى ام البنين قال فدخل الخادم
من غير ان يستأذن ووضاح معها فلمحها ولم تشعر ام البنين
فادى الخادم الرسالة وقال لها هبي لي من هذا الجوهر حجرا فقالت
لا ام لك وما تصنع انت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد

فاخبره بما راى ووصف له الصندوق الذى راى وضاحا دخله فقال له كذبت لا ام لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل عليها وهي في ذلك البيت وفيه عدة صناديق فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذى وصفه له الخادم فقال لها يا ام البنين هبي لي صندوقا من صناديقك قالت يا امير المؤمنين هي لك وانا لك ايضا فقال لا اريد هذا الصندوق الذي تحتي فقط فقالت ان فيه شيئا من امور النساء قال ما اريد غيره فقالت هو لك فامر به فحمل ثم دعا بغلامين فامرهما بحفر بئر فحفرا حتى بلغا الماء فوضع فمه على الصندوق وقال قد بلغنا عنك شيء فان كان حقا فقد دفنا خبرك ودرسنا اثرك وان كان كذبا فما علينا في دفن صندوق من خشب حرج ثم امر به فالقي في الحفرة وامر بالخادم فقذف به فوقه وطم عليهما جميعا التراب قال ابو مسهر فكانت ام البنين لا تزال توجد في ذلك المكان تبكي الى ان وجدت فيه يوما مكبوبة على وجهها ميتة وذكر المعافى بن زكريا ان الخليفة الفاعل لذلك هو يزيد بن عبد الملك وفيه نظر

* (ومنهم شهيد) *

ذكر الشيزري في كتاب روضة القلوب انه راى بحلب سنة خمس وستين وخمسمائة رجلا تركيا له جارية رومية يهواها وانها احبت شابا خياطا فعملت الحيلة في وصاله فلم تقدر فطلبت من سيدها ان يعتقها ويتزوجها ففعل ثم اراد تزويجها فانتظرته حتى ارسلت الى الخياط فتزوجته عند القاضي محيي الدين ابي حامد محمد بن محمد الشيزري فلما بلغ التركي ذلك صاح صيحة عظيمة ثم اختلط ذهنه ووسوس فحمل الى البيمارستان فاقام مقيدا بالحديد خمسة ايام

لا يأكل ولا يشرب حتى مات فى تلك الايام

* (ومنهم شهيد) *

عن الحسن قال كان شاب على عهد عمر ملازما للمسجد والعبادة فعشقته جارية فاتته فى خلوة فكلمته فحدثت نفسه بذلك فشهق شهقة غشى عليه فجاء عم له فحمله الى بيته فلما افاق قال يا عم انطلق الى عمر فاقرأه منى السلام وقل ما جزاء من خاف مقام ربه فانطلق عمه فاخبر عمر فقال جنتان فلما بلغه ذلك شهق شهقة فمات رحمه الله

* (ومنهم شهيد) *

قال احمد بن ابى الحوارى فيما ذكره الخطيب بينما انا فى بعض طرقات البصرة اذ سمعت صعقة فاقبلت نحوها فرأيت رجلا مغشيا عليه فقلت ما بال هذا قالوا سمع آية من كتاب الله فقلت وما هى قالوا قوله تعالى الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال احمد فافاق عند سماعها وهو يقول

الم يأن للهجران ان يتصرما * وللغصن غصن البان ان يتكلما
وللعاشق الصب الذى ذاب وانحنى * اما آن ان يبكى عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحى * كتابا حكى نقش الوشى المتمما

ثم خر مغشيا عليه فحركناه فاذا هو ميت

* (ومنهم شهداء) *

عن صالح المرى قال قدم علينا محمد بن السماك مرة فقال ارنى عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل فى بعض الاحياء فى خص له فاستأذنا عليه فاذا هو رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال فى اعناقهم فشهق شهقة فاذا هو قد يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فاستأذنا عليه فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا تبارك وتعالى فاذا رجل جالس فى مصلى له فقرأت

ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة وندر الدم من منخريه ثم جعل يتشحط في دمه حتى يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله قال صالح حتى ادرته على ستة انفس كل نخرج من عنده وهو على هذه الحال ثم اتيت به السابع فاستأذنا فاذا امرأة من وراء خص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا الشيخ فانجالس في مصلاه فسلمنا فلم يعقل سلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما قال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره يصيح بصوت ضعيف ثم انقطع فقالت امرأته اخرجوا عنه فانكم لا تنتفعون به فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد فاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى واما الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاثة ايام عقل

* (ومنهم شهداء) *

ذكر ابن ابي الدنيا عن خليد قال كررت ليلة هذه الآية كل نفس ذائقة الموت فنادي مناد كم تردد هذه الآية فلقد قتلت بها اربعة نفر من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء حتى ماتوا

* (ومنهم شهيد) *

قال محمد ابو يحيى التميمي كان يختلف معنا شاب من النساك يقال له ابو الحسين الى مسعر بن كدام وكان معه فتى حسن الوجه يفتتن الناس اذا راوه فاكثر الناس القول فيه وفي صحبته اياه فمنعه اهله صحبته وكلامه فذهل عقل ابي الحسين حتى خشي عليه التلف فبلغ ذلك مسعرا فقال لي قل له لا تقربني ولا تأت مجلسي فاني له كاره فاخبرته بذلك فتنفس الصعداء ثم انشا يقول

يا من بدائع حسن صورته * تثني اليه اعنة الحدق
لي منك ما للناس كلهم * نظر وتسليم على الطرق

لكنهم سعد وابا منهم * وشقيت حين اراك بالغرق
قال ثم صرخ صرخة فاذا هو ميت رحمة الله عليه

* (ومنهم قتيل) *

ذكر الشيزري رحمه الله في كتاب روضة القلوب انه رأى بحماة مؤدبا يقال له الوردي واصله من حمص وكان فاضلا شاعرا في فنه فافتتن بصبي من صبيانه وهام به الى الغاية حتى لم يبق يصبر عنه اللحظة الواحدة فبلغ ذلك اباه فمنع الصبي من المضي اليه ثم انه ارسله الى مؤدب آخر غيره وكان عدو له فاشتد ما به من الغرام والهيام ثم انه الجأته الضرورة الى ان كتب الى ابيه يستعطفه فاجابه بانه متى ذكره شكاه للسلطان فلما قرأ الرقعة اطرق الى الارض ساعة واحمرت عيناه ووجهه حتى كاد يقطر منه الدم ثم جاشت نفسه وجاءه القئ فخرج مبلبلا الى باب المسجد فتقيأ قيأ اسود ومضى الى بيته والدم يخرج من حلقه ساعة بعد ساعة فجئ له بطبيب فاخبر ان كبده تفطرت فعالجه فلم ينقطع الدم ومات في اليوم الرابع

* (ومنهم قتيل) *

قال ابن الجوزي كان ببغداد سنة ثمانين واربعماية غلام يقال له ابن الرواس يهوى امرأة فماتت فحزن عليها وبقي لا يطعم ثم خنق نفسه فمات

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر العتبي عن الاخفش سعيد بن مسعدة صاحب النحو قال خرجت في سفر فنزلنا على ماء لطيّ فبصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها فاذا فيها شاب على فراش كانه الخيال فلما ابصرني انشا يقول

الا ما للحبيبة لا تعود * ابخل بالحبيبة ام صدود
مرضت فعادني عواد قومي * فمالك لم تري فيمن يعود

فلو كنت المريض ولا تكونى * لعدتكم ولو كثر الوعيد
وما استبطأت غيرك فاعلميه * وحولى من ذوى رحمى عديد
قال ثم اغمى عليه فمات فوقعت الصيحة فى الحى فخرج
من آخر الماء جارية كأنها فلقة قمر فتخطت رقاب الناس حتى
وقعت عليه فقتلته وانشأت تقول
عدانى ان اعودك يا حبيبى * معاشر فيهم الواشى الحسود
اذاعوا ما علمت من الدواهى * وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ حللت ببطن ارض * وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لى الدنيا فواقا * ولا لهم ولا اثر جديد
قال ثم شهقت شهقة فخرت ميتة فخرج من بعض
الاخبية شيخ فوقف عليهما وقال والله لئن كنت لم اجمع
بينكما حيين لاجمعن بينكما ميتين ودفنهما فى قبر واحد

* (ومنهم شهيد) *

قال ذو النون المصرى فيما ذكره عبد الله محمد بن جعفر القنطرى
فى اماليه بينا انا فى ساحل البحر اذ بصرت بجارية عليها اطمار
شعر فاذا هى ناحلة ذابلة فدنوت لاسمع ما تقول فرايتها
متصلة الاحزان فلما عصفت الرياح واضطربت الامواج
وظهرت الحيتان صرخت ثم سقطت الى الارض فلما افاقت
قالت سيدى لك تقرب المتقربون فى الخلوات ولعظمتك
سبحت الحيتان فى البحار الزاخرات ولجلال قدسك تساقطت
الامواج المتلاطمات انت الذى سجد لك سواد الليل وبياض
النهار فى الفلك الدوار والبحر الزخار والنجم الزهار وكل شئ
عندك بمقدار لانك العلى الغفار ثم انشأت تقول
يا مؤنس الابرار فى خلواتهم * يا خير من حطت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متيما * فرح الفؤاد وحشوه بلبال

فقلت لها عسى ان تزيدينا من هذا فقالت اليك عني ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت

احبك حبين حب الوداد * وحبا لانك اهل لذاكا
فاما الذي هو حب الوداد * فحب شغلت به عن سواكا
واما الذي انت اهل لـه * فكشفك للحجب حتى اراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فاذا هي ميتة فبقيت اتعجب مما رايت منها فاذا انا بنسوة قد اقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عني فغسلنها ثم اقبلن بها في اكفانها فقلن لي تقدم فصل عليها فصليت عليها وهي خلفي ثم احتملنها ومضين

* (ومنهم شهيد) *

عن حماد المراكبي فيما ذكره المعافي في كتاب الاندلس قال وصفت للمامون جارية بكل ما توصف امراة من الكمال والجمال فبعث في شرائها فاتي بها وقت خروجه الى بلاد الروم فلما هم ليلبس درعه خطرت بباله فامر فخرجت اليه فلما نظر اليها اعجب بها واعجبت به فقالت ما هذا قال اريد الخروج الى بلاد الروم . فقالت قتلتني والله يا سيدي ثم جرت دموعها على خدها كاللؤلؤ وانشات تقول

سادعو دعوة المضطر ربا * يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله ان يكفيك حربا * ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضمها المامون الى صدره وانشا متمثلا بقول

فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها * واذ هي تذري الدمع منها الانامل
صبيحة قالت في العتاب قتلتني * وقتلي بما قالت هناك تحاول

ثم قال لخادمه يا مسرور احتفظ بها واكرم محلها واصلح لها كلما تحتاج اليه من المقاصير والخدم والجواري الى وقت رجوعي

فلولا

فلولا ما قال الاخطل

قوم اذا حاربوا شدّوا مآزرهم * دون النسآء ولو باتت باطهار

لكان لي ولها شان ثم خرج فلم يزل يتقاعدها ويصلح من حالها ما امره به فاعتلت الجارية علة شديدة اشفق عليها منها وورد نعي المامون فلمّا بلغها ذلك تنفّست الصعدآء وانشأت وهي تجود بنفسها

ان الزمان سقانا من مرارته * بعد الحلاوة انفاسا واردانا

ابدى لنا تارة منه فاضحكنا * ثم انثنى تارة اخرى فابكانا

انا الى الله فيما لا يزال لنا * من القضاء ومن تلوين دنيانا

دنيا نراها ترينا من تصرّفها * ما لا يدوم مصافاة واحزانا

ونحن فيها كانا لا نزايلها * للعيش احياؤنا يبكون موتانا

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر ابو الحسن القارى ان على بن صالح ذكر له ان جارية من جواري القيان عند اهل البصرة كانت تميل اليه وتحبه وتكلف به وكانت موصوفة بالادب شاعرة فكره مراسلتها فحضر يوما عند بعض اهل البصرة وكانت عنده قال فلمّا طاب عيشنا في يومنا فلم التفت اليها فاطرقت هي ايضا فلم تنظر اليه ثمّ دعت بدواة فكتبت على منديل كان معها ثم تغفلت اهل المجلس والقت المنديل فاخذه فاذا فيه

لعلّ الذي ابلى بحبك يا فتى * يردّك لي يوما الى الحسن الجميل

قال على فما هو الا ان قرأت الشعر حتّى وجدت في قلبي منها مثل النار فقمت وانصرفت خوفا من الفضيحة ثمّ لم ازل اعمل الحيلة في ابتياعها من حيث لا تشعر فتيسّر ذلك حتى ملكتها فلم اوثر عليها احدا من حرمي ولا اهلي ولم يبق عندي شيء يعد لها فتوفيت فانا لا عيش ولا سرور بعدها والله

بعد هذا الكلام الا اياما يسيرة حتى مات اسفا عليها وكمدا فدفن الى جانبها ومما يحسن هنا

قفي لخبرك ما صنع الغرام * عشية قوضت تلك الخيام
سروا والليل في ثوبي حداد * وقد القي مراسيه الظلام
وقد هتكوا الاكلة عن بدور * كوامل لا يفارقها التمام
وفي الاحداج ذو لعس لماه * لنا كاس وريقته مدام
رمي وقلوبنا الاغراض فانظر * بعينك هل يطيش له سهام

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر المرزباني عن ابي الحسن علي بن الحسين الصوفي المعروف برباح قال حدثني بعض اصدقاءي انه دخل بيما رستانا ببغداد فرأى شابا حسن الوجه نظيف الثياب جالسا على حصير نظيف وعن يساره مخدة وفي يده مروحة والى جانبه كراز فيه ماء فسلمت عليه فرد احسن سلام فقلت له هل لك من حاجة قال نعم اريد قرصتين عليهما فالوذج قال علي فمضيت وجئته بذلك وجلست مقابله حتى اكل ثم قلت له هل بقي لك من حاجة قال نعم ولا اظنك تقدر عليها فقلت اذكرها فلعل الله تعالى ان ييسرها قال تمضي الى نهر الدجاج الى درب احمد الدهقان الى دار على باب زقاق الغفلة فاطرق وقل ان فلانا قال لك

سر للحبيب وقل له * مجنونكم من اخله

قال فمشيت وسألت عن الدرب والزقاق قال فطرقت الباب فخرجت الي عجوز فابلغتها الرسالة فدخلت وغابت ساعة ثم خرجت فقالت

ارجع اليه وقل له * عليلكم من اعله

فرجعت الى الفتى فاخبرته بالجواب فشهق شهقة فمات وعدت

الى القوم فاخبرتهم بذلك فوجدت الصراخ فى الدار وقد ماتت الجارية

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر الاصمعى انه رأى بالبادية رجلا قد دق عظمه ونحل جسمه ورق جلده فتعجبت منه ودنوت منه لأسأله عن حاله فقالوا اذكر له شيأ من الشعر يكلمك فقلت

سبق القضاء بانني لك عاشق * حتى الممات فاين منك المذهب

فشهق الفتى شهقة ظننت ان روحه قد فارقته ثم انشا يقول

اخلو بذكرك لا اريد محدثا * وكفى بذلك نعمة وسرورا

ابكى فيطربنى البكاء وتارة * يأبى فيأتى من احب اسيرا

فاذا اتى سبح بفرقة بيننا * أعقبت منه حسرة وزفيرا

فقلت له اخبرنى عنك فقال ان كنت تريد علم ذلك فاحملنى والقنى على باب تلك الخيمة ففعلت فانشا يقول بصوت ضعيف

الا ما للمليحة لا تعود * ابخل ذاك منها ام صدود

فلو كنت المريضة كنت اسعى * اليك ولم ينهنهنى الوعيد

فاذا جارية مثل القمر قد خرجت فالقت نفسها عليه فاعتنقا وطال ذلك وسترتهما بثوبى خشية ان يراهما الناس فلما خفت عليهما الفضيحة فرقت بينهما فاذا هما ميتان فسألت عنهما فقيل هذا عامر بن غالب وهذه جميلة ابنة عمه قال الاصمعى فتركتهما وانصرفت ذكرهما الحافظ احمد بن محمد بن على الآبنوسى فى اخباره

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر ابن دريد عن الرقاشى قال قال عسكر بن الجميح الاسدى كان لى صديق من الحى وكان شابا جميلا يعشق ابنة عم له وكانت له محبة وكانت هيبة عمه تمنعه ان يخطبها فحجبت عنه فكان يأتينى فيشكو شوقه الى فما لبث ان مرض عمه

مرضا شديدا فكان الفتى يدخل اليه فيشتفي بالنظر اليها ثم يخرج الى مسرورا الى ان برئ عمه فقال

ابكي من الخوف ان يبرى فيحجبها * ولست ابكي على عمي من الجزع
لا مات عمي ولا عوفي من الوجع * وعاش ما عاش بين الياس والطمع

فخطبت الجارية فزوجها ابوها فجاءني الفتى فودعني وقال هذا وداع لا التقي بعده ابدا فناشدته فاذا الجزع قد حال دون فهمه فقلت واين تذهب فقال اذهب ما وجدت ارضا ونهض وكان آخر العهد به ولقد التمس عمه آفاق البلاد فما قدر عليه ولم يطل عمر الجارية بعده حتى ماتت تحزنا عليه

* (ومنهم قتيلان) *

ذكر الجاحظ ان محمد بن حبيب الطوسي كان جالسا مع ندمائه وقد اخذ الشراب برؤسهم اذ غنت جارية له من وراء ستارة

يا قمر القصر متى تطلع * اشقى وغيري بك يستمتع
ان كان ربي قد قضى كل ذا * منك على رأسي فما اصنع

قال وعلى رأس محمد غلام على احسن ما يكون من الجمال وبيده قدح فوضع القدح من يده وقال تصنعين مثل ذا ورمى بنفسه من الدار الى الدجلة فلما رأت الجارية ذلك هتكت الستارة ورمت بنفسها على اثره فغرقا جميعا قال الجاحظ فقطع محمد الشراب بعد ذلك شهرا

* (ومنهم شهيد) *

قال محمد بن بشر الانصاري وليت صدقات بني عذره فبينما انا بينهم واذا بشيء يختلج تحت ثوب فاقبلت فكشفت عنه واذا رجل ليس يرى منه سوى رأسه وعينيه فقلت ما بك فقال

كان قطاة علقت بجناحها * على كبدي من شدة الخفقان

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه * وعرّاف نجد ان هما شفيانى

قال ثم تنفس حتى ملأ الثوب الذي كان فيه ثم خمد فنظرت فاذا هو قد مات فقيل هذا عروة بن حزام العذري

* (ومنهم شهيد) *

يروى ان الحكم بن عمر الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير ببعض كور خراسان وهو واليها فسمع رجلا يتغنى

تعز بصبر لا وربك لا ترى * بشام الحمى اخرى الليالى الغوابر

كان فوآدي من تذكره الحمى * واهل الحمى يهفو به ريش طائر

فوقف وقال على بالرجل فجئ به فقال ويحك من انت قال انا رجل من اهل نجد بن عامر بن صعصعة فقال له فهل لك فى الحمى فقال مالى الى ذلك سبيل ولى بتلك البلاد اهل وولد قال انى احملك الى اهلك وولدك فقال لا حاجة لى فى هذا قال ليس من ذلك بد وامر به ان يحمل فاضطرب فى ايديهم حتى مات

* (ومنهم شهيد) *

عن الاصمعي قال خرجت اريد بعض احياء العرب فادركنا الليل فأويت الى جبانة فتوسدت قبرا فسمعت بالليل قائلا يقول من القبر

انعم الله بالجبابين قبرا * وبمسراك يا سعاد الينا

وحشة ما لقيت من ظلل القبر * عسى ان نراك او ان ترينا

قال فارقت ليلتى فلما اصبحت دخلت الحى واذا بجنازة قد اقبلت فسالت عنها فقيل هذه سعاد كانت تحب ابن عم لها فتعاقدا على الوفاء فلم تزل باكية بعد ان مات وها هي قد لحقت به فتبعتهم حتى دفنت الى جانب القبر الذى بت عنده واذا هو قبر ابن عمها فاخبرتهم بما سمعت فتعجبوا من ذلك

* (ومنهم شهيد) *

حكي الفرزدق قال ابق غلام لرجل من بني نهشل فخرجت
في طلبه اريد اليمامة فلمّا صرت على ماء لبني حنيفة ارتفعت
سحابة وامطرت فعدلت الى بعض ديارهم فسالتهم القرى فاجابوا
فانخت ناقتي تحت بيت لهم من جريد النخل وفي البيت جويرية سوداء
فخرجت جارية كانها قمر فسالت الجارية السوداء لمن هذه الناقة
فاشارت اليّ وقالت لضيفكم فعدلت اليّ وسلمت وقالت ممّن
الرجل قلت من بني نهشل قالت فانتم الذي يقول فيكم الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول

قلت نعم فضحكت وقالت فان جريرا قد هدم عليه بيته حيث يقول

اخزى الذي سمك السما مجاشعا * واحلّ بيتك بالحضيض الاوهد

قال فاعجبتني فلمّا رأت ذلك في وجهي قالت اين تريد قلت اليمامة
فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكري * بها اهل المروة والكرامه
الا فسقي الاله سحاب غيث * بجود بسحّه بلد اليمامه
وحيّا بالسلام ابا نجيد * واهلا للتحيّة والسلامه

قال فانست بها وقلت اذات خدر ام ذات
بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا * لكالقمر المنير المستنير
ومالي في التبعّل من مرادٍ * ولو ردّ التبعّل لي اسيري

ثم سكتت كانها تسمع كلاما ثم انشات تقول

يخيّل لي ابا عمرو بن كعب * كانك قد حملت الي السرير
فان تك هكذا يا عمرو اني * مبكرة عليك الي القبور

ثم شهقت شهقة فمانت فقصدا رخ النساء دو سالت عنها
فقيل انها عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر وسالت
عن عمرو فقيل لي ابن عم لها كان يحبها وتحبّه فدخلت اليمامة

فسألت عن عمرو فاذا انه قد مات في ذلك الوقت من ذلك اليوم . قال صاحب منازل الاحباب وهذه الحكاية اعجب من جميع ما تقدم فان كلاً من اولئك حصل له الموت عند تحقق اليأس من محبوبه اما بمعاينة موته او اخباره بذلك لان من الحكماء من يذكر ان روعة فقد الالف وتحقق اليأس يغمزان القلب وهلة واحدة فتحتقن عنه مادة النفس فيضعف القلب عن دفع مادة فيفيض الدم وتذهب الروح واما هذه فلطفت نفسها الى ان رفع بينها وبين محبوبها حجاب البعد ولم يبق لنفسها مادة الا مما يرد عليها من ذلك الانين فكان بمنزلة المصباح الذى للبصير فلما ذهب عن القلب احس بفقده كما يحس البصر بذهاب نور المصباح اذا طفي

* (ومنهم شهيد) *

قال في منازل الاحباب ومن الطف ما وجدته من اخبار المتأخرين في تحليهم بالعفاف واتصافهم باحسن الاوصاف ما يحكى عن بعض الفضلاء المغاربة وهو محمد بن القاسم النحوي انه هوى فتى من ولد الجند فكتم هواه واخفى ضناه الى ان عيل صبره ونفث الدم من فيه بل صدره ومات على كتمانه . ولم يبح بشانه من قوله فيه

هذا خيالك في الجفون يلوح * لو كان في الجسم المعذب روح
ياسالما مما اكابد في الهوى * هل يشتفي من قلبي التبريح
غادرتني غرض الردى وتركتني * لا عضو لي الا وفيه قروح
لله ما فعلت لحاظك في دمي * لو بلغت حينى الردى فتريح
لو عاينت عيناك قذفي من فمي * كبدي ودمعي مع دمي مسفوح
لرايت مقتولا ولم تر مقتلا * ولخلت انى من فمي مذبوح
قل للذي علقت منه منيتى * أأباح قتلي ياظلوم مبيح

كبدي على صدري جرت والى متى * اغدو أعذب في الهوى واروح

* (ومنهم شهيد) *

قال عبد الحق في العاقبة مما ابتلى الله به الهادي من المحبة وعاقبه به ان كان مغرما بجارية له تسمى غادرا وكانت احسن الناس واطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال امير المؤمنين فقال وقع في فكري اني اموت وان اخي هارون يلي الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا فأتوني برأسه ثم رجع عن ذلك وامر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فلم يزل هارون يترفق له فلم يقنع بذلك وقال لا ارضى حتى تحلف لي بكلما احلفك به انني اذا مت لا تتزوج غادرا فرضي بذلك وحلف ايمانا عظيمة ثم قام ودخل الى الجارية وحلفها ايضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات وولي هارون الخلافة وطلب الجارية فقالت يا امير المؤمنين كيف نصنع بالايمان التي حلفنا بها فقال قد كفرت عني وعنك ثم تزوج بها ووقعت في قلبه موقعا عظيما وافتتن بها احسن من اخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا ينقلب حتى تنتبه فبينما هي في بعض الليالي في حجره اذ انتبهت فزعة مذعورة فقال لها ما بالك فديتك روحي فقالت رأيت اخاك الهادي في المنام وانشدني

اخلفت وعدي بعدما * جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في * ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة اخي * صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح * وصرت حيث غدوت صائر

قالت

قالت ثم ولى عنى وكانت الابيات مكتوبة فى قلبى ما نسيت منها كلمة فقال هذه احلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير المؤمنين ثم انها اضطربت بين يديه حتى ماتت فى تلك الساعة فلا تسأل عن حال هارون وما لقى بعدها

* (ومنهم قتيل) *

اخبرنا الشيخ الامام الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاي بسنده عن ابى عبد الله محمد بن الحسن المذحجى الطبيب الاديب قال كنت اختلف فى النحو الى محمد بن الخطاب فى جماعة وكان معنا عنده ابو الحسن اسلم بن سعيد الاسلمى قاضى قضاة الاندلس وكان اجمل ما رأته العيون واحمد بن كليب كان من اهل الادب والشعر فاشتد كلفه باسلم وفارق صبره وصرف فيه القول مستترا بذلك الى ان فشت اشعاره وجرت على الالسنة ونوشدت فى المحافل فلعهدى بعرس فى بعض شوارع قرطبه والزامر يغنى بقول احمد بن كليب

اسلمنى فى هوا * ه اسلم هذا الرشا
غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد * سيسأل عما وشى
ولو شاء ان يرتشى * على الوصل روحى ارتشى

ومعنى محسن يسائره فيها قال فلما بلغ اسلم هذا المبلغ انقطع عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس على بابه وكان احمد بن كليب لا اشغل له الا المرور على بابه سائرا ومقبلا نهاره كله فامتنع اسلم من الجلوس على باب داره نهارا فاذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا وجلس على باب داره فعيل صبر احمد فتحيل فى بعض الليالى ولبس جبة صوف من جباب اهل البادية واعتم بمثل عمائمهم

واخذ باحدى يديه دجاجا وبالاخرى قفصا فيه بيض ونحيتين جلوس اسلم عند اختلاط الظلام على بابه فتقدم اليه وقبل يده وقال يا مولاى تأمر من يقبض هذا فقال له اسلم ومن انت فقال اجيرك فى الضيعة الفلانية فأمر اسلم بقبض ذلك منه على عادتهم وكان احمد قد عرف اسماء ضياع اسلم والعاملين فيها عند ورودهم منها فجعل يسأله عن الضياع ضيعة ضيعة فلما جاوبه انكر الكلام فتامله فعرفه فقال له يا اخى بلغت بنفسك الى ههنا تتبعنى اما كفاك انقطاعى عن مجالس الطلب وعن الخروج جملة وعن القعود على بابى نهارا حتى انقطعت عن جميع ما لى فيه راحة وقد صرت كأنى فى سجن والله لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلى ولا جلست بعدها على بابى ليلا ولا نهارا ثم قام فانصرف احمد بن كليب كئيبا قال محمد بن الحسين واتصل ذلك بنا فقلنا لاحمد وخسرت دجاجك وقفصك قال هات كل ليلة قبلة فى يده واخسر اضعاف ذلك قال فلما يئس من رؤيته البتة نهكته العلة واضجعه المرض قال محمد بن الحسين فاخبرنى شيخنا ابو عبد الله محمد بن خطاب انه عاده قال فوجدته بأسوء حال فقلت له الا تتداوى فقال دوائى معروف واما الاطبا فلا حيلة لهم فى البتة فقلت له ما دواؤك قال نظرة من اسلم فلو سعيت فى ان يزورنى لاعظم الله اجرك بذلك وكان هو والله يؤجر قال فرحمته وتقطعت نفسى له فنهضت الى اسلم فاستأذنت عليه فاذن لى وتلقانى بما احب فقلت له لى اليك حاجة فقال وما هى قلت قد علمت ما جمعك مع احمد بن كليب من ذمام

الطلب عندي فقال نعم ولكن قد علمت انه برّح بي وشهر اسمي
فآذاني فقلت كل هذا مغتفر في مثل هذه الحالة التي هو فيها
فتعوده فقال لي والله ما اقدر على ذلك فلا تكلفني هذا
فقلت له لا بد من ذلك فليس عليك في ذلك شيء وانما هي
عيادة مريض قال فلم ازل به حتى اجاب فقلت فقم الآن
فقال والله افعل ذلك ولكن غدا فقلت له بلا خلاف قال
نعم قال فانصرفت الى احمد بن كليب فاخبرته بوعده بعد
امتناعه فسُرّ بذلك سرورا شديدا فلما كان من الغد
بكّرت الى اسلم فقلت له الوعد فوجم وقال والله لقد حملتني
على خطة صعبة عليّ وما ادري كيف اطيق ذلك قال
فقلت له لا بد ان توفي بوعدك لي فاخذت رداءه ونهض
معي راجلا فلما اتينا منزل احمد وكان يسكن في آخر درب
طويل وتوسّطت الزقاق فوقف واحمرّ وخجل وقال لي يا سيّدي
الساعة والله اموت ولا اقدر انقل قدمي ولا استطيع
اعرض هذا على لساني قال فقلت لا تفعل بعد ان بلغت
المنزل تنصرف فقال لا سبيل والله اليه ورجع هاربا
فاتبعته فاخذت بردائه فتمادى وخرق الرداء وبقيت
منه قطعة في يدي لشدّة امساكي به ومضى ولم ادركه
فرجعت ودخلت على احمد بن كليب قال وقد كان غلامه
دخل اليه اذ رآنا من اول الزقاق مبشّرا قال فلما رآني
تغيّر وجهه وقال واين اسلم فاخبرته القصّة فاستحال
من وقته واختلط وجعل يتكلم بكلام لا يُعقل منه اكثر
من التوجّع فاستشنعت الحال وجعلت اتوجّع وقمت قال
فثاب اليه ذهنه وقال لي يا عبد الله قلت نعم قال اسمع
مني واحفظ عني ثم انشأ يقول

اسلم يا راحة العليل * رفقا على الهائم النحيل
وصلك اشهى الى فوآدى * من رحمة الخالق الجليل

قال فقلت له اتق الله ما هذه العظيمة فقال لى قد كان قال فخرجت عنه فوالله ما توسطت الزقاق حتى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا وقال الحافظ ابو محمد وهذه قصة مشهورة عندنا ومحمد بن الحسن ثقة واسلم هذا من بنى خلف وكانت فيهم وزارة وحجابة وكان شاعرا وابنه الآن بالحياة وقال ابو محمد ولقد ذكرت هذه الحكاية لابى عبد الله محمد بن سعد الخولانى الكاتب قال فعرفها وقال لقد اخبرنى ثقة انه راى اسلم هذا فى يوم شديد المطر لا يكاد احد يمشى فى طريق وهو قاعد على قبر احمد بن كليب زائرا له قد وتحين غفلة الناس فى مثل ذلك النهار ومما كتب به احمد بن كليب الى اسلم المذكور وقد اهدى اليه فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا * كما وهبتك روحى

* (ومنهم قتيل) *

حدث الخالدى فى كتاب الزيارات باسناد عن ابى بكر احمد بن محمد الصنوبرى قال كان بالرها وراق يقال له سعيد وكان فى دكانه مجلس كل اديب وقد كان حسن الادب والفهم يعمل شعرا رقيقا فما كنا نفارق دكانه انا وابو بكر المعوج الشامى الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر وكان لتاجر بالرها نصرانى من كبار تجارها ابن اسمه عيسى من احسن الناس وجها واحلاهم قدا واظرفهم منطوقا وكان يجلس الينا ويكتب عنا من اشعارنا وجميعنا نحبه ونميل اليه وهو حينئذ صبى فى الكتاب فعشقه سعيد الوراق عشقا مبرحا وكان يعمل فيه الاشعار كل يوم فمن ذلك وقد جلس عنده فى دكانه

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي * وهاك فابرى عظامى موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي * فان ذلك لى برء من السقم
ترى العوالم لا تدرى بمن كلفى * وانت اشهر للصبيان من علم
ثم شاع خبره بعشق الغلام فى الرها فلما كبر وشارف الاحتلام
احب الرهبنة وخاطب اباه وامه فى ذلك والح عليهما حتى اجاباه
وخرجا به الى دير زنكى بنواحى الرقة وهو فى نهاية حسنه فابتاعا
له قلاية ودفعا الى رئيس الدير جملة من المال عنها فاقام الغلام
فيها وضاقت على سعيد الدنيا بما رحبت فاغلق دكانه وهجر اخوانه
ولزم الدير مع الغلام وسعيد فى خلال ذلك يعمل فيه الاشعار
فانكرت الرهبان المام سعيد به ونهوه عنه وحرموا عليه ان
يدخله قلايته وتوعدوه باخراجه من الدير ان ادخله اليه فاجابهم
الى ما سألوه فلما رأى سعيد امتناعه منه شق عليه وخضع
للرهبان ورقق لهم القول فلم يجيبوه وقالوا علينا فى هذا اثم وعار
ونخاف السلطان فكان اذا وافى الدير اغلقوا الباب فى وجهه
ومنعوه من دخوله اليه ولم يدعوا الغلام يكلمه فاشتد
وجده وزاد عشقه حتى صار الى الجنون فخرق ثيابه وانصرف
الى داره فضرب جميع ما فيها بالنار ولزم صحراء الدير وهو عريان
يهيم ويعمل الاشعار قال ابو بكر الصنوبرى ثم عبرت انا والمعوج
الشامي ببستان بتنافيه فرايناه جالسًا فى ظل الدير وهو
عريان وتغيرت خلقته فسلمنا عليه وعذلناه وعنفناه
فقال دعانى من هذا الوسواس اتريان ذلك الطائر الذى على هيكل
الدير واوما بيده الى طائر هناك فقلنا نعم فقال وحقكما يا اخوانى
انا اناشده منذ الغداة ان يسقط فاحمله رسالة الى عيسى
ثم التفت الى وقال يا صنوبرى معك الواحك قلت نعم قال اكتب
بدينك يا حمامة دير زنكى * وبالانجيل عندك والصليب

ففي وتحملي مني سلاماً * الى قمر على غصن رطيب
وقولي سعدك المسكين يشكو * لهيب جوىً احرّ من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد * اذا ما كنت تمنع من قريب
وان انا مت فاكتب حول قبري * محبّ مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش * فكيف بمن له مائتا رقيب

ثم تركنا وقام بعدو الى باب الدير وهو مغلق دونه وانصرفنا عنه وما زال كذلك زماناً حتى وجد في بعض الايام ميّتاً الى جانب الدير وكان امير البلد العبّاس بن كيغلغ فلما اتصل ذلك به وباهل الرّهاء خرجوا الى الدير وقالوا اما قتله غير الرهبان وقال لهم ابن كيغلغ لا بد من ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنّار ولا بد من تعزير جميع الرّهبان بالسياط في قتله وتصعب في ذلك فافتدى النصارى نفوسهم وديرهم بمائة الف درهم وكان الغلام بعد ذلك اذا دخل الرهاء لزيارة اهله صاح به الصبيان هذا قاتل سعيد الورّاق وشدوا عليه بالحجارة يرجمونه وزاد عليه الامر في ذلك حتى امتنع من دخول المدينة ثم انتقل الى دير سمعان وما ادرى ما كان منه

* (ومنهم شهيد) *

قال ياقوت في تاريخه كان مدرك بن علي الشيباني شاعراً اديباً فاضلاً وكان كثيراً ما يلم بدير الروم ببغداد ويعاشر نصاراه وكان بدير الروم غلام من اولاد النصارى يقال له عمرو بن يحيى وكان من احسن النّاس صورة واكملهم خلقاً وكان مدرك بن علي يهواه وكان لمدرك مجلس تجتمع فيه الاحداث لا غير فان حضر شيخ او صاحب لحية قال له مدرك قبيح بك ان تختلط بالاحداث والصّبيان فقم في حفظ الله فيقوم وكان عمرو يحضر مجلسه فعشقه مدرك وهام به فجاء عمرو يوماً الى المجلس فكتب مدرك

رقعة وطرحها فى حجره فقرأها فاذا فيها

بمجالس العلم التى * بك تم حسن جموعها
الا رثيت لمقلة * غرقت بفيض دموعها
بينى وبينك حرمة * الله فى تضييعها

قال فقرأ الابيات ووقف عليها من كان فى المجلس وقروها فاستحيا عمرو وانقطع عن الحضور وغلب الامر على مدرك فترك مجلسه ولزم دار الروم وجعل يتبع عمرًا حيث شاء وقال فيه شعرًا كثيرًا قال الحريرى وقد رأيت عمرًا ابيض الرأس واللحية ومن شعر مدرك فيه هذه القصيدة المزدوجة الغريبة العجيبة المشهوره وهى

من عاشق نا هواه دان * ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران * موثق قلب مطلق الجثمان
من غير ذنب كسبت يداه * يشكوا هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من اشقاه * كانما عافاه من اضناه
يا ويحه من عاشق ما يلقى * من ادمع منهلة ما ترقا
ناطقة وما اجادت نطقا * تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف يبكى * بادمع مثل نظام السلك
تطفيها نار الهوى وتذكى * كانها قطر السماء تحكى
الى غزال من بنى النصارى * عذار خديه سبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى * فى ربقة الحب له اسارى
ريم بدار الروم رام قتلى * بمقلة كحلاء لا من كحل
وطرة بها استطار عقلى * وحسن وجه وقبيح فعل
ريم به اى هزبر لم يصد * يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى يقل ها قالت الالحاظ قد * كانها ناسوته حين اتحد
ما ابصر الناس جميعا بدرا * ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا

احسن من عمرو فديت عمرا * ظبي بعينيه سقاني خمرا
ها انا ذا بقده مقدود * والدمع في خدي له اخدود
ما ضر من فقدي به موجود * لو لم يقبح فعله الصدود
ان كان ذنبي عنده الاسلام * فقد سعت في نقضه الايام
واختلت الصلاة والصيام * وجاز في الدين له الحرام
يا ليتني كنت له صليبا * اكون منه ابدا قريبا
ابصر حسنا واشم طيبا * لا واشيا اخشى ولا رقيبا
يا ليتني كنت له قربانا * الثم منه الثغر والبنانا
او جاثليقا كنت او مطرانا * كيما يرى الطاعة لي ايمانا
يا ليتني كنت لعمرو مصحفا * يقرأ مني كل يوم احرفا
او قلما يكتب بي ما الفا * من ادب مستحسن قد صنفا
يا ليتني كنت لعمرو عوده * او حلة يلبسها مقدوده
او بركة باسمه معدوده * او بيعة في داره مشهوره
يا ليتني كنت له زنارا * يدير بي في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا * صرت له حينئذ ازارا
واكبدي من خده المضرج * واكبدي من ثغره المفلج
لا شئ مثل الطرف منه الادعج * اذهب للنسك وللتحرج
اليك اشكو يا غزال الانس * ما بي من الوحشة بعد الانس
يا من هلالي وجهه وشمسي * لا تقتل النفس بغير النفس
جد لي كما جدت بحسن الود * وارع كما ارعى قديم العهد
واصدد كصدي عن طويل الصد * فليس وجد منك مثل وجدي
ها انا في بحر الهوى غريق * سكران من حبك لا افيق
محترقا ما مسني حريق * يرثي لي العدو والصديق
فليت شعري فيك هل ترثي لي * من سقم ومن ضنى طويل
ام هل الى وصلك من سبيل * لعاشق ذي جسد نحيل

فى كل عضو منه سقم والم * ومقلة تبكى بدمع وبدم
شوقا الى شمس وبدر وصنم * منه اليه المشتكى اذا ظلم
اقول اذ قام بقلبى وقعد * يا عمرو يا عامر قلبى بالكمد
اقسم بالله يمين المجتهد * ان امرأ أسعدته لقد سعد
يا عمرو نا شدتك بالمسيح * الا استمعت القول من فصيح
يبيح عن قلب له جريح * ناح بما يلقى من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت * والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذى فى مهده المنحوت * عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم * حل محل الريق منها فى الفم
ثم استحال فى قنوم الاقدام * يكلم الناس ولم ينفطم
بحق من بعد الممات قمصا * ثوبا على مقداره ما قصصا
وكان لله تقيا مخلصا * يشفى ويبرى اكمها وابرصا
بحق محيى صورة الطيور * وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور * يعلم ما فى البر والبحور
بحق من فى شامخ الصوامع * من ساجد لربه وراكع
يبكى اذا ما نام كل هاجع * خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا * وعالجوا طول الحياة بؤسا
وقرعوا فى البيعة الناقوسا * مستعملين يعبدون عيسى
بحق مارى مريم وبولس * بحق شمعون الصفا وجرجس
بحق دانيل بحق يونس * بحق حزقيل وبيت المقدس
بحق ما فى قلة الميرون * من نافع الادواء للجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون * من بركات الخوص والزيتون
بحق اعياد الصليب الزهر * وعيد السيمونى وعيد الفطر
وبالشعانين العظام القدر * وعيد مرمارى انعظيم الذكر
بحق شعياء وبالهيا كل * والدخن اللاتى بكف الحامل

يشفى بها من كل خبل خابل * ومن دخيل السقم فى المفاصل
بحق سبعين من العبّاد * قاموا بدين الله فى البلاد
وارشدوا الناس الى الرشاد * حتى اهتدى من لم يكن بهادى
بحق اثنى عشرٍ من الامم * ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا اصبح الدجا جلا الظلم * ساروا الى الله ففازوا بالحكم
بحق ما فى محكم التنزيل * من محكم التحريم والتحليل
وغيره من نبإٍ جليل * يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرعيد الشفيق الناصح * بحقّ لوقا ذى الفعال الصالح
بحقّ تمليخا الحكيم الراجح * والشهد آبا الفلا الصحاصح
بحقّ معمودية الارواح * والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الامساح * وعابد باكٍ ومن سيّاح
بحقّ تقريبك فى الاعياد * وشربك القهوة كالفرصاد
وطول تفتيتك للاكباد * بما بعينيك من السواد
بحقّ ما قدّس سعيا فيه * بالحمد لله وبالتنزيه
بحقّ نسطورو وما يرويه * عن كل ناموس له ففيه
بحقّ جمع من شيوخ العلم * وبعض اركان التقى والحلم
لم ينطقوا قط بغير فهم * موتهم كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران * والجاثليق العالم الربانى
والقسّ والشماس والديرانى * والبطرك الاكبر والرهبان
بكلّ قادس على قدّاس * قدّسه القسّ مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسى * وقدّموا الكاس لكل حاسى
بكل ناموسٍ له مقدّم * يعلم النّاس ولمّا يعلم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم * وما حوى مفرق رأس مريم
بحق يوم الذبح فى الاشراق * وليلة الميلاد والتلاقى
يا لذهب الابريز فى الاوراق * بالفصح يا مهذّب الاخلاق

الا رغبت في رضى اديب * يا عدة الحب عن الحبيب
قد ذاب من شوق الى المذيب * اعلى مناه ايسر القريب
فانظر اميري في صلاح امري * محتسبًا في عظيم الاجر
مكتسبًا في جميل الشكر * في نثر الفاظ ونظم در

*(قتيل ثم ان مدركًا وسوس وسل جسمه وذهب عقله وانقطع عن اخوانه ولزم الفراش قال الحسان بن محمد بن عيسى فحضرته عايدا مع جماعة من اصحابه فقال الست صاحبكم القديم العشرة لكم فما منكم احد يسعدني بنظرة الى وجه عمرو وقال فمضينا باجمعنا الى عمرو وقلنا له ان كان قتل هذا الرجل دينا فان احياءه مروءة قال وما فعل قلنا قد صار الى حال ما يحسبك تلحقه قال فلبس ثيابه ثم نهض معنا فلما دخلنا عليه وسلم عليه عمرو واخذ بيده وقال كيف تجدك يا سيدي فنظر اليه ثم اغمي عليه ثم افاق وهو يقول

انا في عافية الا * من الشوق اليكا
ايها العايد ما بي * منك لا يخفى عليكا
لا تعد جسما وعد قلبـ * ـا رهينا في يديكا
كيف لا يهلك مرشو * ق بسهمي مقلتيكا

ثم انه شهق شهقة فارق فيها الدنيا فما برحنا حتى دفناه رحمه الله تعالى

* (ومنهم قتيل) *

قال العلامة ابو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيرزي في كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب وشاهدت امرأة كانت من اهل شيزر تزوجت رجلا جنديا اعجميا وكانت تجد به وجدا شديدا حتى كانت لا تصبر عنه لحظة وكان اذا مشى

الى نوبته الى القلعة تأتزر وتظل قايمة قبالته حتى ينصرف فاذا دخل عليها لاعبها وقبلها فيسكن بعض ما تجده فدخل عليها يوما مغضبا من كلام جرى بينه وبين مقدمه فلما دخل ارادت منه العادة فلم يلتفت اليها فظنت ان ذلك لسبب حدث منها فارتاعت وجزعت فمكث ساعة عنها لم يرفع طرفه اليها فقوى عندها التخيل فلما خرج خرجت خلفه كعادتها فانتهرها فلم تشك غضبه لاجلها فرجعت وجعلت فى رقبتها حبلا وشدته فى السقف فاختنقت به وماتت

* (ومنهم شهيد) *

قال الوداعى حكى الامير شهاب الدين احمد العقيلى ان شرف العلى هوى غلاما نصرانيا وتهتك فيه حتى لبس المسح وتزيا بزي الرهبان وكان يتبع الغلام حيث توجه فاتفق ان الملك الظاهر صلاح الدين سمع بحاله فبينما هو يتصيد فى نواحى حلب قيل له ان شرف العلى فى هذه الارض فارسل اليه من يحضره على هيئته فلما حضر وكان السلطان فى مجلس الشراب قال لبعض ندمايه املأ قدحا كبيرا والق شرف العلى به فلما رأى القدح اخذه بيده وشربه وانشد فى الحال ارتجالا يخاطب الملك الظاهر

جمعت بالكاس شملى * فالله يجمع شملك
بحق رأسك دعنى * حتى اقبل نعلك

* (ومنهم قتيل) *

وهو مما رأته عيناى وسمعته اذناى ووعاه قلبى وذلك انى لما كنت فى دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة اتفق ان شابا من ابناء دمشق جميل الصورة عدا على انسان

كان

كان يحبه فقتله فحمل الى الوالى فلما سأله انكر فعرّاه ليضربه بالسياط فتقدم انسان كان يعشق ذلك الشاب وقال للوالى لا تضربه فانه ما قتله وانما قتلته انا فاحضر الوالى الشهود وكتب عليه محضراً باقراره بالقتل واطلق الشاب وكان ايتمش نائب دمشق يومئذٍ فلما حكيت له هذه القصة واطلع على باطنها توقف فى قتله وامر بحبسه فلم تمض الا ايام قلائل حتى حضر ادغون الكاملى من حلب عوضاً عن ايتمش فى نيابته بدمشق فكان اول شئ حكم فيه من الدماء شنق ذلك العاشق المسكين بمقتضى المحضر المكتتب عليه ولقد رأيته تحت القلعة وهو مشنوق والناس حوله يتأسفون عليه ويذكرون حكايته ويتعجبون منها وحكيت هذه الحكاية للقاضى كمال الدين بن النحاس فتعجب منها وأخبرنى عن القاضى زين الدين بن السفاح واخيه القاضى شمس الدين وجماعة من اهل حلب الموجودين الآن انهم اخبروه ان ناصر الدين محمد بن بكتوب احد كتاب المنسوب المعروف بالقلندرى انه كان يهوى مغنية لا تزال زرموزتها معه فى كيس حرير اطلس معلق فى رقبته تحت ثيابه فاذا حضر فى مجلس ولم يتفق حضورها فيه اخرج الزرموزة من الكيس ووضعها قدامه وجعل يبكى فان لم يتفق له بكاء شديد انشد

لا متّعت عين محبٍّ بما * يسرّها ان هى لم تسجم

ثم انه يأمر من حضر بربط رجليه وضربه عليهما حتى يبكى انتهى ما اخبرنى به القاضى كمال الدين قلت ولهذا البيت المتقدم حكاية غريبة وهى ما حكاه المستردعن النميرى ان رجلاً قدم على الملك كسرى انوشروان وكان عالماً بجميع الفلسفة وعلم الموسيقى فتعجب الملك من كمال اخلاقه المحمودة فحبسه عن وطنه مدة من دهره فشكى اليه غلبة الوجد وطول الكمد بالف فارقه فى بلده فمطله كسرى بالاذن وحمله على التسويف فبينما هو على هذه الحالة اذ قدم عليه رجل من بلده

ونعى اليه حبيبه ودفع اليه خاتمه فاذا فيه كتابة بالهندية فترجمت
لكسرى فاذا هى كلام موزون بالموسيقى يشاكل من الشعر العربى

لا متعت عين محب بما * يسرها ان هى لم تسجم
على حبيب تلفت نفسه * من التباريح ولم يضرم

فلما قرأها لم يملك نفسه خوفا وجزعا فاسعدته عينه اليسرى
ولم تسعده اليمنى فاقسم ان لا ينظر بها ما عاش فى الدنيا
ان لم تسعده بالبكاء على حبيبه وهى اقوى حاسة من اليسرى
فكان يسمى الصابر قلت ومن غريب ما يحكى ان ناصر الدين
القلندرى المتقدم ذكره كان يضع المحبرة فى يده الشمال والمجلد
من الكتاب على زنده ويكتب منه وهو يغنى ويضرب برجله الارض
ويكتب فى هذه الحالة ما شاء ولا يغلط ولا يلحن واخبرنى بعض
من كتب عليه ان من غريب ما شاهد من حاله انه كان يهوى شابا
من اولاد الجند بطرابلس كان يكتب عليه وكان آخر ما تمثل به ومات
عقبه سنة خمس وثلاثين وسبعمائة قول الصاحب بن عباد

يا من وهبت له نفسى فعذبها * ورمت تخليصها منه فلم اطق
ادرك بقية نفس فيك قد تلفت * قبل الممات فهذا آخر الرمق

قلت وليكن هذا ما وقع عليه الاختيار * وطابت به
لابن ابى حجلة حين سقط بمصر اوطار * وكيف لا وقد
سقطت منه على الخبير * واتيت من اخبار من غفر الله لنا ولهم
بالجم الغفير * فشهدا ؤه من اعيان المشاهد * وقتلاه وان
اختلفت اسباب موتهم فداؤهم واحد * ففى ذلك والحمد لله
كفايه * وان كان التقصير قصرا غير مقصود عن الغايه
* على ان فى رحلتى نشر العلمين * فى زيارة الحرمين *
ما هو كفص الخاتم لهذه الخاتمه * والامواج العظيمة لهذه
الابحر المتلاطمه * لا جرم انى لم اذكر من اخبار اهل الحجاز

الا ما اشار اليه هذا الكتاب ببنان بيانه * وبدا من ورقه وقلمه على صفحات وجهه وفلتات لسانه * فكم في الرحلة المذكوره * في ذكر من مات على هذه الصوره * من اخبار متيم امتنع من هجوعه * واصبح غريقا بسحاب دموعه *

لذى سمرات الحى برق يسامره * يذكره بالثغر ما هو ذاكره
يذكره عهد العذيب وما حوى * على حاجر سالت عليه محاجره
اذا ما بدا البرق اليمانى لعينه * فما هو الا وشيه وحبائره
سقى الشعر من ذيل المقطم عارض * تعارضه من دمع عينى مواطره
فكم فيه من صب قضى وغرامه * اوائله لا تنقضى واواخره
تطاول ليلى فى هواه ولو يشا * لقصره من حجبته مقاصره
فيا للهوى العذرى ما العذر عندما * تغادر يومى مثل ليلى غدائره
صحا ما صحا من زال فى الحب عقله * بسكرة حب لا تزال تخامره
ابرد ما القاه يا جارتى وقد * سبانى ظبى فاتن الطرف فاتره
احاول منه وصله كل ساعة * فتمنعنى استاره وستائره
ولو لم يكن سلطان حسن لما سرى * بمصر وكل العاشقين عساكره
يجود عليهم حين يسرى جواده * فيحفر فى قلب المتيم حافره
فلولاه ما امضى امير ذوى الهوى * ولا نفذت فى العاشقين اوامره
ولولا سطا السلطان فى مصر ما مشى * مع الذئب ظبى كان قبل يحاذره
هو الناصر المنصور والعادل الذى * بباطنه ما جار فى الملك ظاهره
له فى سبيل الله خير ذخيرة * وحسن الثنا بين الملوك ذخائره
ودرياقه فى الثغر عقرب نبله * وشمر عواليه بمصر نواشره
جزى الله عنه مصر ما هو اهله * فكم امنت فى قطرها من يجاوره
جواد غدت نعماه منا قريبة * وان بعدت فى التنوع عنا صوامره
فما عابه ان الجنود جنائب * وما ضره ان البروق ضرائره
له من بياض الصبح والليل ادهم * واشهب كالبازى ينقض كاسره

فلا جابر يوما لما هو كاسر * ولا كاسر يوما لما هو جابره
ولله سر في علاه لاجل ذا * تباهي به فوق السرور سرائره
ونستقبل الآمال كعبة جوده * كما استقبل البيت المعظم زائره
فأي نوال ما اضاعت شموسه * وما هي ان حققت الا دنانره
هو البحر الا ان منهل جوده * موارده راقت به ومصادره
ولو لم يكن بحري ونظمي دره * لما عرضت يوما عليه جواهره
اجود فيه المدح كل عشية * واذكار فكري بالثناء تباكره
اذا تاه مدحي في دجى ليل نفسه * عن القصد دلته عليه مآثره
عبرت على الشعر العبور فاومأت * الي وقالت انت والله شاعره
فمدحي له مدح المحب حبيبه * اذا زاره والليل قد نام ساهره
وحبي له ما ان يقاس بغيره * لاني قيس الحب فيه وعامره
وقد مات قلبي اول الحب وانقضى * ولو مت امسى الحب قد مات آخره

تم طبع هذا الكتاب المستطاب * بعون الملك الوهاب
* في المطبعة التي بخط الاستاذ الشعراني رضي الله عنه
وذلك في اواخر شهر ذي القعدة من شهور سنة ١٢٧٩
وقد اعتنى بتصحيحه جماعة من الادباء
والحمد لله اولا وآخرا باطنا وظاهرا
وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الامي وعلى آله
وصحبه وسلم *
امين
٣